

مدرسة الإمام البخاري
في المغرب

حقوق الطبع محفوظة

دار لسان العرب - بيروت

منشورات يوسف خياط



دار تُعنى بالتراث العربي والفكر الانساني

مدرسة الإمام أبي حامد الغزالي في المغرب

الدكتور يوسف الكسافي
دكتور دولة في العلوم الإسلامية
أستاذ علم الحديث بكلية الشريعة
جامعة القرويين - فاس

الجزء الأول

الاهداء

إلى روح والدي العظيم مولاي إبراهيم الكتاني الذي رباني
صغيراً ورعاني كبيراً ، وحبب إلي السنة النبوية وأورثني بحبها كنزاً لا
يفنى ، وكان إخراج هذا العمل العلمي إحدى آمانيته الغالية . رمز
عرفان وآية تقدير ونحية ولد بار .

يُوسف الكتاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلِمَةُ الدَّارِ

رائعة مغربية

يوسف خياط

كتاب ليس كغيره من الكتب التي تُؤلف وفق اجتهادات معينة ومفاهيم ذاتية خاصة ، فهو كتاب في الواقع غير عادي ، وليس مبثوثاً مثله في عالم الكتب . غريب هو ، كدت أقول ، غير معهود . . توخى منه صاحبه خدمة العلم والدين ، وجعله للناس وساطة التعريف بصحيح البخاري . . بالجوانب غير المعروفة كثيراً ، لمدرسته .

والمؤلف بهذا ، نقل إحدى الظواهر الحضارية الكبرى ، إلى الناس ، ألا وهي مدرسة الإمام البخاري الراسخة المرسخة ، والتي يجتمع فيها العالم وطالب العلم حول ذلك الكتاب الهام والخطير - صحيح البخاري - وحول مؤلفه الإمام ، ودخوله إلى المغرب ، وما أنشئ لتدريسه والإجازة به ، من مدارس وزوايا ، تكون فيها الإجازات والختامات .

وللوصول إلى هذا الهدف ، كان على الدكتور يوسف الكتاني ، أن يكمل الأطر والمقومات والمكونات لهذه المدرسة ، وكان لا بد له من الإتيان على ذكر البيئة وأصول الجماعات وعاداتهم وتقاليدهم ، في ذلك الاجتماع حول « الصحيح » . ولبلوغ هذه الغاية ، كان لا بد للمؤلف من أن يتناول أمور البيئة ومناخها الثقافي ورجالاتها ، وكان لا بد له من أن يتناول المراحل التي كانت فيها تلك المدرسة ، وأحداثها ، وذلك من خلال تناوله للتاريخ نفسه ، وقد فعل ، فاستخرج منه

الحقائق والوقائع والأسماء وأعمار العلماء ومواطنهم وآثارهم ، في المغرب والمشرق ، في الماضي البعيد إلى يومنا هذا .

وأتى بمسارد ، مبنية مفصلة مشروحة ، للمدونات والسير ، ووصف الرجال وآثارهم ، بما يحملون ، من ألقاب علمية وما هم عليه من درجات ، وواقعهم ، وتراجهم . .

كل ذلك ، وفق مخطط ناجز ، واضح ، بعيد عن التعقيد ، خال من الغموض ، فسيح الرحاب التعريف ، واسع أبواب الدخول ، بعقل منظم ، وترتيب أكاديمي ، وتصنيف علمي . . مجتهداً - هنا أقول هذا - في إضفاء أفكار واستنتاجات ذكية ، أغنت البحث ومكنته ، فقوي بها ، وطاب قراءة ، وأفاض منفعة وعلماً .

كل ذلك ، أيضاً ، لم يأت ، على راحة اليد ، مأخوذاً من الجيب ، بل كان على المؤلف أن يجوب ويجول ، يروح ويعود ، باحثاً مدققاً منقياً عن أمر ، مستقصياً خبراً ، ساعياً إلى مرجع ، طامحاً بمستند ، ماضياً في طلب نبأ موثوق ، فدعم ما قال بالشواهد ، ومكن ما كتب بالمراجع ، وما أسند إلا إلى ثقة ، وما نسب إلا إلى أمين .

وكانت جولته ، لكتابة هذه الدراسة جولات ، ورحلته فيها رحلات .

والكتاب الذي هو جولة في مدرسة الإمام البخاري ، وكتابه العظيم ، هو جولة بين الأعلام القدامى والجدد والمعاصرين ، وعرض معلومات عنهم لا يدركها من قبل أكثر الناس ، إلا من أدرك من العلم حظاً وفيراً .

فالتاريخ موجود ، لكنه وراء أسترة الزمن ، من نسيان وبعد وضياح ، وهو قائم لا يموت ، لكنه كمدن مندثرة تحت ركام التراب - والعين الثاقبة والفكر النافذ ، هما اللذان يكشفان عنه الأستار ويرفعان من فوقه الركام .

فعل الدكتور يوسف الكتاني ذلك ، بما لم يسبقه إليه أحد ، فجاء كتابه بكرة ، عن موضوع قد كان مرقوماً ، كتراث كان لا يزال غميساً .

لذلك قلت : هو كتاب غريب . . غير عادي . . غير كثير مثله . . يجد فيه العالم بغيته ، وقاصد العلم خيراً ، والغافل ما كان يجهل .

المؤلف الدكتور يوسف الكتاني ، نجل المغفور له العلامة الشيخ إبراهيم الكتاني ، صاحب الطريقة الكتانية ، في الجهاد مع العبادة ، وهو أحد المجاهدين الصادقين ، في سبيل تحرير المغرب من الاستعمار ، ومن أجل استقلاله ومنعته .

نهل المؤلف من علم أبيه ، وسار على طريقه في الهدى والتقوى ، وسرح أول ما سرح ، في دوح فقهه وفضله ، فلا غرو إن أعطت الدوحة الغناء ما أعطت ، وأنشأت ما أنشأت ، فالعلم هبة الله في أرضه ، يأخذه بنو البشر عن بني البشر ، كل منهم بقدر ونصيب .

أما المؤلف فما عُرف من قبل في عالم الكتاب المنشور ، وإن يكن معروفاً بأبحاثه ومحاضراته ودروسه ، بالمغرب العربي وأفريقيا الإسلامية .

أما الكتاب ، وقد أصدرته دارنا بمجلدين أضخمين اثنين ، في قرابة الألف صفحة ، فما من حديث عنه يزيده شيئاً ، فهو يحمل التعريف عن نفسه بحاله ، كما تحمل الثمرة في ذاتها طيب نكهتها ولذة مذاقها .

إن دارنا لتعتز بأن تقدمه إلى القراء ، وبخاصة العلماء الباحثين والمستشرقين ، وإلى طلبة العلم ، والمتقنين المستيزدين ، وطلاب المعرفة ، وسيكون لمن شاء منهم المرجع الشامل والأمين الشافي في الموضوع .

وبعد . . فهو من روائع ما أُلّف مؤخرًا . بل هو رائعة مغربية ، إن لم يكن رائعة المغرب في السنوات الأخيرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هنيئاً لكم بهذا العرض القيم .

الأستاذ يوسف الكتاني سجل في دراسته كثيراً من المواهب العلمية والحقائق الفكرية والمطامح الإنسانية وذلك ما يدعو إلى الفرح والسرور بأمثال هؤلاء السادات الذين يضيءوا الوجوه وكذلك ينبغي لهذا الأمر أن يُتكلّم في شأنه ويُنصَح في أمره .

وحقاً إن الدكتور الكتاني قد استنفذ في دراسته واستفرغ جهده واستتب موضوعها واستقصاه ببصيرته وتوثق لها بمحاولته وأضفى عليها من دماثة خلقه ولطافة عقله وفي العقل راحة وفي الخلق شجاعة فنشكره على سلوكه المستقيم وتصرفه الحكيم وعلى ما أتى من أعمال صالحة وأقوال صادقة وحمد الله له هذا المجهود الضخم الذي هو من عطاء الله وما كان عطاء ربك محظوراً .

الشيخ الرحالي الفاروق
عميد كلية الدراسات العربية
ورئيس المجلس العلمي
بمراكش

اعتبر أن العمل الذي قمت به شريفاً وجليلاً جداً لأنه سام كسموك ولقد وجدت في دراستك للإجازة وأنا أعتقد أن الناس مهما تحدثوا عن الإجازة لا يستطيعون الوفاء بحقها ولا بوصفها على الوجه الصحيح ، وقد وجدت هذا وأؤكدده ، وجدت في دراستك للإجازة جوانب طريقة لم تُسبق إليها وكنت أود أن تبرز هذه الأهمية عن المغاربة فقط .

إن ما كتبت في الجزء الأول والثاني هو جدير بالاعتبار والعناية والتقدير لأنني كما ذكرت قد وفرت لي ومكنتني من معرفة أشياء كثيرة ، فأنت أفدتني إفادة كبرى وتفيد القارئ الذي ستخرج له هذا الكتاب إفادة كبرى لا يمكن إنكارها ولا يستطيع الحصول عليها من غير هذا الكتاب .

الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة
مفتي الجمهورية التونسية

أمام مدرسة الإمام البخاري رضي الله عنه مراجعتي جمعت بين الاحتكام العلمي ومشاعر التبجيل والإكبار فقد أعادتني الدراسة - والحق يقال - إلى ذكريات طفولتي حيث كنت أرى والدي يقول وهو يضم إلى صدره صحيح البخاري هذا كنز من كنوز الإيمان بعد كتاب الله .

بهذه المشاعر الفياضة القابعة في أغوار الوجدان والمدعمة للاحتكام حاولت بمراجعتي لهذه الدراسة واهتمامي بموضوعها أن أركي عما أفنيت فيه عمري . تتبعت خطوات الباحث وهو يحدد لنا نشأة المدرسة البخارية بالمغرب من أصول وروايات والإجازات وأقسامها إلى شيوخ الرواة والسند والقراء جاثلاً مع الباحث عبر الباب الثاني في مراكز الرواية والدراسة من جوامع ومجالس وزوايا إلى الباب الثالث عن أثر مدرسة البخاري في المغرب . لقد قدم لنا الباحث ذلك في صبر وتبصر محاولاً بناء المدرسة بالمغرب دون أن يغفل شيئاً فجاء بحثه شاملاً جامعاً متميزاً بتسلسل متمتع وبساطة العرض وسهولة المراجعة .

إن الأستاذ الباحث الكتاني من خلال دراسته وبحثه كان - وكما هو شأنه دائماً - وفياً لدينه غيوراً على سنة رسوله ، كما كان وفياً لمغربه وشيوخه ووفياً في النهاية للدار التي ينتسب إليها ولرسالتها الإسلامية . هذا الباحث العصامي الغيور يؤكد لنا أن الأجيال الصاعدة في هذا البلد تؤكد العبقرية المغربية .

الدكتور رشدي فكار
أستاذ الدراسات العليا . كلية الآداب - الرباط .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن أولى ما تصرف إليه النفوس وتبذل فيه الجهود هو الاشتغال بالعلوم المتلقاة من الحضرة النبوية التي مدارها على الكتاب والسنة ، لذلك ينبغي للعالم المسلم أن يحصر اهتمامه ، ويقف جهوده على الاستفادة منها والتخصص فيها بغية الوصول الى سعادة الدارين والفوز بالحسينين .

وقد تصدى الامام البخاري في جامعه للاقتباس من أنوارهما والسير على هديهما حتى أصبح جامعه قبلة الدارسين ومرجع العلماء والمحدثين ، ولعل المكتبة الاسلامية لا تعرف كتابا من كتب البشر الدينية اهتم به العلماء والباحثون ووقفوا جهودهم عليه مثلما تناولوا كتاب الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري، كتابةً وتأليفاً ودراسةً وبحثاً منذ ألف هذا الكتاب وصدر عن صاحبه للناس .

وقد كانت هذه العناية والاهتمام من العلماء مستمرة متصلة ، وهي التي بوأت كتاب البخاري مكان الصدارة في المكتبة الاسلامية ، وجعلته في مقدمتها على الدوام ، كما كانت مظهراً من مظاهر التقدير والاعتبار لهذا التراث العظيم الذي عم المشارق والمغرب .

وكذلك كان شأن هذا الكتاب في المغرب ، فقد تعلق به المغاربة أحسنه ، اهتموا به وأقبلوا عليه منذ وصوله اليهم فعنوا به أعظم عناية

وأحلوه بعد كتاب الله المقام السامي، وقد شملت عنايتهم به واهتمامهم بمظاهر حياتهم السياسية والفكرية والاجتماعية من جميع النواحي وفي سائر المجالات ، فقد حفظوه ودرسوه وكتبوا حوله الشروح والتعليق واختصروه وبحثوا في مشكلاته وألفاظه ووضعوا له التكملات وبحثوا تراجمه وعرفوا برجاله واسناده وأنشأوا حوله الافتتاحيات والختمات ونظموا القصائد والأشعار حول ترجمة صاحبه وفضائله ومزايا صحيحه وكتبه الى غير ذلك من مئات الكتب والآثار التي تزرع بها خزاننا العامة والخاصة ، والتي ما زالت قابضة جامدة تنتظر يدا حانية تمتد اليها لتنفض عنها غبار النسيان والاهمال وتنشرها محررة محققة حتى يستفيد منها هذا الجيل كما استفادت أجيالنا الماضية .

وبذلك وحده تدحض دعاوى باطلة وأقاويل ملفقة تزعم للناس أن المغاربة تركوا الأصول وتعلقوا بالفروع فلو نشر ما كتب حول البخاري وحده لتأكد الناس أن المغاربة كانوا دوماً في المقدمة في هذا الميدان والسباقين في هذا المجال ، وأن ما كتبوه وألفوه حول الجامع الصحيح قد يفوق بكثير ما وضعه غيرهم .

وهذا هو ما دعانا الى الاهتمام بهذا التراث واختياره موضوعاً لمباحثنا ومجالاً لدراستنا رغم ما يحيط بذلك من مصاعب وما يكتنف البحث من مشاق خاصة وأن المراجع والوثائق في هذا الباب عزيزة نفيسة .

وقد بدا لنا الموضوع محاطاً بالصعوبات في أول الأمر ، غير أننا لم نلبث أن صح عزمننا وقويت إرادتنا بفضل ما عثرنا عليه من ذخائر وما وجدنا من وثائق .

وكان طبعياً أن نشد الرحال الى جهات متعددة لجمع الوثائق من مصادر ومراجع متنوعة ، وأن نتردد من أجل ذلك على الزوايا ونبحث

في بطون المكتبات وخباياها ، هذا بالإضافة الى التنقيب في الخزائن العامة والخاصة على حد سواء مستنيرين بتوجيهات وارشادات علمائنا وشيوخنا ، وقد كان بعضهم ظنينا بما عنده بينما كان أغلبهم مفتوح الصدر ميسور اللقاء سمحاً كريماً .

وجدير بالذكر أن من بين الوثائق التي عثرنا عليها وثائق لم تنشر من قبل ووثائق أخرى غير معروفة ، وهذا ما أهلنا أن نقدم للنشر ولأول مرة على حد علمنا أول شروح البخاري وهذا خير ما نعتز به ونحن نستقبل قرناً جديداً من مسيرة ديننا الخالد .

وقد لاحظنا أن ثاني شروح البخاري كتبه المغاربة ممثلين في أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي المتوفى سنة 402 هجرية ، ونأمل في مستقبل الأيام بفضل الجهود المكثفة أن نوفق للعشور على هذه الدررة الثمينة .

كما استطعنا أن نكتشف أيضاً لدى علمائنا بالصحراء المسترجعة تراثاً حديثاً عظيماً ، وخاصة حول هذا الكتاب ، فقد وجدنا أعظم شروح البخاري في هذا العصر وهو كتاب « النهر الجاري في صحيح البخاري » للشيخ محمد سالم المجلس في سبعة أسفار ضخام ، وقد عرفنا به وبصاحبه وسلطانا عليه بعض الأضواء عساها تبلغ المسؤولين عن الثقافة والفكر في بلادنا فيمدوا اليه يد العناية والرعاية ليخرج من الظلمات الى النور .

وقد قادنا البحث والتنقيب للعشور على الكثير من التراث العلمي المغربي في الحديث ، وحول البخاري، بعضه مما يتفرد به المغاربة ويمتازون كافتتاحيات البخاري، وبعضه شاركوا فيه غيرهم ونبغوا فيه كالختمات وأدبها الى غير ذلك من الاسانيد العالية والاجازات السامية

التي تنشر لأول مرة ، مما يزخر به هذا الكتاب من موضوعات ووثائق وتراث .

وانطلاقاً من هذه المصادر والمراجع المتعددة في عطاءها المتنوعة في انتمائها واجتهادها، اتضحت لنا المعالم الرئيسية لبحثنا ومخططة ومنهجه ، فقد أملت علينا هذه المصادر والمراجع الى جانب طبيعة البحث وتسلسله عبر مراحل متتالية منها تاريخياً في حركته تحليلياً في مواجهته واستنتاجاته ومخططاً متكاملًا يشتمل على :

مدخل وثلاثة أبواب

وقد خصصنا المدخل للكلام على رواية الحديث بالمغرب قبل وصول الجامع الصحيح ، وأثبتنا ان الموطأ نقل الى المغرب على عهد الامام إدريس بوساطة قاضيه عامر القيسي في النصف الاخير من القرن الهجري الثاني .

وجعلنا الباب الأول لنشأة مدرسة البخاري في المغرب وتطورها تكلمنا فيه عن كيفية وصول الصحيح الى المغرب وعن أول من أدخله وعن أوائل رواته وعن الروايات الأولى للصحيح بالمغرب مسهبين في الحديث عن الثلاث المشهورة منها :

الرواية الصدفية ، حيث عرفنا بصاحبها وبروايته وتحدثنا عن صحتها وتحققها واكتشافها وملكية المغرب لها ومحاولة نقلها وعن آراء العلماء فيها .

والرواية السعادية ، ترجمنا لصاحبها وتكلمنا عن روايتها وصحتها وفروعها ، وقراءة العلماء بها ، وسماعاتهم عليها ، وتنقلاتها ، وتنزيل المغاربة لها وآرائهم فيها وسند الكتانين اليها .

والرواية اليونينية ، حيث عرفنا بها وبصاحبها وفروعها وعن أول من نقلها الى المغرب .

كما تكلمنا عن الاصول الباقية من روايات الصحيح بالمغرب و تحدثنا عن تاريخ الاجازة بالمغرب تناولنا الكلام أولاً عن الاجازة: تعريفها وألفاظها وشروطها ، وأنواعها ، وأقسامها وآراء العلماء فيها .

ثم تكلمنا عن تاريخ الاجازة في المغرب وأهميتها ، وعن أوائل الاجازات وأقسامها من علمية وتقديرية وتكريمية وعامة وأتينا بنماذج شهيرة لكل قسم ، وعن إجازة النساء للرجال ، وعن رأي طريف للشيخ محمد بن العربي العلوي أنكر فيه الاجازة بالمروى خلافاً لجمهور المحدثين .

وتحدثنا عن التدبير ، وجمع الاجازات تحتمين هذا الفصل بالحديث عن الاستدعاء وأنواعه مستشهدين بأمثلة ونماذج لاستدعاءات نثرية ونظمية .

كما ترجمنا لشيخ مدرسة البخاري في المغرب بدءاً بالإمام الاصيلي الى الرحالي الفاروق ، حيث عرفنا بأكثر من خمسين من شيوخ الحديث وأساتذته في مختلف الازمنة والعهود .

وأتينا بنماذج فريدة من سند المغاربة الى صحيح البخاري مرتبةً ترقياً زمنياً .

وتحدثنا بعد ذلك عن سلسلة الذهب الحديثية المغربية حيث كنا أول من ينظم عقدها ويبرز أفرادها الأربعة وهم رضوان الجنوي والإمام لقصار والعارف الفاسي وعبد القادر الفاسي على غرار سلسلة الذهب لحديثية المشهورة .

وخصصنا الفصل الاخير من هذا الباب للحديث عن قراء البخاري وحفاظه ونساخه وأشهر نسخه .

وجعلنا الباب الثاني خاصا بمراكز رواية الصحيح في المغرب .
تحدثنا في الفصل الاول عن المجالس الحديثية في مختلف العهود والدول التي مرت منذ عهد الموحدين فالمرينيين ، فالوطاسيين ، فالسعديين ، فالعلويين ، متتبعين مراحل تلك المجالس على عهد أشهر ملوكنا معرفين بها مترجمين لأبرز المحدثين فيها .

وخصصنا العهد الحسني الحالي بالكتلام عن معالم الفكر الاسلامي في عهد الحسن الثاني متحدثين عن معلمتين أساسيتين فيه وهما : المجالس الحسنية ودار الحديث الحسنية .

ثم تكلمنا في الفصل الثاني عن الجوامع كمراكز للرواية والدراية في المغرب متتبعين نشاطها وأدوارها في مختلف العهود الى العصر الحالي متحدثين عن ظاهرة كراسي الحديث ، وما كان لها من أثر على الثقافة والفكر .

وخصصنا الفصل الثالث من هذا الباب للحديث عن الزوايا ودورها في نشر الصحيح وروايته حيث عرفنا بالرباط والزاوية ، وفصلنا القول فيها متحدثين عن دور أشهر الزوايا بالمغرب كالدلائية والفاسية والعياشية والناصرية والكتانية .

وقد ختمنا كل فصل من فصول هذا الباب بمبحث مستقل استخلصنا فيه آثار المجالس والجوامع والزوايا في نشر الصحيح .

كما خصصنا الباب الثالث للحديث عن آثار مدرسة البخاري في المغرب فتحدثنا في فصله الأول عن أثر الصحيح في الحياة الاجتماعية متكلمين عن مظاهرها في العبادة والأعراف والتقاليد والأزمات والحروب

وغيرها .

ثم تحدثنا عن الأقباس على قراءة صحيح البخاري وقرائه ووقف القصور والأراضي من أجل ذلك .

كما تحدثنا في الفصل الثاني عن أثر الصحيح في الحياة الفكرية وعن ازدهار حركة التأليف حول البخاري متكلمين عن الشروح المغربية للصحيح معرفين بأشهرها ، وعن الحواشي والتعليق والمختصرات والكتب العامة حوله وحول رجاله .

ثم ختمنا هذا الباب بالحديث عن الافتتاحيات وتعريفها وعناصرها دارسين بعض الافتتاحيات النموذجية ، ثم تكلمنا عن ختمات البخاري : تعريفها ومناسبتها ودعواتها دارسين أدب الختمات تعريفاً وعناصر ، متكلمين عن أول قصيدة معروفة ، كما أتينا بنماذج منها إلى العصر الحاضر .

وقد حاولنا أن نقنطدي وننأسى بأستاذنا البخاري رحمه الله ، فبيضنا بعض فصولها ، وترجمنا لبعض شيوخ مدرسة البخاري ورجالاته بالحرمين الشريفين حول الروضة الشريفة وبجانب المقام والمواجهة وبالحرم المكي في رحابه الزاهرة وجناته العاطرة .

ورغم ما عانيناه في أثناء البحث وما قدمناه من وثائق وذخائر وما طرقلناه من موضوعات قد نكون أول من طرقها وبحث فيها فلا نعتقد أننا وصلنا الى ما كنا نؤمل ، راجين أن يكون هذا العمل خطوة بناءة في مجال البحث والدراسات الحديثية ، وأن يدفع الدارسين الى مزيد من الاستقصاء والتنقيب .

وبعد فإن كان لهذه الدراسة من أمل نرجوه فهو إسهامها في تحقيق أهداف دار الحديث ومراميتها ومقاصد وغاية مؤسسها إذ أن

موضوعها يتعلق بالحديث ورجاله بل بأهم كتاب حديثي هو الكتاب الثاني بعد القرآن ، كما أنها تسهم في التاريخ الدقيق والبحث العميق حول مدرسة الامام البخاري في المغرب وأدوارها وتاريخ رجالها وشيوخها واكتشاف أهم آثارهم الفكرية حول الصحيح .

هنيئاً لأصحاب خير الورى وطوبى لأصحاب أخباره
أولئك فازوا بتذكيره ونحن سعدنا بتذكاره
وهم سبقونا الى نصره وها نحن اتباع أنصاره
ولما حرمنا لقاء عينه عكفنا على حفظ آثاره

والله أسأل حسن معونته وأرغب اليه في توفيقه وهدايته وهو
حسبي وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

الباب الأول

نشأة

مدرسة البخاري في المغرب
وتطورها

الفصل الأول

كيفية وصول صحيح البخاري
إلى المغرب

أول من أدخل البخاري إلى المغرب
أوائل الرواة المغاربة للصحيح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حول رواية الحديث بالمغرب قبل
وصول صحيح البخاري

دين الله أفواجاً وأسلموا للمولى إدريس الفاتح الزمام والقيادَ وقلدوه أمر
البلاد والعباد .

ولم يكد يستتب أمر الأمن في البلاد ويستقر نظام الدولة
الإدرسية وتتوطد أركانها حتى ظهرت حركة فكرية أخذت تنتشر في
ربوع الدولة الفتية الجديدة وأنحائها وظهرت مراكز ثقافية وخاصة في
سبتة وطنجة والبصرة وأصيلا⁽³⁾ وظهر علماء وكتاب .

وهكذا إلى أن وجدت هذه الحركة الثقافية المزدهرة ملاذها
ومستقرها في الجامعة الجديدة الفتية والمركز الثقافي الجديد جامع القرويين
الذي تأسس سنة 245 للهجرة على يد المحسنة الفاضلة أم البنين فاطمة
الفهرية والذي أصبح مصدر إشعاع الفكر والثقافة لا في المغرب وحده
بل في العالم الاسلامي كله باعتباره أقدم جامعة علمية في العالم
الاسلامي⁽⁴⁾ .

إن مبدأ الارتكاز في هذه الحقبة بالذات هو ظهور المذهب المالكي
بالمغرب في الفقه والاعتقاد وسيطرته على المذهب الكوفي الذي كان سائداً
آنذاك وكانت له الصولة بالمغرب ويرجع السبب في سيطرة المذهب
المالكي بمجرد ظهوره الى تأسيس الدولة الادريسية في النصف الأخير من
القرن الثاني للهجرة ومجيء المولى إدريس الى المغرب وانتصاره لمالك
ومذهبه⁽⁵⁾ .

ذلك أنه لم يكد يستقر الأمر بالمغرب لادريس بن عبد الله ومن

(3) النبوغ المغربي 1/ 47

(4) الكتاب الذهبي ص - 132

جامع القرويين 1/ 113

(5) الازهار العاطرة ص 130 نقلا عن مقدمة ابن خلدون ونظم الدر والال والإشراف على بعض من

بنفاس من الإشراف .

النبوغ المغربي 1/ 48 .

حول رواية الحديث بالمغرب قبل

وصول صحيح البخاري

لم يستفد المغرب مبكراً من علوم العرب وآدابها لأسباب مختلفة
كثيرة منها :

انعدام الاستقرار وقلة الأمن مما أدى الى توالي الفتوح وارتداد
البربر أكثر من اثنتي عشرة مرة كما أكد ذلك ابن أبي زيد القيرواني
" ، كما أن بُعد المغرب عن مواطن العرب الأصلية بالإضافة الى
عدم تفهم السكان الأصليين للدعوة الاسلامية ومقاصدها وغاية الفاتحين
من فتح بلادهم ، بسبب جهلهم باللغة العربية ، كل ذلك أدى إلى بطء
نهضة المغاربة وتأخر تعليمهم وظهور المثقفين والمفكرين فيهم .⁽¹⁾

ومن أجل ذلك اتجه الفاتحون الى تكليف العلماء بنشر الدعوة
الاسلامية وتعليم الناس وبيان مقاصد الاسلام وأهدافه حتى اذا بدأت
الثقافة تغزو البلاد وبدأ التعليم ينتشر بين الناس وأخذت مفاهيم الدين
ومقاصده مكانها في قلوب أهل البلاد وعقولهم وجاء الفتح الاسلامي
الأخير على يد إدريس بن عبد الله وجد المناخ صالحاً والجو مناسباً مهياً ،
وأقبل أهل المغرب قاطبة على الفاتح الجديد بقلوبهم وعقولهم ودخلوا في

(1) الاستقصا 1/ 46 الطبعة المصرية

(2) النبوغ المغربي 1/ 45 46

بعده لابنه إدريس الأزهر وتأسيس مدينة فاس واتخاذها مستقراً للدولة الجديدة وعاصمةً ومركزاً حتى دعا إدريس الأزهر أتباعه وأعوانه وبطانته وعلماء دولته الى اتباع مالك والعمل بروايته في الموطأ عن جده عبد الله الكامل متخذاً المذهب المالكي مذهباً جديداً للدولة بدلاً من المذهب الكوفي الذي كان سائداً بالمغرب معلناً ذلك بقولته الخالدة :

« نحن أحق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه » (يعني الموطأ)⁽⁶⁾ .

ولم يقف الأمر عند دعوة المغاربة الى اتباع مذهب مالك وتحبيه اليهم وترغيبهم فيه بل لقد أصدر المولى إدريس أمره للولاء والقضاة بنشر كتاب الموطأ وقراءته⁽⁷⁾ واتخاذ مذهباً رسمياً للدولة مما أدى الى ترك ما عداه من المذاهب التي كانت منتشرة بالمغرب كالخارجي والبورغواطي والاعتزالي وغيرها⁽⁸⁾ .

وقد سجل محمد بن جعفر الكتاني في الأزهار العاطرة ظاهرة اكتساح المذهب المالكي لما عداه من المذاهب بالمغرب بقوله : « قد نقل في نظم الدر والآل في شرفاء عقبه بن صوال وكذا في الإشراف على بعض من بفاس من الأشراف عن ابن خلدون أن هذا الامام رضي الله عنه هو الذي حمل أهل المغرب على مذهب مالك رضي الله عنه ونصه فيها :

« وحمل أهل المغرب على مذهب مالك كما في ابن خلدون وكانوا قبل ذلك على مذهب الأوزاعي كما لعياض في المدارك والغالب أنه لا يحملهم الا على المذهب الذي يختار لنفسه اتباعه فيكون هو أيضاً على مذهب

(6) الأزهار العاطرة ص 131 جامع القرويين 1 / 118

(7) الأزهار العاطرة ص 130

(8) المدارك 1 / 65 تاريخ الجزائر العام 1 / 219

النبوغ 1 / 48 جامع القرويين 1 / 118

وقد كان المذهب الخارجي منتشراً في إمارة بني مدرار في سجلماسة والبورغواطي بتامسنا والاعتزالي وقد كان مذهب أمير أوروبا عبد الحميد .

مالك ، بل جزم المقرئ في كنوز الأسرار بأنه كان على مذهبه هو وجميع أهل المغرب الأقصى في عصره بأمره لهم باتباعه . . .⁽⁹⁾ .

لقد أصبح المذهب المالكي منذ العهد الإدريسي مذهب المغاربة جميعاً فقهاً واعتقاداً ونظاماً وما زال الى الآن ويرجع الفضل في ذلك الى المولى إدريس الذي دعا وأقر وعمل من أجل مغرب موحد المذهب والعقيدة والمحارب والحرف والتلاوة الأمر الذي جنب بلادنا كثيراً من الخلافات والنزاعات التي عرفها اخواننا في الشرق بسبب تعدد المذاهب والفرق⁽¹⁰⁾ .

ومنذ ذلك الوقت عرف المغرب حركة علمية مزدهرة بدأها إدريس الأكبر وغذاها خلفه إدريس الأزهر كما ساعد عليها وغذاها نخبة من أبناء المغرب الأبرار وخاصة الذين هاجروا الى الشرق للحج والرواية والمعرفة فأخذوا عن علمائها ورووا ونقلوا علوم الاسلام وكتبه حتى إذا عادوا الى المغرب حملوا معهم كتب الفقه والحديث وأخذوا في نشرها بين الناس .

وفي هذا المجال ننقل ما رواه الكتاني في الأزهار العاطرة أن كتاب الموطأ كان أول كتاب حديثي نقل في عهد المولى إدريس الأزهر الى المغرب نقله قاضيه عامر بن محمد القيسي وفي ذلك يقول : « . . . وذلك أنه لما ذكر أن قاضي هذا الامام هو عامر بن محمد القيسي قال ما نصه : سمع مالكا وسفيان الثوري وروى عنهما مؤلفاتهما وقدم بها الى المغرب فسمع منه ما رواه إدريس بن إدريس وغيره من علماء الوقت بالمغرب وتبعه في تقليده لمالك وعلى مذهبه كان إدريس وجميع العلماء من أهل

(9) الأزهار العاطرة ص 130

(10) جامع القرويين 1 / 118

« بين المذاهب الاسلامية والوحدة العربية » عبد افادي بوطالب .

المغرب الأقصى بسبب تقليد إدريس وتحصيله كتاب الموطأ وحفظه له ، وكان سبب اشتهار مذهب مالك بالمغرب واقتصارهم عليه أمر إدريس لهم باتباعه رواية مالك في الموطأ عن جده عبدالله الكامل . . . » (11)

كما نذكر من هذه النخبة طائفة من العلماء كان لهم الفضل في ازدهار الحركة الثقافية ونموها بالمغرب حيث رحلوا ورووا وأخذوا ثم رجعوا فعلموا وأفادوا أمثال أبي هارون البصري الذي كان أول من أدخل كتاب ابن المواز وأحمد بن الفتح المليبي ودارس بن اسماعيل وابن العجوز وأبي جيدة بن أحمد وأبي محمد الأصيلي وعيسى بن سعادة وغيرهم . (12)

وباستقطاب المذهب المالكي في المغرب واتخاذه المذهب الرسمي للدولة اتجه الاهتمام الى كتاب « الموطأ » الذي يعتبر أول الكتب الحديثية المنقولة الى المغرب والمدرسة فيه خاصة وأنه يعتبر أول مصنف حديثي في الاسلام على الاطلاق بل أول تدوين للحديث والفقه وأول كتاب جمع الحديث مبوياً مدوناً حتى ذهب صاحب كشف الظنون الى أن الموطأ أول كتاب ألف في الاسلام وأن مالك أول من وضع اسماً لكتابه بموافقة سبعين من علماء عصره . (13)

والى ذلك يشير صاحب الفكر السامي بقوله :

« فصنف مالك الموطأ وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وبوبه على أبواب فأحسن ترتيبه وتبويبه فكان كتاباً حديثياً فقهيّاً جمع بين الأصل والفرع فهو أول تدوين يعتبر

(11) الازهار العاطرة ص 130

(12) النبوغ 1 / 48 = جامع القرويين 1 / 119

(13) المدارك 1 / 80

الفكر السامي 2 / 114 - 115

في الحديث والفقه إذ أقبل الخلق عليه وانتفعوا منه لتحريره في النقل وانتقاء أحاديثه ورجاله وفصاحة عبارته وحسن أسلوبه الذي استحسنته كل من بعده الى الآن وهو أول من تكلم في أصول الفقه وفي الغريب من الحديث وفسر كثيراً منه في الموطأ هذا » (14)

وبذلك يكون الامام إدريس الأزهر أول من حمل « الموطأ » في عهده الى المغرب وأول من دعا الناس الى تعلمه واتباعه وأول من حملهم على اتخاذ المذهب المالكي مذهباً رسمياً للدولة وأصبح بالتالي المذهب الجديد الذي اكتسح ما عداه من المذاهب التي كانت منتشرة بالمغرب وأصبحت له السيادة المطلقة في أنظمة الدولة وجامعاتها وسائر مرافقها فقهاً واعتقاداً ونظاماً وتشريعاً .

وإذاً يكون كتاب الموطأ للامام مالك أول الكتب الحديثية المنقولة الى المغرب والمدرسة فيه منذ عهد إدريس الأزهر حيث أصبح المادة الأساسية الأولى للدراسة والتعليم والفقه والاستنباط واحتل الموطأ زوايا القرويين وسائر حلقات الدرس فيها وفي غيرها .

وإذا كان ظهور الدولة الادريسية وتأسيسها بالمغرب سبباً في انتشار المذهب المالكي وتأصيله في سائر أنحاء البلاد وبالتالي طغيان كتاب الموطأ على غيره من الكتب فإن تأسيس جامع القرويين في منتصف القرن الثالث الهجري قد ركز هذا الانتشار وساعد عليه ما صاحب هذا التأسيس من ظاهرة انتشار المدارس والخزائن العلمية انتشاراً مدهشاً في فترة وجيزة جداً تلت تأسيس جامع القرويين وكان لذلك كله الفضل الأكبر في زيادة الاهتمام بكتاب الموطأ باعتباره الكتاب الأم للمذهب المالكي حتى أن الامام يحيى الرابع (307 - 992) كان يتوفر على

(14) الفكر السامي 2 / 114

عدد من الوراقين لا شغل لهم إلا نسخ الكتب . . (15).

وقد استمرت هذه الظاهرة في الانتشار وزاد الاهتمام بالموطأ والعناية به طوال عهد الأدارسة ومن بعدهم الزناتيين والمرابطين إلى بداية الدولة الموحدية التي اعتبر قادتها أن في حصر الاهتمام بكتب الفروع إجهازاً على الفكر وسداً لباب الاجتهاد (16).

هذا ، ومن المؤكد أن العلماء اهتموا أول ما اهتموا بأحاديث أحكام الفروع ثم أقبلوا بشغف وعناية على كتاب الموطأ فأخذوه رواية واجازة وشرحاً ثم حفظوه وفهموه ودرسوه وعلقوا عليه وشرحوه وكانوا من أوائل شراحه حيث وضع عليه أبو جعفر الداودي التلمساني المتوفى سنة 402 شرحاً سماه « النامي في شرح الموطأ » (17).

وقد ظل المغاربة مقبلين على الموطأ باعتباره الكتاب الأساسي للمذهب وأول كتب الحديث الواصلة إليهم ولم يكديحل القرن الرابع الهجري حتى كان المذهب المالكي قد انتشر واستقر في المغرب وتركزت أصوله وفروعه في سائر مرافق الحياة عند ذلك اتجهت أنظار المغاربة إلى بقية كتب الحديث الصحيحة وفي مقدمة هذه الكتب الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري حيث أخذ العلماء يحجون ويرحلون إلى الشرق لسماعه وأخذوه عن رواته الأولين (18).

نذكر في هذا الباب أبا محمد الأصيلي الذي كان من أوائل من رحلوا ونقلوا الجامع الصحيح (19).

(15) جامع القرويين 1 / 123

المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب للبكري ص 125 وما بعدها القرطاس ص 28

(16) جامع القرويين 1 / 127 - 128

(17) مخطوط بخزانة القرويين رقم 40 / 175

(18) البخاري واهتمام أهل المغرب به وبالجامع الصحيح للاستاذ مصطفى كمال التارزي .

دعوة الحق 9 ص 16 محرم 1395 هـ يناير 1975

(19) النبوغ 1 / 51

وبذلك تمتد الفترة التي استقطب فيها الموطأ اهتمام المغاربة وعنايتهم منذ الفتح الإدريسي وما بعده إلى منتصف القرن الرابع الهجري حيث بدأ الاهتمام والعناية ببقية كتب الحديث وفي مقدمتها البخاري ومسلم عندما نقلت الرواية الأولى لصحيح البخاري بوساطة العلماء الذين رحلوا للحج والرواية ونقلوه إلى المغرب .

وبذلك يكون كتاب الموطأ للامام مالك أول كتاب حديثي اجتمعت إليه عناية المغاربة واهتمامهم به قبل أن يتجهوا ويقبلوا على الجامع الصحيح للامام البخاري رضي الله عنه .

الفصل الأول

كيفية وصول صحيح البخاري
إلى المغرب

أول من أدخل البخاري إلى المغرب
أوائل الرواة المغاربة للصحيح

الباب الأول

نشأة

مدرسة البخاري وتطورها
في المغرب

المبحث الأول

أول من أدخل البخاري الى المغرب

إذا كان كتاب الموطأ أول كتاب حديثي دون في الاسلام وكان المادة الأساسية العظمى لسائر كتب الحديث التي ألفت ودونت بعده وخاصة الكتب الستة فإن الكتاب الذي نال من اهتمام العلماء منذ أُلّف الى الآن ما لم ينله كتاب آخر غيره - حتى كتاب الموطأ نفسه - هو الجامع الصحيح للإمام البخاري رضي الله عنه (194 - 256) والذي صار منذ تأليفه واخراجه للناس المصدر الأساسي والمرجع الأول لجميع كتب الحديث وأصبح مدار حلقات الدرس واستقطب اهتمام العلماء والدارسين إلى اليوم وما زال ونعت بما لم ينعت به كتاب قبله ولا بعده حتى أصبح الكتاب الثاني في الاسلام ⁽¹⁾ لأنه أصبح كتاب بعد كتاب الله تعالى ⁽²⁾ وسمي صاحبه أمير المؤمنين في الحديث وأستاذ الأستاذين كما سماه الإمام مسلم رحمه الله ⁽³⁾ .

وإذا كان المولى إدريس الأزهر تبنى كتاب الموطأ بعد أن حمله إلى المغرب قاضيه عامر بن محمد القيسي ⁽⁴⁾ وحمل المغاربة على اتخاذه

(1) التنويه والاشادة ص 1

(2) طبقات الشافعية 4 / 2

(3) طبقات الشافعية 9 / 2

(4) الازهار العاطرة ص 130

كتاب عقيدة ومذهب حيث استجاب أهل المغرب لدعوته واقبلوا على المذهب المالكي واعتنقوه حتى طغى على ما سواه من المذاهب التي كانت معروفة في المغرب آنذاك وظل الأمر كذلك الى أن أخذت ترد على الأندلس وافريقيا رواية صحيح البخاري وعنهما إلى المغرب .

وإذا كان الأمر كذلك فيمكننا أن نتساءل عن كيفية وصول الجامع الصحيح الى المغرب ؟ وعن رواه بالمغرب أولاً ؟ وعن رواته الأولين ؟

لقد كان أبو الحسن القاسبي (ت 403) أول من أدخل رواية البخاري إلى القيروان كما أكد صاحب شجرة النور الزكية⁽⁵⁾، كما أن أبا حفص عمر بن الحسن الهوزني وصعصعة بن سلام الشامي كانا أول من أدخل الصحيح الى الأندلس عموماً⁽⁶⁾.

ولا جدال في أن أبا محمد الأصيلي من أوائل رواة الصحيح، وعنه أخذ المهلب بن أبي صفرة شارحه، وبه حيي كتاب البخاري في الأندلس كما قال أبو الاصبغ بن سهل⁽⁷⁾.

فإذا كان حيي بتلميذه فيكون الأصيلي رائد رواته وقد ذكر ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس⁽⁸⁾ أن حباشة بن حسن اليحصبي (ت 374) (سمع كتاب البخاري من المروزي فانصرف الى الأندلس ولزم العبادة ودراسة العلم والجهاد) .⁽⁹⁾ وإذاً يكون حباشة والأصيلي من

(5) شجرة النور الزكية ص 97 رقم 230

(6) النفع 85 / 3

(7) جذوة المقتبس للحميدي ص 227 ط 1952

(8) تاريخ علماء الأندلس 1 / 128 .

(9) المصدر السابق 1 / 128

الرواة الأولين الذين أدخلوا الجامع الصحيح الى الغرب الاسلامي وقد نزع أن حباشة كان من السباقين في هذا الميدان .

وإذا كان أبو محمد الأصيلي أول من روى عنه الصحيح من طرف بعض المغاربة وبسببه دخل الى المغرب فهو أول من روى عنه الصحيح بالمغرب⁽¹⁰⁾ خاصة وأنه أول من سمع الصحيح رواية عن أهل الأندلس عن المروزي⁽¹¹⁾ .

لقد كان وصول الجامع الصحيح الى الغرب الاسلامي عن طريقين :

(1) طريق النسفي (295 - 908) .

(2) طريق الفربري (320 - 932) .

وقد أكد ذلك القاضي عياض في المشارق بقوله :

« ولم يصل إلينا من غير هذين الطريقتين عنه ولا دخل المغرب والأندلس إلا عنهما على كثرة رواية البخاري عنه لكتابته »⁽¹²⁾ .

غير أن الطريق التي اشتهرت في المغرب وفي العالم الاسلامي كانت طريق الفربري لأنها الرواية التي اتصلت بالسماع أكثر من غيرها وفي ذلك يقول الحافظ بن حجر :

« والرواية التي اتصلت بالسماع في هذه الأعصار وما قبلها هي رواية محمد بن يوسف بن مطر الفربري (320)⁽¹³⁾ لأن صاحبها آخر من

(10) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 3

(11) صحيح الامام البخاري بخط الحافظ الصدفي للدكتور عبد الهادي التازي . دعوة الحق عدد 8 ص

15 صفر 1393 / مارس 1973

(12) المشارق لعياض 9 / 1 . التنويه والاشادة ص 2 و 3

(13) مقدمة الفتح ص 493 - التنويه والاشادة ص 3

روى صحيح البخاري فهو أتقن الرواة عنه وآخرهم سماعاً عنه وحياءه بعده» .

وقد دخلت هذه الرواية الى المغرب في وقت مبكر وانتقلت بوساطة روايات اشتهرت منهاست يتصل أصحابها جميعاً بالفريري وهذه الروايات هي :

رواية ابن السكن والمروزي والجرجاني والمستملي والسرخسي والكشميهني .

وعن المروزي والجرجاني روى الصحيح أبو محمد الأصيلي فهما عمدته في سنده الى الجامع الصحيح . قال القاضي عياض في المدارك :

« وحج (أي الأصيلي) سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة فلقي بمكة أبا زيد المروزي وسمع منه البخاري . . . وسمع ببغداد عرضته الثانية من أبي زيد وسمعه أيضاً من أبي أحمد الجرجاني وهما شيخاه في البخاري وعليهما يعتمد . . . » (15)

وقد كان رفيق الأصيلي في رحلته الى الحج والسماع وتلقي الصحيح صديقه أبو الحسن القاسبي (403) الذي روى عن خصوص المروزي وكان الإمام الأصيلي هو الذي ضبط له سماعه عن هذا الأخير (المروزي) للجامع الصحيح (16) .

وعن أبي محمد الأصيلي وأبي الحسن القاسبي روى الجامع الصحيح أبو عمران الفاسي (430) وعن طريق هذا الأخير يتصل

(15) المدارك 4 / 643

(16) المدارك 4 / 617 - فهرس ابن خير ص 98 .

عياض بالقاسبي وابن عطية بالأصيلي ١٧ .

إذاً يكون الامام الأصيلي أول من روى عنه الصحيح بالمغرب وقد رواه عنه مباشرة ونقله أبو عمران الفاسي وعنه رواه جمع من المحدثين بالاندلس كما يؤكد ذلك ابن الفرضي بقوله :

« ثم وصل الى الاندلس في آخر أيام المستنصر قشور وقرأ عليه الناس كتاب البخاري رواية ابن زيد المروزي وغير ذلك » (18) .

وكان من أصحاب الأصيلي بالاندلس تلميذه المشهور المهلب بن أبي صفرة أبو القاسم بن أحمد التميمي المري (435) (19) .

كما لا ننسى أن نذكر في هذا المجال بعد الأصيلي والقاسبي راوية أندلسياً عن المروزي نفسه اشتهر برواية الصحيح هو عبدوس بن محمد الطليطي (390) (20) .

وأما ما ذهب اليه المقرئ في نفح الطيب من « أن أبا حفص الهوزني هو الذي أدخل صحيح البخاري الى المغرب وعنه أخذه الناس . . . » (21) .

فليس بصحيح إذ أن رحلة أبي حفص الى الشرق كانت سنة 444 بينما تأخرت وفاته الى سنة 460 وذلك يترتب عليه أن دخول الجامع الصحيح الى المغرب كان في منتصف القرن الخامس الهجري ، وهذا يتعارض مع النصوص الثابتة والصحيحة والمؤكدة أن الصحيح دخل الى المغرب في منتصف القرن الرابع الهجري أي قبل هذا الوقت

(17) فهرس ابن خير ع . خ . ع . ص 5

(18) تاريخ علماء الاندلس ص 760 - معجم البلدان 1 / 278

(19) المدارك 4 / 752 .

(20) المشارق 1 / 7 - بغية الملتزم ع . 1266

(21) النفح 2 / 93

بقرن كامل .

يؤيد هذا ويشهد له ما رواه أبو سعيد « في المغرب من حل
المغرب » أن الهوزني روى كتاب الترمذي في الحديث وعنه أخذ أهل
المغرب (22)

وإذاً يكون القاسي أول من أدخل رواية البخاري الى أفريقيا
(القيروان) (23) وأول من سمع الصحيح وروى عنه بالمغرب عن
الأندلسيين عن المروزي هو أبو محمد الاصيلي .

المبحث الثاني

أوائل الرواة المغاربة للصحيح

إذا كان الامام أبو محمد الاصيلي أول من روي عنه صحيح
البخاري بالمغرب في منتصف القرن الرابع الهجري بروايته عن الامام
المروزي في أثناء حجه ، فإن رواية آخرين كان لهم فضل الريادة والسبق
في هذا الميدان واشتهروا كأوائل رواية مغاربة للصحيح .

ويمكننا أن نذكر من هؤلاء الرواة أربعة عرفوا بالسبق في رواية
الصحيح بالمغرب عن أبي ذر (1) وانفرد وتميز من هؤلاء الأربعة ابن
الغرديس الذي اقترن اسمه برواية الصحيح في المغرب وهؤلاء هم :

1 - أبو بكر بن محرز السجلماسي . سمع منه سنة 413 هـ حوالي
1022 - 1023 ميلادية

2 - يوسف بن حمود خلف الصدي في السبتي المتوفى سنة 428
الموافق 1036 - 37 م (2)

3 - أبو عمران الفاسي بن موسى بن عيسى بن أبي حاج
الفغجومي 430 - 1038 (3)

(1) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 5

(2) ترجم له في المدارك 4 / 721 - 723 . والصلة ع . 1511 وبغية الملتسع . 1438

(3) (المدارك 4 / 703

(22) المغرب في حل المغرب . 239 - سعيد أعراب . دعوة الحق ع . 1 س .
17 - 1395 / 1975

(23) شجرة النور الزكية ص 97 .

4 - ابن الغرديس بكار بن برهون بن عيسى الثعلبي الفاسي السجلماسي، كان بقيد الحياة سنة 493 - 1099 - 1100⁽⁴⁾ .

وعن ابن الغرديس يقول ابن الابار في معجمه :

« وكان قد حج قديماً وسمع صحيح البخاري من أبي ذر الهروي وعمر طويلاً حتى انفرد بروايته . . . ثم قال : إنه بلغ المائة أو أربى عليها وبيته شهر بمدينة فاس وتربى هو بسجلماسة . . . »⁽⁵⁾ .

كما تحدث الامام المنجور في الفهرست الكبرى عن ابن الغرديس وعن طول عمره حتى انفرد بالرواية وحتى كثر تلاميذه والرواة عنه يقول :

« عمر طويلاً نحو مائة سنة وسمع في رحلته من أبي ذر الهروي فقصده للرواية كثير كأبي القاسم بن ورد وغيره . . . »⁽⁶⁾ .

أشهر الرواة عن ابن الغرديس :

كان ابن الغرديس أول من اشتهر عنه صحيح البخاري بالمغرب لطول عمره وانفراده بالرواية عن أبي ذر وكثرة الرواة عنه والتلاميذ الذين نذكر بعض من اشتهر منهم مغاربة وأندلسيين :

أ (يوسف بن عيسى بن علي الازدي الفاسي المعروف بابن الملجوم توفي سنة 492 - 1099⁽⁷⁾ .

ب (محمد بن علي بن أحمد الانصاري الشاطبي المعروف بابن الصيقل استوطن فاساً وتوفي بها عام 500 للهجرة 1106 - 1107 .

(4) لا تعرف ترجمته وقد ذكره ابن الابار في المعجم في أثناء ترجمة أبي القاسم بن ورد رقم 17 .

(5) معجم ابن الابار رقم 17

(6) الفهرست الكبرى للمنجور

(7) الذيل والتكملة - مجلد الغرباء مصورخ . ع . د . 1705 لوحة 208 و 209 .

وقد اتصل بابن الغرديس كسابقه بسجلماسة وسمع منه بها⁽⁸⁾ .
ج (محمد بن إدريس الجدامي الغرناطي المتوفى سنة 523 - 1132 - 1133 .

وقد ترجم له ابن الابار في التكملة بقوله :

« روى عن بكار بن الغرديس وحديث بصحيح البخاري عنه عن أبي ذر الهروي . . . وروى عنه أبو خالد بن رفاعة . . . »⁽⁹⁾ .

د (ابراهيم بن أحمد بن خلف السلمي الفاسي الشهير بابن فرتون المتوفى سنة 538 - 1143 .

وقد اتصل بابن الغرديس بسجلماسة حيث سمع منه البخاري وكان ذلك سنة 473⁽¹⁰⁾ .

هـ (أبو القاسم بن ورد أحمد بن محمد التميمي المري المتوفى سنة 540 - 1146 .

اتصل بابن الغرديس بسجلماسة أيضاً وسمع منه الصحيح وكان ذلك سنة 493⁽¹¹⁾ .

و (عيسى بن يوسف بن الملجوم المتوفى سنة 543 - 1148 .

وهو ابن أول الرواة عن ابن الغرديس .

ويلاحظ أن هذا لم يتصل مباشرة بابن الغرديس وإنما روى عنه

(8) فهرست عياض - التكملة لابن الابار - الذيل والتكملة -

(9) التكملة مطبعة مجريط ع . 573

(10) التكملة لابن الابار القسم المنشور بالجزائر عدد 457

(11) معجم اصحاب الصديقي ع / 17 عند ترجمة ابن ورد - الصلة ع / 177، الديباج المذهب ص 41

وقد ذهب الاستاذ المنوني الى أن أصل أبي القاسم بن ورد من روايته للبخاري بقي معروفاً بالمغرب إلى صدر القرن السابع الهجري

(16)



البخاري بطريق الاجازة له من سجلها سنة 1120 .

ن) علي بن محمد بن سعيد بن أبي الفتوح القيسي الشاطبي المعروف بابن الطشتلين ويعتبر هذا آخر الرواة المعروفين عن ابن الغرديس (11) .

هذا ومما تجدر الإشارة اليه أن رواية ابن الغرديس لصحيح البخاري عن أبي ذر الهروي اشتهرت من طريق واحدة من جهة أبي القاسم بن ورد وذلك بوساطة مصدرين اثنين هما :

ابن رشيد السبتي وذلك في رحلته المشهورة (12) وتسلسل هذه

الطريق عن أبي الربيع الكلاعي عن أبي القاسم بن حبيش عن أبي القاسم بن الورد عن الغرديس عن أبي ذر الهروي .

والمصدر الثاني نجده في المنح البادية في سياق ذكره لأسانيد الصحيح وفي ذلك يقول صاحب المنح :

« . . . ومن طريق ابن البار عن القاضي الحافظ أبي بكر محمد ابن أحمد بن عبد المالك بن أبي حمزة المرسي عن أبي القاسم بن محمد بن ورد التميمي من أهل المرية المتوفى سنة 540 ومن طريق ابن جماعة عن أبي الزبير عن ابن السراج عن ابن خير عن ابن ورد عن الفقيه المحدث الحافظ بكار بن برهون بن الغرديس الثعلبي عن أبي ذر (13) »

(12) الذيل والتكملة - مجلد الغرباء مصور خ . ع . د 1705 لوحة 137

(13) المصد الأخير المنشور في لبنان السفر الخامس ع 593

(14) رحلة ابن رشيد مصورة معهد مولاي الحسن عن خ الاسكوريال ج 6 رقم 1737 . لوحتي 21 و

22

(15) مخطوط محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي

الفصل الثاني

روايات صحيح البخاري في المغرب

الروايات الأولى للصحيح
أشهر روايات صحيح البخاري في المغرب
الرواية الصدفية
الرواية السعدية
الرواية اليونانية

المبحث الأول

1 - الروايات الأولى للصحيح

إذا كان معتمد المغاربة هي رواية ابن سعادة التي اشتهرت وانتشرت وأصبحت منذ عرفت هي الرواية الغالبة والمفضلة وما زالت إلى الآن⁽¹⁾ ، فإن المغرب عرف روايات للجامع الصحيح قبل رواية ابن سعادة وهي روايات كثيرة ومتعددة منها رواية أبي ذر الهروي ورواية الأصيلي والقاسبي والامام الصدفي وغيرها .

وتمتد هذه الفترة التي عرفت فيها هذه الروايات بالمغرب قبل رواية ابن سعادة (الرواية السعدية) حوالي خمسة قرون أو أكثر تبتدىء من نهاية القرن الخامس الهجري إلى أوائل القرن الحادي عشر الهجري أيام السعديين⁽²⁾ .

وإذا كانت رواية الفربري هي أشهر روايات الجامع الصحيح في العالم الاسلامي كله فإنها دخلت الغرب الاسلامي في وقت مبكر وانتقلت اليه بوساطة روايات اشتهرت منهاست يتصل أصحابها جميعا بالفربري مباشرة ، وهذه الروايات هي :

(1) رواية أبي علي بن السكن .

(1) النفع 6/1 - 8 - فهرس ابن خيرص 95 - التنويه والإشادة ص 3

(2) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 8

- (2) رواية أبي زيد المروزي .
- (3) رواية أبي أحمد الجرجاني .
- (4) رواية أبي إسحاق المستملي .
- (5) رواية السرخسي .
- (6) رواية أبي الهيثم الكشميهني .

(1) رواية أبي علي بن السكن وهو سعيد بن عثمان بن سعد المصري المتوفى سنة 353 - 1054 م .

وقد روى عن ابن السكن الجامع الصحيح جمع من الأندلسيين .
نذكر منهم على الخصوص عبدالله بن محمد بن أسد الجهني الطليطي
نزيل قرطبة والمتوفى سنة 395 - 1005 .

وقد كانت رحلة ابن أسد الى المشرق سنة ثلاثمائة واثنين وأربعين . هجرية .

واتصل بابن السكن وسمع منه بمنزله بمصر وقد كان أبو جعفر بن عون الله وأبو عبدالله بن مفرج⁽³⁾ صاحبيه في رحلته وسماعه وبوساطة هذين الأخيرين يتصل القاضي عياض برواية ابن السكن⁽⁴⁾ ، كما أن ابن حزم يسندها في كتابه المحلى من طريق ابن مفرج⁽⁵⁾ .

(2) رواية أبي زيد المروزي : وهو محمد بن أحمد بن عبدالله المروزي المتوفى سنة 371 - 982 .

(3) رواية أبي أحمد الجرجاني : محمد بن محمد بن يوسف المتوفى سنة 373 - (983 - 984) .

(3) الصلة لابن بشكوال نشر الطارح 557 .

(4) كتاب المشرق 10/1 .

(5) مجلة معهد المخطوطات العربية ص 334 نوفمبر 1958 .

وعنها معاً روى الإمام أبو محمد عبدالله بن ابراهيم الأصيلي
392 - 1002 فهما عمدته في سنده إلى الجامع الصحيح .

- (4) رواية المستملي .
- (5) رواية السرخسي .
- 6 رواية الكشميهني .

وقد اشتهر عن هذا الأخير رواة كثيرون نذكر منهم :

كريمة بنت أحمد المروزي المتوفاة سنة 463 - 1070 -
1071 ، وعن هذه روى الصحيح أحمد بن محمد بن عبد الرحمن
الأنصاري الشارفي نزيل فاس المتوفى قريباً من سنة 500 - 1106 -
1107 وعنه يقول عياض في الغنية :

« وله رحلة حج فيها وسمع من كريمة كتاب البخاري »⁽⁶⁾ .

كما اشتهر بالرواية عنها راوية آخر روى صحيح الإمام البخاري
عنها مكاتبه هو أبو علي الحياتي حسين بن محمد بن أحمد الغساني
القرطبي المتوفى سنة 498 - 1105⁽⁷⁾ .

كذلك رواه عن الكشميهني راوية مشهور طبق ذكره الآفاق هو أبو
ذر الذي روى عن الشيوخ الثلاثة السابقين وأصبحت روايته مع الزمن
هي المشهورة والمعتمدة لاتقانها وضبطها وتميز سياقها كما أكد ذلك الحافظ
ابن حجر بقوله : « اتقن الروايات عندنا هي رواية أبي ذر عن مشايخه
الثلاثة، وعن أبي ذر روى الصحيح خلق كثير ممن لا يحصون عدداً
سندكرمهم في محلهم »⁽⁸⁾ .

(6) الغنية لعياض عند الكلام على شيخه الشارفي عن مخطوطة مكتبتني ص 7 . كما نقله ابن الأبار في
الكملة القسم المنشور بالجزائر 64 .

(7) الغنية

(8) فتح الباري لابن حجر 4/1 .

(2) الروايات التي اشتهرت بالمغرب

لقد اشتهرت من بين روايات صحيح البخاري التي عرفها المغرب روايات عديدة نذكر منها :

(1) رواية أبي ذر الهروي : (هو ابو مكتوم عيسى بن ابي ذر) .

وقد استجلب هذا الأصل إلى المغرب الأمير المرابطي أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي المتوفى سنة 530 - 1136 والذي رحل للحج والرواية فسمع بمكة صحيح البخاري من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر عن أبيه حيث ابتاع هذا الأصل بعدما سمع عليه فيه حوالي سنة 497 - 1104 وحمله معه إلى المغرب لدى عودته من الحج⁽¹⁾ .

وكان أول من ذكر ذلك ونص عليه الإمام السلفي في الوجيز حيث قال : « كان ميمون بن ياسين من أمراء المرابطين رغب في السماع من « أبي مكتوم » بمكة واستقدمه من سراة بني شابة، وبها كان سكناه وسكنى أبيه أبي ذر من قبل ، فاشترى منه صحيح البخاري أصل أبيه الذي سمع فيه على أبي إسحاق المستملي وغيره بجملة كبيرة وسمعه عليه في عدة أشهر قبل وصول الحجيج⁽²⁾ » .

وقد روى الصحيح عن أبي ذر من شيوخ المغرب عالم لا يحصى ورواة كثيرون .

قال عياض عنهم في المدارك : « وسمع منه عالم لا يحصى من أهل الأقطار من شيوخ شيوخنا⁽³⁾ » .

ونجد من بين الرواة عنه في الأندلسيين جماعة كثيرة نخص بالذكر

(9) المشارق 9/1 10 - التكملة ع 1137 .

(10) نقله ابن الأبار في التكملة ع 1137 .

(11) المدارك 697/4 .

منهم :

- أبا القاسم أصبغ بن راشد بن أصبغ اللخمي الأشبيلي ت 440⁽¹²⁾ .

- ثم محمد بن أحمد بن منظور القيسي الاشبيلي 1077 / 459⁽¹³⁾ .

- وأبا الوليد سليمان بن خلف الباجي 1082 / 474⁽¹⁴⁾ .

- وأبا عبدالله محمد بن شريح الرعيني المقرئ 1077 / 476⁽¹⁵⁾ .

- وأحمد بن عمر بن أنس العذري الأندلسي المعروف بابن الدلامي 1085 / 478⁽¹⁶⁾ .

وعن أبي ذر يقول ابن منظور :

« سمعته في المسجد الحرام عند باب الندوة سنة 431 وقرئ عليه ثانية وأنا اسمع والشيخ أبو ذر ينظر في أصله وأنا أصلح كتابي في المسجد الحرام عند باب الندوة في شوال سنة 431⁽¹⁷⁾ » .

ومن الذين روى الصحيح عن أبي ذر بالقيروان أبو القاسم مضر ابن الحباب النفزاوي سمع عليه الصحيح عام 413 / (1022 - 1023) .

ومن صقلية أبو الحسن علي بن المفرج الصقلي كان بقيد الحياة سنة 465 / 1072 .

(12) التكملة القسم المنشور بالجزائر في اثناء الترجنتين ع 109 - 471 .

(13) المدارك 4 / 525 بغية الملتبس ع 28 .

(14) المدارك 4 / 802 - 808 بغية الملتبس ع 777 الصلة ع 453 .

(15) فهرست ابن خیر ص 95 و 96 .

(16) الصلة ع 141 .

(17) فهرس ابن خیر ص 95 .

(2) رواية ابن السكن :

وقد حدث بها عنه أبو محمد عبدالله بن محمد بن أسد الطليطي المتوفى سنة 395 حيث سمع عليه الصحيح بمنزله بمصر سنة 343⁽¹⁸⁾ . وهو عن الفربري عن البخاري .

(3) رواية عبدالله الأصيلي :

سمع عليه الصحيح كثيرون نذكر منهم :

محمد بن بشير الطراف ، وفي ذلك يقول :

« سمعت جميعها على الأصيلي سنة 483 »⁽¹⁹⁾ .

ويقول الأصيلي : « وسمعتها على أبي زيد المروزي بمكة سنة

353 .. وسمعتها عليه أيضاً ببغداد في شهر صفر عن سنة

359 ، قرأ أبو زيد بعضها وقرأت أنا بعضها حتى أكمل جميع المصنف »⁽²⁰⁾ .

وقراها أبو محمد الأصيلي على أبي أحمد الجرجاني عن الفربري

عن البخاري⁽²¹⁾ .

(4) رواية القاسبي :

وقد حدث عنه بها أبو القاسم الطرابلسي وغيره⁽²²⁾ .

(18) الصلة لأبن بشكوال ع 557 .

(19) فهرس ابن خير ص 95 وما بعدها .

(20) صحيح البخاري بالمغرب الإسلامي سعيد اعراب. دعوة الحق ع 1 ص 17 1395 - 1975 ص 82 .

(21) فهرس ابن خير ص 96 وما بعدها .

(22) صحيح البخاري بالمغرب الإسلامي ص 82 .

(5) رواية النسفي :

وقد حدث بها أبو العاصم حكيم بن محمد الجذامي عن أبي الفضل أحمد بن عمران الهروي عن أبي صالح خلف بن محمد بن اسماعيل الخيام بن ابراهيم بن معقل النسفي عن البخاري⁽²³⁾ .

3- دور مدرستي سبتة وفاس في انتشار روايات الصحيح

إذا كان العهد المرابطي تميز برواية الأمير المرابطي ميمون بن ياسين الذي حج واشترى أصل أبي ذر ونقله الى المغرب كما فصلنا سابقاً ، فقد اشتهرت في عهد الموحدين والمرينيين في المغرب مدرستان حديثتان هما : مدرسة سبتة ومدرسة فاس وكان لهما الأثر الأكبر والصدى الأشهر في انتشار رواية الصحيح بالمغرب⁽²⁴⁾ .

ونتكلم أولاً عن مدرسة سبتة لسبقها وقربها من الأندلس ولكون الصحيح نقل عبرها الى فاس وبقية جهات المغرب .

ففي مدرسة سبتة برز واشتهر رواة ومحدثون كثيرون نجد على رأسهم القاضي عياض اليحصبي 544 / 1149 ، وقد روى صحيح الإمام البخاري عن أبي عمران الفاسي عن القاسبي⁽²⁵⁾ .

وقد صحح عياض نسخة من الصحيح على أصل الأصيلي نفسه بخطه، وعارضها حرفاً حرفاً ، كما عارضها بأصل عبدوس الطليطي⁽²⁶⁾ .

أما نسخة عياض المعارضة فقد كانت روايته عن الصدفي عن

(23) فهرس ابن خير ص 98 .

(24) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 8 .

(25) المشارق 10 / 1 .

(26) المشارق 10 / 9 - 10 .

الباجي عن أبي ذر .

كما اشتهر من بين أفراد هذه المدرسة الحديثية أبو الحسن الشاري علي بن محمد بن علي الغافقي السبتي ت 1251 / 649 هـ الذي كان له مجلس خاص لإقراء صحيح البخاري بالجامع الأعظم وقد كان من بين طلبته في هذا المجلس الرعيني الذي تحدث عنه في برنامج شيوخه قال :

« قرأت عليه بالجامع الأعظم بسبته كتاب الجامع الصحيح للبخاري في أصلي العتيق منه بخط أبي الوليد بن الدباغ، وقرأته على الصدفي وغيره ، وأمسك على حين القراءة أصل أبي بكر بن خير رواية ابن أبي ذر الذي بخط أبيه رحمه الله وبمعانة أبي بكر وتصحيحه وأحضر حين القراءة أصولاً عتيقة منها أصل الأصيلي وأصل أبي القاسم بن ورد والقباسي وغيرها » (27).

كما نذكر من بين أفراد هذه المدرسة أبا علي بن أبي الشرف ، الحسين بن طاهر بن رفيع الحسيني السبتي (28) ت 1302 / 702 .

وهو يروي الصحيح من طريقين :

الأول : ويتصل ابن أبي الشرف بالبخاري من طريق ابن منظور وابن شريح والعذري وثلاثتهم عن أبي ذر .

والثاني : عن أبي عبدالله الطبري الحسين بن علي بن الحسين الشيباني نزيل مكة عن عبد الغافر بسنده (29) .

ومن هذه المدرسة أيضاً نذكر :

(27) برنامج شيوخ الرعيني ص 75 - المطبعة الهاشمية بدمشق .

(28) ترجمة ابن القاضي في درة الحجال دار التراث بالقاهرة ع 366 .

(29) كتاب الإشراف على أعل شرف في التعريف برجال البخاري من طريق الشريف أبي علي بن أبي الشرف لأبي القاسم ابن الشاط مخطوط الأسكوريال مجموع عدد 1732 .

ابن رشيد السبتي : محمد بن عمر الفهري ت 1321 / 721 هـ ، ويتصل بالبخاري بطرق كثيرة منها :

روايته له بتونس في أصل عتيق بخط اصبع بن راشد اللخمي كتبه بمكة المكرمة وسمع فيه على أبي ذر ثم صارت النسخة بعينها الى ملكية ابن رشيد .

وقد تحدث ابن رشيد عن هذا الأصل في رحلته قال :

« وقد كان هذا الأصل صار للإمام المقرئ العالم أبي الحسن علي ابن عبدالله بن النعمة رحمه الله واعتنى به عناية جيدة وقد صار هذا الأصل إلي في أهله والحمد لله » (30) .

وأخيراً نذكر شيخاً شهيراً من شيوخ مدرسة سبته الحديثية هو عبد المهيم بن محمد بن عبدالمهيمن الحضرمي السبتي نزيل فاس والمتوفى سنة 1349 - 749 .

ويتصل هذا بالبخاري عن طريق أبي علي بن أبي الشرف بأسانيده (31) .

مدرسة فاس الحديثية :

عرفت بدورها روايات للصحيح طوال الفترة نفسها وعرف فيها علماء وشيوخ اشتهروا برواية الصحيح نذكر منهم : أحمد بن عبد الرحمن المجاصي الفاسي اليفرنى المكناسي الشهير ، كان بقاء الحياة عام 800 - 1397 - 1398 .

وهو صاحب كتاب « شرح غريب البخاري » (32) ، الذي ذكر أن

(30) مخطوط الأسكوريال ضمن مجموع رقم 1732 مصورة الكتاني لوحة 21 / 1 .

(31) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 41 .

(32) مخطوط بالقرويين تحت رقم 145 وبتامكروت 709 وبالمكتبة الملكية أول مجموع رقم 355 .

من بين مصادر كتابه هذا كتاب تعاليق أبي علي الغساني على أصله من البخاري المكتوب بخطه . وما زالت نسخه بالقرويين وتامكروت والخزانة الملكية .

وهذا ما يرجح أن أصل الغساني هذا كان معتمداً في فاس قبل انتشار رواية ابن سعادة .

ومن الروايات التي عرفتها مدرسة فاس الحديثية رواية ابن منظور عن أبي ذر وعن طريقه ساق ابن غازي روايته للصحيح من جهة أستاذه أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم السراج عن أبيه عن جده⁽³³⁾ .

وقد استمر سند ابن منظور معروفاً في مدرسة فاس الحديثية وظل منتشراً طوال هذه الفترة حتى صدر المائة الحادية عشرة للهجرة حيث تمت كتابة نسخة عشرينية من الكتاب نفسه بمدينة فاس وتصورها برواية ابن منظور عن أبي ذر وما زالت خزانة تامكروت محتفظة بها⁽³⁴⁾ .

على أن أشهر روايات الصحيح التي عرفتها مدرسة فاس الحديثية هي رواية ابن سعادة عن الصدي بسنده والتي بقيت قائمة منتشرة مشتهرة إلى الآن منذ أول ذكر لها بفاس حوالي عام 836 هـ . كما عرفت هذه المدرسة النسخة اليونانية وذلك في صدر القرن الهجري الثاني عشر .

ومما يلفت النظر أيام الدولة السعدية تعدد روايات الصحيح وكثرتها بالمغرب كما نص على ذلك المقرئ في "نفح الطيب" بقوله :

« أكثر نسخ البخاري الصحيحة : إما من رواية الباجي عن أبي ذر وإما من رواية أبي علي الصدي بسنده »⁽³⁵⁾ ، كما أكد هذه الظاهرة أبو حامد الفاسي في «مرآة المحاسن»⁽³⁶⁾ .

(33) فهرس ابن غازي عن ترجمة السراج-صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 41 .

(34) توجد بخزانة تامكروت تحت رقم 312 (35) نفح الطيب 2 / 361 .

ولأهمية روايتي ابن سعادة واليونيبي سنخصص لكل منهما فصلاً قائماً للتعريف بهما وبصاحبيهما وتاريخيهما بالمغرب منذ ظهورهما به إلى الآن بعد الكلام على الأصل الصدي والتعريف به وبصاحبه لأهميته وأسبقيته .



المبحث الثاني

أشهر روايات صحيح البخاري بالمغرب

يعتبر كتاب الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري أصح كتاب بعد القرآن على الإطلاق باعتباره أصح المصادر لقربه من زمن البعثة المحمدية ولكونه يجمع تعاليم الإسلام وأنظمته وتراتيبه .

ولقد كان الذين تحملوا الصحيح عن الإمام البخاري يبلغون تسعين ألفاً أو يزيدون ⁽¹⁾ ، ولذلك تعددت روايات الصحيح كما تعدد رواته واشتهر من تلك الروايات رواية الفريزي (320) خاصة لاتقانها ولكون صاحبها آخر الرواة سماعاً عن الإمام وحياة بعده .

ولكون روايته ثانياً هي التي اتصلت بالسماع في جميع الأقطار .

وعن الفريزي انتشر الرواة في الأمصار والأقطار وعلى رأسهم أبو ذر، فروايتهم أشهر روايات الصحيح وأتقنها وأضبطها وفي ذلك يقول الحافظ بن حجر في فتح الباري :

« أتقن الروايات عندنا رواية أبي ذر لضبطه لها وتمييزه لاختلاف سياقها » ⁽²⁾ .

وصاحبها هو أبو ذر عبد بن أحمد الهروي المكي المالكي ولد سنة 355 وتوفي سنة 434 للهجرة .

(1) التنويه والإشادة ص 2 .

(2) فتح الباري 4/1 - التنويه والإشادة ص 3 .

وهو أحد الذين عليهم مدار رواية الصحيح في الإسلام ⁽³⁾ .

وقد أخذ أبو ذر روايته وتلقاها عن شيوخه الثلاثة : أبي اسحاق المستملي والسرخسي وأبي الهيثم الكشميهني .

وهؤلاء عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفريزي عن الإمام البخاري .

وإذا كانت الروايات قد تشعبت وانتشرت في العالم الإسلامي فمعتمد المغاربة رواية ابن سعادة أخذها عن الإمام الصديقي عن الباجي عن أبي ذر فيكون بينه وبين البخاري خمسة وسائط بينما اشتهرت في الشرق رواية اليونيني وأصبحت معتمدتهم حتى كانت معتمد القسطلاني وهو يضع شرحه العظيم على البخاري .

وقبل أن نقوم بالتعريف بالرواية السعدية وبصاحبها فقد رأينا أن نخصص بحثاً موجزاً عن أصل الصديقي وصاحبه لكونه شيخ ابن سعادة ومعتمده وسنده وعليه روى الصحيح وعن أصله كتب نسخته الشهيرة ، فمن هو إذاً الإمام الصديقي وما هو أصله المنقول عنه والمعتمد لدى ابن سعادة ؟

(3) فهرس الفهارس 110/1 42/2 .

الرواية الأولى : الرواية الصدفية

(1) التعريف بالإمام الصدفي

أبو علي الحسين بن محمد بن قيرة بن حيون الصدفي السرقسطي المعروف بابن سكرة ولد سنة 454 للهجرة وفقد في غزوة قنطرة شهيداً في سادس ربيع الأول سنة 514 .

نعتة القاضي عياض بالشهيد الحافظ ⁽¹⁾ ، ووصفه الشيخ عبد الحي الكتاني بالإمام الحافظ فخر الأندلس ⁽²⁾ ، ووصفه الحجوي « بإمام عصره ووحيد دهره وآخر أئمة الأندلس » ⁽³⁾ .

تعلم بالأندلس وأخذ عن كبار شيوخها وأئمتها حيث لازمهم وروى عنهم : ففي سرقسطة سمع من أبي محمد بن فورثش ومن الباجي وابن الصواف وابن سماعة وفي المرية وبلنسية سمع من العذري وابن سعدون .

كما أخذ عن ابن عبد البر والدولابي وأبي عمر والداني وغيرهم .

وظهرت عنايته وشغفه بالحديث فرحل إلى الشرق للسمع والرواية .

وفي العراق حيث أقام ببغداد خمسة أعوام، روى عن كبار شيوخه

(1) فهرس القاضي عياض « الغنية » ص 71 . (3) الفكر السامي 53 / 4 .

(2) فهرس الفهارس 110 / 2 .

وأعلامه . نذكر منهم أبا بكر الشاشي وأبا الحسن الطيوري وابن خيرون وابن البطر وأبا محمد التميمي وابن بكران وغيرهم ⁽⁴⁾ .

كما سمع بالبصرة من ابن شعبة وأبي يعلى المالكي وأبي العباس الجرجاني وجماعة .

وانتقل إلى واسط فسمع من شيوخها، وبمصر سمع من الحبال والخلعي وابن مشرق .

وبمكة سمع من أبي عبد الله الحافظ وأبي بكر الطرطوشي والطبري وغيرهم .

ولقد كثر شيوخه وتعددوا حتى عدَّ له القاضي عياض نحو مائتي شيخ في معجمه الذي ضمنه أخباره وأخبار شيوخه ⁽⁵⁾ .

ولما عاد من رحلته العلمية استقر بمدينة مرسية فأقبل الناس عليه يسمعون منه ويروون عنه ويتعلمون فكثرت تلاميذه وطلابه وطبقت شهرته الآفاق وارتفع صيته بين الناس في الرواية والحديث، وخاصة صحيح الإمام البخاري حتى نقل عنه قوله لبعض الفقهاء ⁽⁶⁾ : « خذ الصحيح فاذكر أي متن، أذكر لك سنده أو أي سند أردت، أذكر لك متنه » .

ومن أكبر تلاميذه والآخذين عنه تلميذه وصهره أبو عمران موسى ابن سعادة الذي روى عنه الصحيح وعليه صحح وقابل نسخته المعروفة من صحيح البخاري المشهورة إلى الآن بالمغرب ⁽⁷⁾ .

(4) الغنية ص 7 و 71 .

(5) الغنية ص 70 .

(6) فهرس الفهارس 110 / 2 .

(7) التنويه والإشادة ص 3 و 4 .

الفكر السامي 53 / 4 ، غير أنه أخطأ في تسمية النسخة بالشيخة، انظر ردنا عليه فيما بعد .

كما نبغ واشتهر من بين تلاميذ أبي علي الصديقي القاضي عياض الذي سمعه واعتمده في كتابه « الشفا » كما سمع عليه الصحيحين والترمذي والشهاب وغيرها .

وأجاز الصديقي أبا طاهر السلفي وابن بشكوال وغيرهما من كبار العلماء .

وكما كان الصديقي كثير المشيخة كان كثير التلاميذ حيث قام ابن الابار بجمعهم والتعريف بهم في كتاب سماه « معجم أصحاب الصديقي » .

لقد وصف القاضي عياض أستاذه في الغنية قال :

« كان أبو علي ذا دين متين وخلق حسن وصيانة ، من أجل من لقيناه وكان عارفاً بالحديث قائماً به حافظاً لأسماء الرجال عارفاً بقويهم من ضعيفهم »⁽⁸⁾ .

وتحدث عنه الشيخ عبد الحي الكتاني بقوله :

« وهو من أقام للحديث السوق العظيم الذي فيه نفقت فخضعت له فيه الرقابة وشدت له الرحال من داني البلاد وقاصيها لوافر علمه وواسع تدقيقه وطول رحلته . . . »⁽⁹⁾ .

كما كان الصديقي شخصية عرفت بالمرح والنكتة والدعابة ، وقد روى صاحب أزهار الرياض : أنه كان من بين طلبته طالب اسمه يوسف كان يلازم مجلسه وكان نظيف الملبس معطر الرائحة ، وقد غاب يوماً عن المجلس لمرض ألم به فلما شفي عاد إلى المجلس وقبل وصوله

(8) الغنية ص 70 .

(9) فهرس الفهارس 2 / 110 .

سبقه أريج ربحه فقال الشيخ : « إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون »⁽¹⁰⁾ .

ولقد أدرك الحافظ الصديقي على عهد المرابطين ذكراً مرموقاً ومقاماً عظيماً ، كما كان أستاذاً لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي كان والياً على مرسية .

كما ولي قضاء مرسية سنة خمس وخمسمائة فسار في الناس سيرة حسنة لا يعرف في الحق لومة لائم غير أنه استعفى منه بعد مدة ولما لم يعف اختفى وغاب إلى أن قبل طلبه وأعفي سنة 508 فعاد من فوره إلى حلق الدرس وإلى الرواية والحديث وبقي على حاله إلى أن خرج للجهاد وفقد في غزوة قترة شهيداً رحمه الله .



(10) أزهار الرياض 3 / 153 .

2 - أصل أبي علي الصديقي

وصفه وتاريخه :

هذا الأصل العظيم والفريد من كتاب الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري كتبه بخطه أبو علي الصديقي من نسخة للجامع الصحيح بخط محمد بن علي بن محمود مرقوة على أبي ذر الهروي .

وقد كان الفراغ من نسخ هذا الأصل يوم الجمعة 21 محرم الحرام سنة 508 هـ وهو في سفر واحد من نحو ست عشرة كراسة في كل ورقة خمسون سطراً من كل جهة بخط مدموج مكتوب بالسواد ولا حمرة بها أصلاً ولا نقط إلا ما قل على عادة الصديقي في كتابته كما كان الشأن عند بعض العلماء أيضاً⁽¹⁾ .

كما أن بأول هذا الأصل كتابة بخط ابن جماعة والحافظ الدمياطي وابن العطار والسخاوي وفي آخره سماع عياض وغيره إلى ابن حجر .

كما أن بالهامش كثرة اختلاف الروايات والرمز عليها⁽²⁾ .

ونجد أيضاً عليه إجازة الصديقي لعياض من جملة الفقهاء بسماهم له في المسجد الجامع بمروية .

وقد طاف الصديقي بنسخته الأمصار وسمع بها على شيوخه وقابلها مراراً وتكراراً مما أكسبها صحة واعتباراً .

(1) فهرس الفهارس 2 / 112

(2) فهرس الفهارس 2 / 112 نقلاً عن الرحلة الصغرى لابي العباس الفاسي .

(3) فهرس الفهارس 2 / 111

ولقد تسلسل تاريخ هذا الأصل الفريد في العالم كله حيث انتقل من غرناطة بالاندلس الى فاس⁽¹⁾ ثم انتقل في ظروف نجهلها الآن إلى الحرمين الشريفين ثم مصر والشام إلى أن انتهى إلى اسطنبول حيث بقي بها إلى أن اشتراه أحد الليبيين من طرابلس الغرب وهو الفقيه الحاج أحمد أبو الطبل ونقله معه .

اكتشافه :

وقد بقي الأصل الصديقي مجهولاً إلى سنة 1211 للهجرة حيث يرجع الفضل في اكتشافه وبيان مكانه وصاحبه إلى عالين جليلين :

- أحدهما تامكروتي وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري المتوفى سنة 1239 .

- والثاني فاسي وهو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1211 .

وقد تحدث كل منهما بإسهاب عن هذا الأصل العظيم ونقل هنا ما كتبه عنه :

قال الناصري عن أصل الصديقي واكتشافه له في كتابه « المزاي » « وفي رحلته الصغرى » بعد كلامه على نسخة ابن سعادة ما نصه :

« ... وقد عثرت على أصل شيخة الحافظ الصديقي الذي طاف به البلاد بخطه بطرابلس في مجلد واحد مدموج لا نقط به أصلاً على عادة الصديقي وبعض الكتاب إلا أن بالهامش منه كثرة اختلاف الروايات والرمز عليها وفي آخره سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه .

(4) المصدر السابق نفسه .

وفي أوله كتابة بخط ابن جماعة والحافظ الدمياطي وابن العطار
والسخاوي قائلًا : هذا الأصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر
العسقلاني وبني عليه شرحه الفتح واعتمد عليه لأنه طيف به في مشارق
الأرض ومغاربها: الحرمين ومصر والشام والعراق والمغرب فكان الأولى
بالاعتبار كرواية تلميذه ابن سعادة ، ولقد بذلت لمن اشتراه في عدة كتب
من أهل طرابلس الغرب باسطنبول بثمان تافه، صرة ذهب فأبى من بيعه
وبقي ضائعاً في ذلك القطر وكان من مدح ابن العطار له بخطه ما نصه :

قد دام بالصدفي العلم منتشراً وجل قدر عياض الطاهر السلفي
ولا عجب اذا أبدى لنا ذرراً ما الدر مظهره إلا من الصدفي⁽⁵⁾

كما تحدث عن هذا الأصل مرة ثانية الشيخ الناصري في رحلته
الثانية وهي الصغرى بقوله :

« وقد وقفت هنا عند أبي الطبل على نسخة البخاري في مجلد بخط
الحافظ أبي علي الصدفي شيخ القاضي عياض وعليها من سماعات العلماء
في القرون السالفة عياض فمن دونه إلى ابن حجر ، ومن جملة ما كتب
عليها وأظنه بخط الحافظ السخاوي ما نصه :

« هذا الأصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف إليه ولقد
اعتمد عليه شيخنا الحافظ بن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه
« فتح الباري إلى آخره » .

كما تحدث عن أصل الحافظ الصدفي واكتشافه له عند وقوفه عليه
بطلابلس سنة 1211 للهجرة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي

(5) كتاب المزايا لابن عبد السلام الناصري ص 37

التنوية والاشادة ص 31

عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي في رحلته الحجازية قال « لطيفة » :

(6)

« وقفت بمحروسة طرابلس على نسخة البخاري في سفر واحد من
نحو ستة عشر كراسة وفي كل ورقة خمسون سطراً من كل جهة وكلها
مكتوبة بالسواد لا حمرة بها أصلاً وهي مبتدأة بما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد نبيه ، كيف
كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعند تمام كل
حديث صورة ولا نقط بها إلا ما قل جداً وبآخرها عند التمام ما صورته :

آخر الجامع الصحيح الذي صنعه أبو عبد الله البخاري رحمه الله
والحمد لله على ما من به وإياه أسأل أن ينفع به وكتبه حسين بن محمد الصدفي
من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود مرقوة على أبي ذر رحمه الله
وعليها خطه وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة 21 من المحرم عام
508 ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله وصلواته وسلامه على محمد نبيه
ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً أثيراً» .

ثم نقل عدة سماعات رآها عليه أولاً وأخيراً وقال :

« أوقفني على هذه النسخة المباركة محبنا الفقيه الناسك ذو
الاخلاق الحسنة سيدي الحاج أحمد أبو طبل وذكر حفظه الله أنه اشتراها
من اسطنبول وحيث اشتراها اجتمع علماءؤها وقالوا له : أخليت
اسطنبول إلى آخر حديث الشيخ الفاسي عن هذا الأصل الفريد في رحلته
الحجازية » .

ملكية المغرب للأصل الصدفي ومحاوله نقله :

ونحب هنا ان نلفت النظر وننوه بغيرة علمائنا منذ القديم على

(6) فهرس النهار ص 2 / 112

العلم وكتبه والمحافظة عليها والذب عنها فقد حكى الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري في كتابه المزايا قصته مع الفقيه أبي طبل عند اكتشاف هذه النسخة الأصل عنده ومراودته له شراءها أو استبدالها بأخرى جليلة وقذبة يناهز ثمنها ستين ديناراً كما انه عرض عليه مقابلها صرة ذهب غير أن صاحبها أبي .

وقد أخبر الشيخ الناصري لدى عودته من طرابلس السلطان أبا الربيع سليمان العلوي بأمر هذا الاكتشاف العظيم وطلب منه العمل على الحصول عليها بأي ثمن ، فبادر السلطان من فوره وبعث رسولاً خاصاً إلى الشيخ أبي طبل واشتراها منه بألف مثقال غير أن الرسول لما هم بحملها والعودة بها إلى المغرب حالت دون ذلك حرب بين الجزائر وتونس ولما طال الأمر بها أعاد السلطان المذكور الكتابة في شأنها غير أن الله لم يظفره بها وفي ذلك يقول الناصري :

« ثم حملتني الغيرة والمحبة على أن بلغت خبره لإمامنا المنصور أبي الربيع سليمان بن محمد فوجه إليه حسبما شافهني ألف مثقال أو ريال الشك مني فأجابه من هو بيده أن يقدم به لحضرته وما منعه إلا فتنة الترك فيما بين تونس والجزائر ولما طال الأمر أعاد الكتابة بذلك وإلى الآن لم يظفره الله به . . . » (7)

وأؤكد هنا أن هذا الدين ما زال قائماً لنا على الشقيقة ليبيا وما على ملكنا الحسن الثاني اليوم إلا أن يتمم مسعى جده العظيم أبي الربيع سليمان ويقوم بالعمل الحثيث لارجاع هذا الأصل الى المغرب لأنه من حقه وملكه بالشراء الناجز بمقتضى النصوص والوثائق المشهورة وعلى رأسها تصريح الملك إدريس السنوسي للسفير التازي بقوله :

(7) فهرس الفهارس 2 / 113 نقلاً عن المزايا

« إن المغرب جدير به » (8)

مكان وجوده الآن :

ومنذ ذلك التاريخ أي منذ سنة 1211 هجرية بقي أمر هذا الأصل مجهولاً إلا أن همم علمائنا لم تفر عن التفكير فيه وطلبه والسؤال عنه وتتبع أخباره وآثاره وعلى رأس هؤلاء العلماء الشيخ عبد الحفي الكتاني الذي ظل مهتماً بأمر هذا الأصل باحثاً عنه منقباً سفرراً وحضراً إلى أن أخبره أحد طلبته من هاجر إلى الشرق واتصل بالشيخ أحمد بن محمد السنوسي فأكد له وجود الأصل المذكور بخزائنه من بين كتبه الموجودة بالملكية السنوسية بجغوب (9) .

وقد كان ذلك سنة 1346 فبادر الشيخ عبد الحفي الكتاني بالكتابة إلى السيد السنوسي يسأله عن صحة ما بلغه عن طريق الطالب المذكور فأجابه السنوسي مؤكداً ومثبتاً وجود الأصل المذكور في حوزته وفي مكتبته من بين كتبه وفي ذلك يقول الشيخ عبد الحفي :

« وقد غابت عنا أخبار هذه النسخة من عام 1211 هـ إلى الآن وكان يختر ببالى وجودها بالملكية السنوسية بجغوب من طرابلس الغرب حيث أنا نجد في أسماء شيوخ الأستاذ الأكبر أبي عبد الله محمد بن علي السنوسي دفين جغوب اسم أحمد بن عبد الرحمن الطبولي الطرابلسي فلعله صاحب النسخة وكان الأستاذ المذكور نهماً في جمع الكتب حريصاً على التقاطها من الآفاق ، فمن الغريب أن لا تكون اتصلت بيده المباركة ورد علينا من المشرق أخيراً بعض ثقات طلبتنا المهاجرين فأخبرني

(8) صحيح البخاري بخط الحافظ الصدفي للدكتور التازي دعوة الحق ع 8 من 1393.15 - 1973 ص 33

(9) فهرس الفهارس 2 / 113

بما صدق الظن وأن الأصل المذكور الذي بخط الصدي رأى بعينه تحت يد صديقنا عين أعيان رجال البيت السنوسي الجغبوبي الآن وأشهر مشاهير رجال الطرق في العالم الاسلامي اليوم صفى الدين أحمد الشريف بن محمد الشرف بن الاستاذ الأكبر أبي عبد الله محمد بن علي السنوسي الحسني الادريسي من جملة كتبه ، والحمد لله على وصول هذه النسخة ليد من يعرف قيمتها التاريخية العلمية صانه الله بها وصانها به . . . »⁽¹⁰⁾

وقد أثبت الشيخ عبد الحي في فهرس الفهارس نص الرسالة الجوابية التي توصل بها من الشيخ السنوسي مؤكداً له وجود أصل أبي علي الصدي في مكتبته ونحن نقلها هنا للحقيقة والتاريخ :

« . . . نسخة البخاري التي بخط الصدي عندي في المكتبة التي بجغبوب يحفظها الله » .⁽¹¹⁾

وكتاب فهرس الفهارس الجزء الثاني منه خاصة والذي نشر فيه الشيخ عبد الحي تحت عنوان « أعجوبة »⁽¹²⁾ تحدث فيه عن أصل الصدي وتاريخه ونقل كلام المزايا والرحلة لابن عبد السلام الناصري وما كتبه أبو العباس الفاسي في رحلته الحجازية عن الأصل المذكور كما أثبت الشيخ عبد الحي نص الرسالة الجوابية التي تلقاها من الشيخ السنوسي عن وجود أصل الصدي في مكتبته بجغبوب .

وبعد الشيخ عبد الحي وما نشره بكتابه التنويه والإشادة سنة 1346 وفهرس الفهارس بعدها بسنة 1347 نشر الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله مفتي الديار التونسية في أخبار التراث العربي⁽¹³⁾ بحثاً

(10) التنويه والإشادة ص 33

(11) المصدر السابق نفس الصفحة

(12) صحيح البخاري بخط الحافظ الصدي للدكتور التازي ص 18 ، 34

(13) التنويه والإشادة ص 33

مركزاً مفصلاً عن هذا الأصل الذي ظل بيده عن طريق الاعارة أكثر من عشر سنوات ومنه استمد وكتب بحشه الرائع عن أصل أبي علي الصدي .

وإننا نجد في هذا البحث القيم دراسة وافية وأخباراً مفصلة منقولة ومأخوذة مباشرة عن الأصل نفسه ناهيك بأن تاريخ هذا البحث لا يعدو عشر سنوات .

النسخة المقابلة عليه :

مما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب أن المغرب يتوفر على نسخة مقابلة على أصل الصدي وهي موجودة إلى الآن بالخزانة الملكية تحت عدد 5053 في مجلد ضخيم ذي خط أندلسي دقيق مدموج وممتاز مكتوب بمداد باهت مع تلوين بالأحمر والأزرق والذهب المصور بالمداد على ورق متين عتيق .

وقد نص في آخرها أن تاريخ انتساخها كان في الرابع من جمادى الثانية سنة خمس وعشرين وثلاثمائة هجرية .

وقد نص أيضاً على أنه وقعت معارضة النسخة ومقابلتها مع أصل الصدي المأخوذ عن نسخة القاضي أبي الوليد الباجي بخطه كما جاء مكتوباً عليها بالحرف :

« بلغت المقابلة على جهد الاستطاعة والحمد لله وصلى الله على

سيدنا محمد من نسخة الصدفي بخطه والتي نسخ من نسخة القاضي الباجي بخطه وعلى الأول .. خطوط الشيوخ خمسين ... » (16)

من ذلك يتبين أن الإمام الصدفي كتب بخطه نسختين من الجامع الصحيح للإمام البخاري وقد كانتا معاً معرفتين .

إحدهما من أصل محمد بن علي بن محمود وهي المشهورة والموجودة بليبيا .

والثانية من أصل القاضي أبي الوليد الباجي وهي التي بقيت مجهولة إلى أن عثر على فرعها بالخزانة الملكية وهي المشار إلى رقمها آنفاً .

الكتابة المثبتة على أصل الامام الصدفي :

يلاحظ جلياً أن الأصل الصدفي سجلت عليه عدة خطوط وكتابات ما بين إجازة وسماع العلماء منذ عياض إلى ابن حجر ومن جملة ما كتب على النسخة المذكورة نجد مكتوباً على ظهرها : « كتاب الجامع الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه تصنيف أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري رضي الله عنه رواية أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري عنه رحمه الله الحسين بن محمد الصدفي » .

وعليها إجازة الصدفي للقاضي عياض في جملة الفقهاء بسماهم له في المسجد الجامع بمرسية ، وعليها من خط السخاوي :

« هذه النسخة جميعها بخط الإمام أبي علي الحسين بن محمد الصدفي شيخ القاضي عياض وهي أصل سماع القاضي عليه كما نرى في

(16) موجودة بالخزانة الملكية تحت عدد 5053 في مجلد ضخم .

الطبقة المبينة في الورقة المقابلة لهذه .

وهي الأصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف إليه وقد اعتمد عليها شيخنا الحافظ أبو الفضل بن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه فتح الباري والله الموفق .

وعليها أيضاً لكاتبه ابن العطار في الشيخ الإمام الحافظ حسين بن محمد الصدفي كاتب هذه النسخة من صحيح البخاري وهو شيخ القاضي عياض صاحب كتاب الشفا وغيره .

قد دام بالصدفي العلم منتشراً وحل قدر عياض الطاهر السلف ولا عجب إذا أبدى لنا درراً ما الدر مظهره إلا من الصدف

وقلت أيضاً في سيدنا ومولانا قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة الكتاني الشافعي أدام الله أيامه وأعز أحكامه وقد حملت إليه هذه النسخة لمجلسه بالصالحية في العشر الأولى من رجب الفرد سنة اثنتين وثمانمائة فنظر فيها وقال :

« لو كتبت نسخة واضحة بخط حسن وقوبلت على هذه لكانت أحسن ثم مال إليها لأن كاتبها رجل جليل القدر فقلت :

رأي البخاري بخط الحافظ الصدفي قاضي القضاة إمام النبل والسلف فمال واسطة العقد الثمين له ولا عجب يميل الدر للصدف

وكتب عليها ايضاً :

للامام قاضي القضاة ابي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان - مصنف وعليها اجازات لكثير من الشيوخ منها :

اجازة الشيخ نجم الدين عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن عبد الكريم بن الحسين بن رزين :

« قرأ جميع هذا الكتاب الجامع على الفقيه الأجل الحافظ الإمام أبي علي حسين بن محمد الصدفي رضي الله عنه محمد بن اسماعيل بن حسين الجمحي وكان الفراغ منه في عقب ربيع الأول من سنة عشر وخمسمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم » .

وعليها أيضاً ما صورته بخط جيد في غاية الاتقان : الحمد لله ، قرأت هذا الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله البخاري رضي الله عنه على الخطيب الصالح الإمام أبي جعفر أحمد بن ولي الله الخطيب الصالح الإمام العالم الزاهد أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ، وحدثني به أبقاء الله عن جده الإمام أبي جعفر المذكور إجازة عن الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة الشاطبي وأبي الخطاب بن واجب عن الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة الرابع عشر من تسمى في الطبقة الثانية بخط أبي عامر ابن المستعين بالله عبد الرحمن بن أحمد بن هود تحته بسماح ابن سعادة على الإمام كاتب هذا الأصل أبي علي الصدفي بسنده فيه وإجاز رضي الله عنه لي ولبني الثلاثة أحمد وشقيقه محمد ومحمد المكي يلي القاسم - وفقهم الله ، جميع ما تجوز لي روايته بشرطه وهذا السند من هذا الطريق أعلى ما يوجد اليوم على وجه الأرض والله الحمد وتناولته من يده رضي الله عنه وذلك بمدينة غرناطة المحروسة في الثامن لجمادى الأولى عام أربعة وخمسين وسبعمائة .

وكتب محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني وبعده ، ما ذكر من القراءة والإجازة والمناولة صحيح كما ذكر وخطه سطر وكتب أحمد بن محمد بن أحمد الهاشمي الطنجالي ، وفي تاريخه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه ، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعند تمام كل حديث صورة

ولا نقط بها إلا ما قل جداً .

وبآخرها عند التمام ما صورته :

آخر الجامع الصحيح الذي صنفه أبو عبد الله البخاري رحمه الله والحمد لله على ما من به وإياه أسأل أن ينفع به وكتبه حسين بن محمد الصدفي من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود مقروءة على أبي ذر رحمه الله وعليها خطه ، وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة الحادي والعشرين من المحرم عام ثمانية وخمسمائة والحمد لله كثيراً كما هو أهله وصلواته على محمد نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .



الرواية الثانية : الرواية السعادية

1 - التعريف بابن سعادة

ابو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد الأموي⁽¹⁾ من أهل بلنسية بالأندلس خرج منها بعد الثمانين واربعمئة للهجرة عندما تملكها الروم قاصداً دانية غير أنه لم يمكث بها طويلاً فغادرها واتجه إلى مرسية فاستوطنها .

ولا نعرف شيئاً عن تاريخ ولادته بالضبط كما لا نعرف تفصيل بداية أمره ونشأته كما لا نعرف له عقباً غير ابنته فاطمة التي صاهر بها شيخه وأستاذه الامام الصدفي⁽²⁾ .

وقد رحل إلى الحج والتقى بالعلماء والشيوخ فروى عنهم وسمع منهم فقد روى عن أبي محمد بن مفوز الشاطبي وأبي الحسن بن شفيع وقرأ عليهما موطأ مالك وسمع السنن من الطرطوشي .

غير أن شيخه الذي اختص به وأكثر من الأخذ عنه والسماع منه هو أستاذه وشيخه أبو علي الصدفي فقد سمع منه عامة روايته ولازم مجالسه كلها وقد ساعده على ذلك أنه كان صهره والقائم بشؤونه واليه أوصى وصارت دواوينه وأصوله .

(1) معجم اصحاب الصدفي الترجمة رقم 167 ص 188 - 190 - المنح البادية ص 20 - 23
التنوية والاشادة ص 3 - العروة الوثقى ص 25 - 26
(2) معجم اصحاب الصدفي ص 189

وقد روى عن الصدفي صحيح الامام البخاري وكتب بخطه من أصله الشهير نسخته المعروفة من الصحيح والتي اشتهرت بالنسخة السعادية حيث قابلها وعارضها وتكرر فيها السماع على ابي علي الصدفي نحو ستين مرة⁽³⁾ .

وكانت لأبي عمران عناية كبيرة بالرواية وانتساخ الأمهات كما كانت له مشاركة في اللغة والادب .

وقد أكد ذلك المقري في نفح الطيب بقوله :

« وعني بالرواية وكتب ونسخ بيده واعتنى وكتب الغريبين للهروي وكان احد الفضلاء . . . »

وقد حدث عنه الناس ورووا وكان ابن أخيه القاضي ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة اشهر من حدث عنه خاصة كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة والفصيح⁽⁴⁾ .

وكما لا يعرف تاريخ ولادته ونشأته بتدقيق كذلك لا تعرف سنة وفاته وقد ذكر ابن الأبار « انه لم يقف لأبي عمران على خبر بعد عام 522 » قائلا : « واحسبه توفي عقبه »⁽⁵⁾ .

(3) معجم اصحاب الصدفي ص 190
(4) التنوية والاشادة ص 5
(5) معجم اصحاب الصدفي ص 190

الرواية عنه وقد تم ذلك بتاريخ ربيع الأول عام 493 هـ الموافق 1100 للميلاد⁽³⁾.

وقد تكررت القراءة والسماع على شيخه في نفس الرواية السعادية حتى بلغت ستين مرة فقد حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد، أنه سمعها أي الصحيحين - على أبي علي نحو ستين مرة⁽⁴⁾.

خصائصها :

لقد اقتصت هذه الرواية بالترجيح والتقديم على غيرها من روايات صحيح الإمام البخاري وفضلها المغاربة وجعلوها معتمد رواياتهم وأساسها لما امتازت به من الصحة والاتقان والضبط.

ويمكننا حصر خصائص الرواية السعادية فيما يلي :

أولاً : كون النسخة السعادية منقولة ومأخوذة عن أصل الحافظ الصدفي المكتوب والمقروء بدوره على أبي ذر الهروي والذي طاف به الأقطار والأمصار وسمعه وقابله على نسخ شيوخه بالعراق ومصر والشام والحجاز والأندلس وغيرها⁽⁵⁾.

كما كانت بيده نسخة من الصحيح قرأت على أبي ذر الهروي⁽⁶⁾ الذي روى الجامع الصحيح وأخذه عن تلاميذ الفربري الذي كانت بيده نسخة الصحيح بخط الإمام البخاري⁽⁷⁾ وبذلك تكون الرواية السعادية منتسخة من نسخة قوبلت بوساطته على خط البخاري نفسها⁽⁸⁾.

(3) السفر الثاني من النسخة السعادية الموجودة بالخزانة العامة تحت رقم 1332 د

(4) معجم اصحاب الصدفي ص 190 (7) المصدر السابق نفسه

(5) التنوية والاشادة ص 5 (8) التنوية والاشادة ص 5

(6) فتح الباري 4 / 255

2- الرواية السعادية

تعريف :

رواية أبي عمران بن سعادة لصحيح البخاري هي فرع من أصل الحافظ الصدفي إذ أن كل رواية اتصلت بالصدفي الا وهي عين رواية ابن سعادة⁽¹⁾.

وهي عمدة النسخ المنتسخة بفاس وكل اقطار المغرب بل افريقيا لصحتها واتصال سندها ولما خصت به من المزايا والخصائص التي سنفصلها فيما بعد .

وقد كتب هذه الرواية بخط يمينه ابو عمران بن سعادة من اصل شيخه وصهره ابي علي الصدفي وجعلها في خمسة اسفار وانتهى من كتابتها وتعليقها أواخر ذي القعدة عام 492 - 1099.

قال ابن الأبار في معجمه⁽²⁾ « وانتسخ صحيح البخاري ومسلم بخطه وسمعها على صهره ابي علي وكانا أصليين لا يكاد يوجد مثلها في الصحة » .

ولم يكد يتم أبو عمران نسخته بالكتابة حتى قام بمقابلتها وتصحيحها وقراءتها وسماعها على شيخه الصدفي الذي أثبت بخطه على أول السفر الثاني من الرواية السعادية تصحيح سماع أبي عمران لسائر

(1) الفكر السامي للحجوي 4 / 60

(2) معجم اصحاب الصدفي ص 190

نفع الطب 1 / 426

ثانياً : إن أبا عمران لم يكتف بنسخ روايته وكتابتها فقط بل لم يكد يتمها حتى قام بمقابلتها وتصحيحها على أصل شيخه أبي علي الصديقي ثم سماعها على الشيخ وتكرر هذا السماع والتصحيح لمدة تزيد على ربع قرن نحو ستين مرة كما أكد ذلك وأثبتته الفقيه أبو محمد عاشر .

هذا فضلاً عن سماعها على بقية شيوخه وأساتذته وسماعها من طرفه لغيره ⁽¹⁰⁾ حيث أكتسبتها هذه المقابلة والتصحيح وتعدد السماع صحةً واتقاناً وضبطاً ميزها عن غيرها من سائر روايات الجامع الصحيح .

ثالثاً : لقد أصبحت الرواية السعادية بعد الصديقي وابن سعادة معتمد أهل المغرب في روايتهم للجامع الصحيح وفضلوها على سائر الروايات والنسخ فأخذوا يسمعون عليها ويقابلون ويصححون نسخهم وبها يعارضون ، كما سجلوا عليها سماعاتهم وملاحظاتهم ابتداءً من محمد ابن سعادة لابن أخي أبي عمران إلى من دونه من العلماء والشيوخ الذين سجلوا سماعاتهم عليها .

وقد توج هذه السماعات على الرواية السعادية إجازة الحافظ الصديقي لصهره ابن سعادة على ظهر الرواية نفسها ثم لولد أخيه محمد ⁽¹¹⁾ مما أكتسبها صحة وقوة وجعل المغاربة « يتخذونها محراب تصحيحهم ويعسوب روايتهم ودرايتهم » ⁽¹²⁾ ويتسخون منها الفروع والنسخ وعلى رأسها الفرع العظيم المسمى « بالنسخة الشيخة » ⁽¹³⁾ الذي انتسخه منها

(10) التنوية والاشادة ص 6

(11) الجزآن الثاني والخامس من الرواية السعادية

(12) التنوية والاشادة ص 9

(13) سميت بالنسخة الشيخة لتفرع النسخ عنها ولتداول العلماء لها واعتمادهم عليها .

أبو عبد الله محمد بن علي المري الفاسي المعروف بالجزولي للشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي رحمهما الله .

وقد أورد الشيخ أبو الفيض حمدون بن الحاج في نظم مقدمة الفتح لدى كلامه على إسناد الصحيح ورواياته قيمة هذه الرواية وأفضليتها بقوله :

وأسنده غصاً طرياً أئمة بشرق وغرب ونشر كل ميمم
وأسنده ما بالغرب طلعة شمس وآسسه في أرجائه يتنسم
عن ابن سعادة الذي له نسخة بها كل قراء البخاري ترغوا

قراءة العلماء بها وسماعهم عليها :

منذ انتساخ الرواية السعادية وتصحيحها ومقابلتها بأصل الحافظ الصديقي ثم اشتهاها وتداول الناس لها أيام أبي عمران لضبطها واتقانها وصحتها إلى أن صارت إلى ابن أخيه محمد بن سعادة فيما صار إليه من أصول أبي عمران ودأبينه ⁽¹⁴⁾ أقبل العلماء على هذه النسخة يقرأون فيها ويسمعون وبها يقابلون ويعارضون وعليها يصححون نسخهم من الجامع الصحيح .

وقد سجل العلماء والشيوخ الذين قرأوا بهذه النسخة أو صححوا عليها سجلوا عليها سماعاتهم وطررهم وتعليقاتهم حتى امتلأت هوامشها وطررها بهذه السماعات والكتابات التي تنقل بعضها ، كما هو مثبت على النسخة السعادية نفسها :

فقد سمع صاحبها نفسه في نسخته على شيخه الصديقي كما أثبتنا سالفاً وهو أول سماع فيها .

(14) نفح الطيب 1 / 158

كما سمع ابن أخيه محمد بن سعادة جميع التصحيح في النسخة ذاتها على أبي علي الصدي وقد كان ذلك بتاريخ ربيع الثاني عام 510 الموافق 1116 للميلاد كما نلاحظ أن محمد بن سعادة كتب عليها تصحيحات متعددة (15).

ونجد على الخمس الأول من الرواية السعدية نص سماع حسين ابن محمد بن علي الأنصاري على محمد بن سعادة بالمسجد الجامع من مرسية وقد كان ذلك سنة 539 / 1144 - 45 م .

ثم نجد سماعاً آخر لمحمد بن أيوب بن محمد الغافقي المعروف بابن نوح فقد سمع جميع الرواية في صفر عام 556 / 1161 م (16) . وأخيراً نجد سماعاً ثالثاً مسجلاً على الرواية السعدية يتعلق بأحمد ابن محمد بن علي النفري الذي سمع السفر الثاني هو وجماعة معه . كما نلاحظ على نفس الأصل وجود خطوط كثيرة للعلماء الذين تناولوا النسخة السعدية ودرسوا بها حيث يوجد عليها :

خط أحمد بن عمر المعروف بابن الخطاب بن واجب وعلى النسخة أيضاً إجازة محمد بن يوسف بن سعادة لابن واجب نفسه وعلى النسخة خط آخر لمحمد بن يوسف وخط عبد الواحد بن محمد القيسي المشهور بابن بقي . وخط عثمان بن محمد بن عيسى اللخمي المعروف بابن عمرو (17) .

كما نجد مسجلاً عليها بخط شيخ الجماعة بفاس أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني أواسط القرن الثاني عشر ما نصه : « عارض به كتابه محمد بن عبد السلام بناني كان الله له » (18) .

على أن أعظم ما يتوج هذه الرواية ويميزها من السماعات والكتابات كتابة الشيخ أبي علي الصدي بخطه على النسخة نفسها على أول الخمس الثاني تصحيح سماع أبي عمران بن سعادة لسائره عنه وكان ذلك بتاريخ ربيع الأول عام 493 الموافق 1100 ميلادية ونصه بالحرف :

« قرأ علي جميع هذا السفر صاحبه الفقيه الفاضل أبو عمران موسى بن سعادة أكرمه الله ، أخبرته أنني سمعت جميع الكتاب على القاضي الإمام أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي رحمه الله . أخبرنا به عن الشيخ الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي عن شيوخه الثلاثة، أبي محمد وأبي إسحاق وأبي الهيثم جميعاً عن أبي عبد الله الفربري عن أبي عبد الله البخاري رضي الله عن جميعهم، وكتب حسين بن محمد الصدي بخطه في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة حامداً الله تعالى ومصلياً على محمد وآله » .

تنقلاتها :

من المعروف أن أبا عمران بن سعادة انتسخ روايته السعدية أواخر القرن الخامس الهجري، ثم صارت من بعده إلى ابن أخيه محمد بن سعادة في جملة دواوينه وأصوله الحسان ، وقد ظلت بيده يقرأ فيها ويسمع الناس منها إلى أن توفي رحمه الله سنة 556 هـ ومنذ ذلك التاريخ بقي مصيرها مجهولاً حوالي ثلاثة قرون إلى العقد الرابع من القرن التاسع وبالضبط حوالي سنة 836 للهجرة .

وما بين وفاة محمد بن يوسف بن سعادة وهذا التاريخ لا ندري شيئاً عنها كما لا نعلم كيف دخلت إلى المغرب وانتقلت إليه من الأندلس ولا من نقلها إليه حيث لا تسعنا النصوص والوثائق إلى اليوم بشيء من ذلك .

(15) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 22 . (17) التنوية والاشادة ص 13

(16) التنوية والاشادة ص 9 (18) في آخر صفحة من الخمس الثاني

ويقدر الشيخ عبد الحي الكتاني⁽¹⁹⁾ أنه لو وجد السفر الأول الضائع من الرواية السعادية لحل الاشكال ولألقى كثيراً من الأضواء على تنقل هذه النسخة منذ وفاة محمد بن سعادة ولعرفنا من حبسها ومن أدخلها إلى المغرب ومن أخرجها من الأندلس وفي أي تاريخ تم ذلك كله .

ويظهر لي أن الرواية السعادية كانت من جملة الكتب التي صارت إلى الأسبان بعد استيلائهم على مدن الأندلس الكبرى وتشتت المسلمين وخرجهم إلى المغرب ، وقد بقيت نفوسهم وعقولهم متعلقة بها وبترائهم الضائع وظلوا يتحينون الفرص لاستعادتها واسترجاعها خوف ضياعها فيما ضاع من كتب وتراث ومجد حتى إذا انهزم الأسبان في إحدى معاركهم مع المسلمين بقيادة أميرهم يعقوب بن عبد الحق المريني بعث ملك الأسبان سانحة إلى الأمير مستشفعاً ومستسلماً فاغتنم يعقوب المريني الفرصة وطلب من ملك الأسبان أن يبعث إليه الكتب التي صارت بيد الأسبان منذ استيلائهم على الأندلس فاستجاب لطلبه وبعثها إليه في ثلاثة عشر حملاً وقفها السلطان على المدرسة التي أسسها بفاس لطلبة العلم والتي سميت بالمدرسة المرينية⁽²⁰⁾ ، وقد ضمت كتبها فيما بعد إلى خزانة القرويين ، كما أكد ذلك ابن خلدون في تاريخه، ومن الممكن أن تكون هذه النسخة السعادية من بين هذه الكتب التي استرجعها يعقوب المريني من ملك الأسبان.

وهناك احتمال آخر لوصولها إلى المغرب وإلى خزانة القرويين عن

(19) التنوية والاشادة ص 16

(20) العبر 7 / 210- التنوية والاشادة ص 16

طريق أولاد ابن حيون الصديين الذين وردوا على فاس مهاجرين من الأندلس ، وقد كانت لأبي علي الصدي مصاهرة مع أبي عمران بن سعادة حيث كان متزوجاً من بنت هذا الأخير ولم يكن له من الولد غير بنت سماها فاطمة⁽²³⁾ أوصى بها من بعده إلى صهره ابن سعادة قبل أن يخرج للجهاد في المعركة التي فقد فيها فكبرت تحت رعاية جدها لأنها موسى بن سعادة ، ومن المحتمل أن تكون النسخة السعادية بقيت بيدها إلى أن ورثها منها أبناءها الذين هاجروا إلى فاس باسم أولاد بن حيون الصديين بعد إجلاء الأسبان لهم وحملوا معهم فيما حملوا من ذخائر وكتب حبسوها على خزانة القرويين كما حبسوا الرابع⁽²⁴⁾ .

وإلى أن نعر على السفر الأول الضائع منها عساه يشفي الغليل ويوجب على كل تسأول أو احتمال عن تاريخ انتقالها إلى المغرب واسم من نقلها ومن حبسها، نعود إلى العقد الرابع من القرن التاسع الهجري وإلى سنة 836 بالضببط حيث نعر علي أول ذكر لها على نسخة من الجامع الصحيح موجودة بالخزانة الملكية تحت رقم 9576، تمت معارضتها ومقابلتها على أصل ابن سعادة كما نقلت صيغة المعارضة إلى آخر الخمس الأخير من نسخة الصحيح بالخزانة الملكية وقد تمت مقابلة هذه النسخة بأصل النسخة السعادية قراءة على محمد بن يحيى السراج بالمسجد الذي كان إماماً فيه بزقة حجامه بفاس وكان ذلك في عدة مجالس بين المغرب والعشاء وكان الفراغ منه في ربيع الثاني عام 836 الموافق 1432⁽²⁵⁾ فهذه أول إشارة نعر عليها لحد الآن إلى النسخة السعادية واستعمالها وتداولها بعد وفاة محمد بن يوسف بن سعادة منذ سنة 556 هـ .

(23) معجم اصحاب الصدي ص 226

(24) التنوية والاشادة ص 19

(25) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 22

كما نجد مصدرين آخرين بعد نسخة الخزانة الملكية يشيران إلى النسخة السعدية : أحدهما بالمكتبة العاشورية بتونس حيث يوجد بها حزان من نسخة خماسية من الجامع الصحيح تمت معارضتها بالنسخة السعدية وذلك برسم خزانة الوزير علي بن يوسف الوطاسي ، وقد كان ذلك بتاريخ 838 - 1434 ⁽²⁶⁾ .

والمصدر الثاني الذي يشير إلى هذا الأصل نسخة من الجامع الصحيح برواية ابن منظور توجد بخزانة تامكروت تحت رقم 312 في ثلاثين جزءاً ، وقد تمت مقابلتها وتصحيحها على النسخة السعدية بتاريخ 846 / 1442 ⁽²⁷⁾ .

مكان وجودها :

منذ منتصف القرن التاسع الهجري إلى نهاية القرن العاشر وبداية الحادي عشر الهجري بدأ ينتظم الحديث عنها وذكرها فقد نص أبو حامد العربي الفاسي في كتابه « مرآة المحاسن » أن النسخة السعدية من الكتب المحبسة على خزانة القرويين بفاس ثم يأتي الهلالي وهو من أهل القرن الثاني عشر - بعده بقرن - فيؤكد ذلك في فهرسته .

وفي أواخر القرن الثاني عشر استعارها السلطان محمد بن عبد الرحمن العلوي وبقيت من بعده عند ولده السلطان الحسن الأول بخزانة القصر الملكي ، وقد كانا يصاحبانها إذا سافرا حيث اتخذها لها صندوقاً مزخرفاً تحمله دابة عظيمة تتقدم ركبهما في أسفارهما .

وقد كان ممن رآها ووقف عليها أواخر القرن الماضي الشيخ أبو

(26) مجلة « المغرب » التي كانت تصدرها وزارة المثل الشخصي لملك المغرب ع 6 - 7 مزدوج بتاريخ دجنبر 1965 ص 15

(27) يوجد هذا مسجلاً على خاتمة النسخة المذكورة بخزانة تامكروت .

المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الذي ذكر في فهرسته أنه شاهدها في المكتبة السلطانية بفاس ⁽²⁸⁾ .

وقد استمر وجودها بخزانة القصر الملكي أيام السلطان عبد العزيز ومن بعده السلطان عبد الحفيظ إلى أن خرج من فاس إلى الرباط فأصبحها معه فيما أصبح من كتب فلما غادرها إلى طنجة بقيت معه هناك إلى أن أعيدت إلى الرباط حيث توجد الآن بالخزانة العامة تحت رقم 1339 / دَوْلْمُ يِقَ منها سوى ثلاثة أسفار الثاني والرابع والخامس .

وكان السفر الأول من الرواية السعدية قد ضاع منذ القديم ثم جدد فيما بعد بسفر آخر بدله انتسخ من النسخة الشيخة المنقولة عن الأصل السعادي وذلك بأمر السلطان محمد بن عبد الرحمن العلوي الذي أصدر ظهيراً ملكياً في ذلك ونصه :

ظهير سيدي محمد بن عبد الرحمن

بانتساخ الجزء الأول من نسخة ابن سعادة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، لما كان الأصل من الجامع الصحيح للامام أبي عبد الله سيدي محمد بن إسماعيل البخاري المنتسخ بخط الحافظ المحدث أبي عمران موسى بن سعادة محبسا بخزانة القرويين عمرها الله وضاع منه الخمس الأول وبحث عنه أشد البحث فلم يوجد أمرنا بانتساخ آخر بدله من النسخة المعروفة بالشيخة بفاس المنتسخة من الأصل المذكور وهو هذا المکتوب عليه وألقناه بياقي أجزاء الأصل المذكور في التحبيس وحوزناه بيد قيم

(28) فهرس الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني ص 29

الخزانة المذكورة فمن بدل أو غير فالله حسبيه وولي الانتقام منه والسلام
في 10 جمادى الأولى عام 1288 .

فقام السيد محمد الهادي بن عبد النبي بن المجذوب الفاسي بتنفيذ
الأمر الملكي وكتب السفر الضائع ونممه بتاريخ 12 ذي الحجة سنة
1285 وقد نقل هذا السفر إلى الخزانة العامة وألحق ببقية أسفار الرواية
السعدية وهو مسجل بها تحت رقم 1332 .

ويوجد بأسفل الصفحة الأولى من الجزء المنتسخ إشهد القاضي
بتحبيسه على خزانة القرويين بتاريخ تاسع وعشرى جمادى الآخرة
عامه .

أما السفر الثالث من نفس الرواية فقد استعاره المستشرق ليفي
بروفنصال لدراسته وتحقيقه أو لتصويره غير أنه توفي قبل أن يعيده إلى
مكانه وقد بقي ضائعاً إلى الآن مجهول المصير وبقيت بذلك الرواية
السعدية مبتورة من سفرها الضائع ولعل همم المسؤولين عن الثقافة
والتراث في بلادنا تتحرك للبحث بجدة عن هذا السفر النفيس وإلحاقه
ببقية الأسفار حتى يظل هذا التراث النفيس كاملاً تاماً كما كان .

ونحب هنا أن نشير إلى أنه في الوقت ذاته قام المستشرق المذكور
بمبادرة علمية ممتازة حيث قام بنشر الخمس الثاني من الرواية السعدية
منقولاً بالتصوير الشمسي من خط ابن سعادة الأصلي، وقد صدر هذا
السفر المصور عن الاصل بمقدمتين نفيستين :

إحداهما باللغة العربية باسم : « التنويه والاشادة بمقام ورواية ابن
سعادة » للشيخ عبد الحي الكتاني وهي دراسة مستفيضة عن ابن سعادة

وروايته وقد طبعت بالمطبعة الفاسية مستقلة، بتاريخ 16 شوال سنة
1346 .

وثانيتهما: مقدمة بالفرنسية بقلم ليفي بروفنصال نفسه وقد نشر
هذا السفر بباريز سنة 1347 الموافق 1928 .

وانني أتوجه هنا إلى راعي العلم والتراث ورائد البعث الاسلامي
الملك الحسن الثاني كي يتم عمل سلفه العظيم الملك محمد الرابع فيأمر
بالبحث الجاد عن الخمس الثالث الضائع والعمل على إرجاعه وإلحاقه
بأصله وإلى أن يوفقه الله للعثور عليه يصدر أمره الكريم بانتساخ جزء
بدله من « النسخة الشيخة » المأخوذة عن الأصل السعادي نفسه ونشر
بقية أسفارها بالتصوير الشمسي تكميلاً لعمل المستشرق المذكور، والقيام
بطبعها طبعة علمية محققة مصححة أسوة بعمله العظيم في المصحف
الحسني وستساعد هذه المبادرة العلمية لا محالة على تركيز الدراسات
الحديثية بالمغرب وغيره وتدفع الدارسين والباحثين إلى العمل على إحياء
هذا التراث العظيم وبعثه والعناية به . .

صحة الرواية السعدية وتفضيل المغاربة لها :

لقد عرف المغرب بعد الأندلس روايات عديدة لصحيح البخاري
قبل الرواية السعدية وبعدها كرواية ابن السكن وأبي علي الصديقي
ورواية عياض وسواهما غير أن المغاربة خصوا الرواية السعدية بالتقديم
والترجيح وفضلوها عما سواها من الروايات والنسخ لما امتازت به من
الصحة والضبط والاتقان .

إلا أن الدارس لا يمكنه الجزم متى دخلت المغرب ومن أدخلها
إليه ومتى نقلت من الأندلس وكيف نقلت إذ الروايات المتعددة عن ذلك
كله من قبيل الاحتمال كما أسلفنا .

إلا أن المؤكد الثابت أن المغاربة منذ عرفوا الرواية السعدادية أقبلوا عليها ونسخوها منها النسخ والفروع وقابلوا عليها وصححوها وعارضوا بها نسخهم وما زالوا إلى الآن مفضلين لها معجبين بها ناهيك بشهادة⁽²⁹⁾ الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري فيها وقوله عنها عند ذكره للنسخة اليونانية :

« ورواية أبي عمران موسى بن سعادة أولى وأوثق وأضبط منها أي اليونانية لإجماع المغاربة في أمصار المغرب عليها » .

ومنذ القرن السابع الهجري وهو التاريخ الذي بين أيدينا نصوصه بدأ العلماء والشيخ الأندلسيون والمغاربة الحديث عن الرواية السعدادية وترجمة صاحبها والتنويه به وتفضيل نسخته وبيان صحتها وما امتازت به من إتقان وضبط وسنقتصر هنا على أهم شهادات المحدثين والعلماء فيها :

فقد تحدث عن النسخة السعدادية الحافظ ابن الأبار في كتابيه « المعجم في أصحاب الصديء، وتكملة الصلة » قال :

وكتب موسى بن سعادة صحيح البخاري ومسلم بخطه وتكرر السماع فيهما على أبي علي نحو ستين مرة⁽³⁰⁾ .

وزاد في التكملة قوله :

« انتسخ صحيح البخاري ومسلم بخطه وسمعتهما على صهره أبي علي وكانا أصليين لا يكاد يوجد في الصحة مثلها »⁽³¹⁾ .

وتحدث عنها المقرئ في « نفح الطيب »⁽³²⁾ في أثناء ترجمته لمحمد بن

(29) التنويه والاشادة ص 15

(30) معجم أصحاب الصديء ص 190- التنويه والاشادة ص 6

(31) التكملة ونقله في نفح الطيب 1 / 426 طبعة مصر

(32) نفس المصدر السابق

سعادة « حكى ابن عباد أنه كانت عنده أصول حسان بخط عمه موسى ابن سعادة مع الصحيحين بخط السلفي في سفرين ، ولم يكن عند شيوخنا مثل كتبه في صحتها وجودتها » .

كما تحدث عن النسخة السعدادية الحافظ أبو العباس أحمد المقرئ قال⁽³³⁾ :

« انتسخ موسى بن سعادة صحيح البخاري ومسلم وسمعتهما على صهره أبي علي الصديء وكانا أصليين لا يوجد في الصحة مثلها » .

واعتبرها الشيخ أبو حامد العربي الفاسي أجلاً للأصول الموجودة بالمغرب حيث قال عنها في مرآة المحاسن⁽³⁴⁾ :

« وهذا الأصل أجل الأصول الموجودة بالمغرب وكان من أحباس جامع القرويين » .

وقال عنهما أبو البركات الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي فيما نقله عنه أبو عبد الله محمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي في « المنح البادية في الأسانيد العالية »⁽³⁵⁾ .

« كان شيخنا الامام أبو البركات يقول : رواية ابن سعادة هي أفضل من الروايات التي عند ابن حجر وإن ابن حجر لم يعثر عليها ، وهي المعتمدة عندنا بالمغرب وهي سلسلة بالمالكية » .

ونجد الشيخ أبا زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي يؤكد اختيار المحدثين المغاربة وتفضيلهم الرواية السعدادية لجودتها وصحتها حيث قال في الاستدعاء الذي كتبه لوالده :

(33) نفح الطيب 1 / 426

(34) التنويه والاشادة ص 12 نقلا عن مرآة المحاسن .

(35) المنح البادية ص 23

« ... أما صحيح البخاري فسمعناه في النسخة التي كتبها أبو عمران موسى بن سعادة وقرأ بها على صهره أبي علي الصدي في نحو ستين مرة وتولى تصحيحها بيده والقراءة بها على الصدي ... إلى أن قال : « ونص على جودة صحتها غير واحد من العلماء كابن الأبار وابن خاتمة ، وغالب ما سمعناه أيضاً من النسخة المنتسخة منها التي تعددت فيها قراءة شيخنا وأشياخه وقراءة أشياخه بعد مقابلتها معها وتصحيحها من جماعة من العلماء وكلهم اعترف بصحتها »⁽³⁶⁾ .

وتحدث عنها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني في فهرسه عند الكلام على أبي عمران بن سعادة قال :

« صاحب النسخة المتداولة بأيدي العلماء التي انتسخها بيده وقرأ بها على شيخ الاسلام أبي علي حسين بن محمد بن فيرة الصدي ... » كما تحدث عنها أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي في فهرسه تحدث عن مكان وجودها وانتساخ الفروع منها واعتماد الفاسيين عليها في رواياتهم قال :

« نسخة ابن سعادة هي المعتمدة عند الفاسيين وهي الآن موجودة بخط راويها أبي عمران موسى بن سعادة في جامع القرويين من محروسة فاس من هذه النسخة أخذت جل النسخ التي كتبها الفاسيون » .

وتوالى مع مرور الزمن وتسلسل التاريخ حديث العلماء عنها واعجابهم بها وتفضيلهم لها فقد تكلم عنها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البصري المكناسي في فهرسه مؤكداً تداول العلماء لها على مر العصور واعتمادهم عليها في روايتهم للصحيح قال :

« ... وتداولتها أيدي العلماء بعدهم إلى هلم جرا ونص على جودتها وتصحيحها غير واحد من العلماء أي إلى أن قال ... وهي المعتمدة عندنا بالمغرب » .

كما تناولها بالحديث عالم سوس يحيى بن عبد الله بن مسعود البكري الجرجري في فهرسه المسماة « ضوء المصباح في الأسانيد الصحاح » .

« وينبغي المحافظة على هذا السند الفريد العالي القدر المجيد خصوصاً عندنا بالمغرب لأن نسخة الامام ابن سعادة هي المعتمدة عندنا بالمغرب » .

كما أكد صحتها وضبطها وإجماع المغاربة عليها وفضلها على النسخة البيونينية الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي قال في كتابه « المزاي » :⁽³⁷⁾ .

« ورواية أبي عمران أولى وأوثق وأضبط منها أي من رواية البيونيني لاجماع المغاربة في أمصار المغرب عليها » .

وقد أكد الشيخ أبو الفيض حمدون بن الحاج من علماء الحديث المتأخرين تداول العلماء والمحدثين للرواية السعادية على مختلف الأزمان والعصور لصحتها وجودتها حيث نص على ذلك في كتابه المسمى « نفحة المسك الداري »⁽³⁸⁾ .

(...) وعليها خط غيرهما ابن سعادة « والصدفي » من اشتهر ذكراً وقرب عصراً وتداولها العلماء بعدهم إلى هلم جرا ونص على جودتها وتصحيحها غير واحد ممن جرى في ذلك المجرى) .

وأجل ما يختتم به الكلام في هذا الباب ما كتبه الشيخ عبد الحي الكتاني عن الرواية السعادية في مقدمته الشهيرة لها عندما نشر الجزء الثاني الضائع منها بعناية المستشرق ليفي بروفنسال ، كما فصلنا سابقاً والتي سماها « التنويه والاشادة بمقام رواية ابن سعادة » فقد أجاد فيها وأفاد وجمع فأوعى ونقل ما قيل عنها من لدن السابقين واللاحقين حيث قال :

«إن رواية ابن سعادة ونسخته اختصت بالترجيح والتقديم على غيرها من الروايات الموجبات» (39) .

ثم زاد قائلاً في نفس المقدمة :

«إن هذه النسخة - أي السعادية - اتخذها أهل الأندلس والمغرب بعد الصديقي وابن سعادة محراب تصحيحهم ويعسوب واتيهم ودرايتهم تداولتها أيدي جماعة من الحفاظ الأعلام وكبار علماء العدو والأندلس في كل جيل ومصر» (40) .

فروع الرواية السعادية

لقد فضل المغاربة رواية ابن سعادة عما سواها من روايات الصحيح لما خصت به من التحقيق والتدقيق ولما امتازت به من الصحة والضبط فأصبحت معتمدهم وسندهم في دراستهم وشروحهم وحواشيهم وتعليقاتهم التي كتبوها ودونوها على الجامع الصحيح كما أصبحت عمدتهم في سائر النسخ التي كتبوها وانتسخوها من الجامع الصحيح مما تزخر به خزاناتنا العامة والخاصة وكل هذه النسخ والفروع نقلت وأخذت وعورضت وصححت من الأصل السعادي نفسه .

قال صاحب المنح البادية : كان شيخنا الامام ابو البركات " يقول :

« هذه رواية ابن سعادة هي أفضل من الروايات التي عند ابن حجر وإن ابن حجر لم يعثر عليها وهي المعتمدة عندنا بالمغرب وهي مسلسل بالمالكية » (1) .

وقد تعددت فروع الرواية السعادية وانتشرت غير أن أول فرع أخذ منها وانتشر واشتهر هو الفرع المنتسخ عنها والذي عرف بالنسخة « الشيخة » .

النسخة الشيخة

هي الفرع الأول من الفروع المنتسخة عن الأصل السعادي ،

(1) ابو البركات عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد الفاسي 1007 - 1091

(2) المنح البادية ص 23

(39) التنويه والاشادة ص 5

(40) التنويه والاشادة ص 9

وهي البديل الوحيد لها ولذلك نرى الملوك يعتمدون عليها عند تعويض ما ضاع منها وقد اشتهر هذا الفرع « بالنسخة الشيخة » لكثرة الفروع المنتسخة منها مباشرة أو بوساطة ، ولكثرة تداول العلماء لها واعتمادهم عليها ^(٣) .

وقد كتبها بخطه العالم أبو عبد الله محمد بن علي المري الأندلسي الفاسي المشهور بالجزولي ^(٤) عن النسخة السعدية برسم الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي المتوفى سنة 1013 هجرية ، وقد جاءت هذه النسخة في خمسة أسفار موازية للأصل المنقول عنه وقد تم انتساخ هذا الفرع في أواخر القرن العاشر وأوائل الحادي عشر الهجريين .

وقد تحدث عنها صاحب «مرآة المحاسن» بقوله :

« كانت قراءة الشيخ أبي المحاسن للصحيح في نسخة نسخت له في خمسة أسفار من نسخة هذه التجزئة بخط الحافظ أبي عمران موسى بن سعادة ^(٥) ، وقد صححت هذه النسخة وقوبلت وعورضت بالأصل السعادي في مجلس الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي فكان يتولى القراءة في النسخة الشيخة أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي بينما يمسك أبو زيد عبد الرحمن الفاسي الأصل السعادي يتابع فيه حتى تعددت هذه المجالس والمقابلات بين الفروع والأصل مرات وقد سجل ذلك صاحب المرآة بقوله :

« وقد كان الفرع المذكور يسرد فيه شيخنا أبو العباس أحمد بن يوسف ويمسك الأصل عمي شيخنا أبو محمد عبد الرحمن وتعددت مقابلاته مرات . . . » ^(٦) .

وقد تناول العلماء هذا الفرع الجليل منذ انتساخه وتصحيحه بالدراسة والتعليق والسماع والكتابة وقد بقيت آثار كل ذلك على النسخة نفسها حيث نجد عليها كتابات وسماعات وتعليق ^(٧) .

فقد سجل عليها أبو زيد الفاسي بخطه تعليقات وأضافات بهامشها ومن هذه الهوامش جمعت حواشي الشيخ أبي زيد عبد الرحمن الفاسي على الصحيح قام بجمعها وترتيبها من طوره عليها حفيد أخيه الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي وسمّاها « تشنيف المسامع ببعض فرائد الجامع » ^(٨) .

وقد نشر بالمطبعة الفاسية على هامش حاشية محمد بن عبد الرحمن بن زكري على الجامع الصحيح في خمسة أجزاء .

وقد أصبحت النسخة الشيخة هي المرجوع إليها في المغرب باعتبارها بديلاً للرواية السعدية المنقول عنها كما صارت عمدة في الانتساخ والتصحيح والمقابلة والضبط وهي موجودة الآن عند عائلة أولاد ابن سليمان الغرناطين ، بيد السفير المغربي السابق الحاج الفاطمي ابن سليمان كاملة بأجزائها الخمسة ، كما توجد نسخة مصورة عنها في فيلم بالخرزانة العامة تحت رقم 736 .

(7) ما زالت قائمة الى الآن مقرّرة وواضحة

(8) التنوية والاشادة ص 10.

صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 23

(5) مرآة المحاسن ص 49

(6) مرآة المحاسن ص 49 - 50

(3) التنوية والاشادة ص 9

(4) ترجم له في سلوة الانفاس 3 / 286

فروع الشيخة

نظراً لأهمية النسخة الشيخة وشهرتها وضبطها وصحتها واتقانها فقد أصبحت معتمد المغاربة ومرجعهم بعد النسخة السعدية خاصة وهي الفرع الوحيد منها والنسخة المطابقة لها لذلك تداولها المحدثون والشيوخ وأخذوا يصححون عليها ويعارضون بها وينسخون منها فتعددت فروعها وانتشرت النسخ منها مباشرة أو بوساطة . من هذه الفروع :

1 - نسخة ميارة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي المتوفى سنة 1072 - 1662 ، وهي نسخة معتمدة بالمغرب ومتداولة كثيراً وقد أدركها الشيخ عبد الحى الكتاني بفاس⁽¹⁾ قبل انتقالها إلى مراكش .

وهذه النسخة هي التي اعتمدها ونسخ منها نسخته العشارية من الجامع الصحيح أبو عبد الله محمد الفضيل بن الفاطمي الشيبهى محدث زرهون وشارح الصحيح في كتابه المسمى « الفجر الساطع على الصحيح الجامع »⁽²⁾ .

ويوجد فرع ميارة من النسخة الشيخة الآن بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 262 حرف الجيم في أربعة أسفار .

(1) التوبة والاشادة ص 10

(2) يوجد هذا الكتاب في ستة أسفار من ذخائر الخزانة الملكية وهو مخطوط .

2 - نسخ الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي المتوفى عام 1091- 1680 وقد اشتهر هذا الشيخ الجليل بالتفرغ لنسخ صحيح البخاري بخطه ومن ثمن بيعها كان يعيش ولذلك كان الناس يتسابقون إلى شراء نسخته والاقبال عليها وما تزال متسخاته الكثيرة للبخاري منبثة ومتفرقة في مكتباتنا الخاصة والعامة .

ففي مكتبة الشيخ عبد الحى الكتاني توجد نسخة منها خماسية⁽³⁾ ،

ونسخة أخرى بفاس عند بعض ابنائه⁽⁴⁾ .

ونسخة ذات خمسة أجزاء بمكتبة الزاوية الحمزاوية تحت رقم 398⁽⁵⁾ .

ونسخ أخرى متفرقة إحداها بمكتبة ضريح الشيخ أبي يعزى بتاغيا وثانية بجامع القصبة بالصويرة وثالثة بالجزائر ورابعة بباريس كما يوجد السفر الخامس من نسخة ثمانية بخزانة الجامع الكبير بمكناس تحت عدد 449⁽⁶⁾ .

3 - نسخة محمد بن أحمد الحريشي الفاسي المتوفى سنة 1102 - 1690 ويوجد منها بالخزانة العامة بالرباط ثلاثة أسفار الأول تحت عدد 1865 ك والثالث تحت عدد 444 د والرابع تحت عدد 509 د .

4 - نسخة محمد المهدي بن أحمد الفاسي الفهري المتوفى سنة 1109 كانت حبساً على مسجد زقاق الماء بفاس ولا يعرف مصيرها

(3) التوبة والاشادة ص 10

(4) المصدر السابق نفسه

(5) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 25

(6) الوراقة المغربية . القسم الثاني : مجلة البحث العلمي ع 18 س 8 ص 305

الآن ، وقد تحدث عنها القادري في كتابه ⁽⁷⁾ .

5 - نسخة أحمد بن العربي بن سليمان الغرناطي الاندلسي المتوفى سنة 1141 هـ وهي موجودة الآن بخزانة القرويين في مجلد واحد .

6 - نسخة أحمد بن قاسم جسوس الفاسي أخي شارح الشرائع المتوفى سنة 1182 هـ بعد وفاة أخيه أحمد وهي في مجلد واحد فرغ من كتابتها سنة 1121 هـ وهي الآن موجودة بخزانة تامكروت تحت عدد 952 ⁽⁸⁾ .

7 - نسخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدلائلي المتوفى سنة 1197 هـ ⁽⁹⁾ وقد اشتهر بمنتسخاته لصحيح البخاري وتوجد نسخة منها بالخزانة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية تحت رقم 211 .

8 - نسخة أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن يحيى الفاسي الذي كان بقيق الحياة سنة 1206 - 1791 وقد انتسخها من نسخة بخط أبي السعود الفاسي وهي الآن بالخزانة الملكية تحت عدد 10571 ⁽¹⁰⁾ .

9 - نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس أحمد الصقلي الحسيني الفاسي المتوفى عام 1232 ، وقد عدد منها كثيراً من النسخ حيث كان يبيعها ويتعيش من ثمنها ، وتوجد بمكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني بعض أجزاءها كما تحدث عنها الشيخ محمد بن جعفر الكتاني مؤكداً أن الشيخ الصقلي كتب عدة نسخ من صحيح البخاري في

(7) المصدر السابق ص 36

(8) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 26

(9) ترجم له في السلوة 2 / 100 - 101 .

(10) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 26

غاية الصحة ونهاية الاتقان مع حسن الخط وتمام الضبط ⁽¹¹⁾ ، ويوجد من منتسخاته أربعة أجزاء الأول والثالث والسادس والسابع بالخزانة الملكية تحت رقم 6163 .

10 - نسخ عبد العزيز بن محمد المهدي لحلو المريني الفاسي المتوفى سنة 1233 ، وتتميز نسخه بالخط الجميل وحسن الزخرفة وجمال التلوين والتذهيب والتفسير وقد كتب عدة نسخ من الجامع الصحيح بخط يمينه منها نسختان كتبها بقلم واحد إحداهما خماسية والثانية في مجلد واحد .

وتوجد من نسخه من الجامع الصحيح نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 695 ج ، وقد فرغ من كتابتها في محرم سنة 1206 وأخرى تحت عدد 1578 د .

كما توجد نسخه أخرى بالخزانة الملكية تحت رقم 3275 وقد أتم كتابتها في شعبان عام 1227 في خمسة أجزاء .

وتوجد بالمكتبة الصادقية بتونس نسخة عشرية ⁽¹²⁾ .

11 - نسخة محمد بن عبد العزيز لحلو الفاسي ولد المترجم قبله والمتوفى عقب سنة 1246 هـ .

12 - نسخة محدث زرهون أبي عبد الله محمد الفضيل بن الفاطمي الشبهي الزرهوني المتوفى عام 1318 / 1900 في عشرة أجزاء وقد كتبها بخطه وصححها وقابلها مرات معتمداً على نسخة الشيخ ميارة شارح المرشد والتحفة ⁽¹³⁾ .

(11) سلوة الانفاس 1 / 138 و 139

(12) برنامج المكتبة الصادقية بتونس 2 / 66

(13) التنوية والاشادة ص 10 و 11 - صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 27

آراء العلماء فيها

رغم إعجاب المغاربة وتفضيلهم للرواية السعادية ولولوعهم بها وشدة تمسكهم بالسند الموصل إليها وذلك لما خصت به من السحة والضبط والتوثيق فإن بعض العلماء وجهوا إليها انتقادات واعتراضات وانكروا على المغاربة ولوعهم بها وتفضيلهم لها عما سواها من روايات الصحيح بدعوى أنها من قبيل الوجادة التي هي أضعف أنواع التحمل .

ونجد في مقدمة الذين عارضوا الرواية السعادية وانتقدوها وأنكروا على المغاربة تلقيهم لها بالقبول والاقبال الشيخ أبا مروان عبد الملك التاجموني ، فقد حدث علامة مراكش الشيخ أبو عبد الله محمد الصغير الأفراني عن شيخه أبي عبد الله المسناوي أن أبا مروان التاجموني « كان ينكر ولوع أهل المغرب برواية ابن سعادة في صحيح البخاري ويعجب من تلقيهم إياها بالقبول . . » كما نقل قوله عنها: « إن رواية ابن سعادة من قبيل الوجادة التي هي أضعف أنواع التحمل عند المحدثين . . » (1) .

ويضيف الشيخ التاجموني معللاً ما ذهب إليه من المعارضة والنقد :

« بأن نسخة الجامع الصحيح صارت (إليه - أي إلى ابن سعادة - من أبي علي الصديقي لصهر كان بينهما وكانت بخط أبي علي نهاية الصحة والضبط فحدث بها ابن سعادة من غير إجازة ولا سماع . . » (2) .

(1) نشر الثاني

التنويه والاشادة ص 22

(2) المصدر السابق نفسه .

وقد نقل نفس الرواية وأكدها عن الشيخ التاجموني بعد نشر المثاني المذكور الشيخ أبو الفيض حمدون بن الحاج الفاسي في كتابه « نفحة المسك الداري لقاريء صحيح البخاري » حيث فصل الكلام عن رأي التاجموني وأورد إثـره رد العلماء المغاربة عليها ودفاعهم عن تفضيلهم ولولوعهم بالرواية السعادية كما نقل بالخصوص رد الشيخ الصغير الأفراني وتفنيد لرأي أبي مروان (3) .

كما تناول الموضوع بتفصيل محدث معاصر هو الشيخ عبد الحي الكتاني فقد تصدى في كتابه فهرس الفهارس (4) وفي مقدمته الشهيرة لنشر السفر الثاني لرواية ابن سعادة المسماة « التنويه والاشادة » حيث أورد أولاً إنكار الشيخ التاجموني على المغاربة ولوعهم بها ومعارضتهم لها، وقام بتفنيد رأيه والرد عليه بالنصوص القاطعة والأدلة الثابتة مما افاد وأجاد وبتحقيق وتدقيق لا مزيد عليه إلا أن الشيخ عبد الحي الكتاني أورد إثر جوابه المفصل للشيخ التاجموني شكه فيما نقل من انتقاد ومعارضة في هذا الصدد وعزا ذلك إلى فساد النقل وعدم الفهم (5) .

وقد تصدى علماء المغرب وشيوخه للرد على هذا الإنكار وتفنيد بما لا يقبل دحضاً ولا افتراضاً ذلك أنه من الثابت ثبوتاً قطعياً أن أبا عمران موسى بن سعادة لازم أبا علي الصديقي ملازمة التلميذ للشيخ ، كما زاد هذه الملازمة والاتصال مصاهرته له وأنه أخذ عنه وروى كما سمع منه الصحيح وقرأه عليه وانتسخ من نسخته الأصلية السعادية بخط يده وقام بمقابلتها ومعارضتها وتحققها حتى ذهب العلماء إلى أنه قرأها أكثر من ستين مرة على أبي علي الصديقي (6) .

(3) نفحة المسك الداري لقاريء صحيح البخاري ص 125 و 126

(4) فهرس الفهارس 1 / 184

(5) التنويه والاشادة ص 22 و 23 و 24 (6) معجم اصحاب الصديقي ص 190

فهذا وحده ينفي قول أبي مروان التاجموتي أن رواية ابن سعادة لصحيح عن الصدفي من دون إجازة ولا سماع⁽⁷⁾.

كما أننا نجد مسجلاً ومكتوباً بخط أبي علي الصدفي على النسخة السعادية وذلك قائم إلى الآن - إجازته لصهره وتلميذه ابن سعادة بعد سماعه وقراءته عليه وأفضل أن أنقل هنا نص هذا السماع كما هو مثبت على أول السفر الثاني من النسخة السعادية بخط الصدفي نفسه :

« قرأ علي جميع هذا السفر صاحبه الفقيه الفاضل أبو عمران موسى بن سعادة أكرمه الله أخبرته بأنني سمعت جميع الكتاب على القاضي الامام أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي . أخبرنا به عن الشيخ الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي عن شيوخه الثلاثة أبي محمد وأبي إسحاق وأبي الشيخ جميعاً عن أبي عبد الله الفربري عن أبي عبد الله البخاري رضي الله عنه وكتب حسين بن محمد الصدفي بخطه في شهر ربيع الأول من سنة 493⁽⁸⁾ حامداً الله تعالى ومصلياً على محمد وآله »⁽⁹⁾.

وقد نص على ذلك ونقله وأكده ابن البار في معجمه لدى ترجمته لموسى بن سعادة والمقري في نفح الطيب عند ترجمته لابن أخيه محمد بن سعادة .

وقد أكد ردود العلماء وانكارهم لرأي أبي مروان الشيخ الأفراني السوسي بقوله :

« وقد أنكر عليه ذلك شيوخ العصر (حق لهم إنكاره فإن تواريخ الأندلسيين ناطقة ببطلان دعواه . . .) »⁽¹⁰⁾.

(7) نشر الثاني

(8) ما زال ذلك قائماً ثابتاً واضحاً على أول السفر الثاني من الرواية السعادية وقد وقفت عليه وقرأته بسهولة ويسر .

(9) التنوية والاشادة ص 22

كما رد على التاجموتي الشيخ أبو الفيض بن الحاج في نظمه لمقدمة الفتح بقوله⁽¹¹⁾ .

ومن غرض من رواية له زاعماً بأنها رواية فقط لا يكلم
لخرقه للاجماع من أهل مغرب وأندلس والحق لا يتلثم

والراجح أن هذا الاعتقاد جاء التاجموتي لكونه كان تحمل عن أبي اسحاق الشهرزوري بطيبة المنورة وروى عنه برواية اليونيني المنتشرة في الشرق ولذلك لم يعجب برواية ابن سعادة وادعى أن المغرب شاغر من صحيح الروايات⁽¹²⁾ .

كما نجد شيخاً آخر من شيوخ المغرب وعلمائه كان يفضل رواية القاضي عياض للبخاري عن الصدفي، على الرواية السعادية وهو الشيخ الحافظ أبو العلاء إدريس العراقي فقد نقل عنه ذلك وسجله تلميذه الشيخ عبد السلام بن الخطاط القادري في فهرسته المسماة « التحفة القادرية » قال :

« وقفت على رواية عياض عن الصدفي المشار إليها عند مولاي إدريس المذكور وسمعت عليه جليها وقابلت معه عليها نسخة ابن سعادة المشار إليها باعتبار ما ظهر لنا : قول شيخنا العراقي صحيح . . . » كما نجد شيخاً مغربياً آخر تأثر برواية اليونيني عندما رحل إلى الحج وجلب معه نسخة منها وصار يعتمد عليها في قراءته لصحيح البخاري بالزاوية الناصرية بتمكروت، ذلكم هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر⁽¹³⁾ ، ونختم هذا الدفاع برد الشيخ عبد الحي الكتاني على أبي مروان

(10) المصدر السابق ص 24 نقلا عن نفحة المسك الإدري

(11) التنوية والاشادة ص 22

(12) ما زال هذا الفرع اليونيني موجودا بالخرانة العامة بالرباط تحت ع 481 ق

التاجموني بقوله :

« أمّا ما ذكره عن التاجموني من أن رواية ابن سعادة عن الصدفي من قبيل الوجادة وتراميه بعد ذلك إلى التصريح بأن ابن سعادة حدث بها عن الصدفي من غير إجازة ولا سماع ففي حيز السقوط ويعد تهجماً كبيراً إن صح عنه على أئمة المغرب وحافظي الأندلس أبي عمران بن سعادة وابن أخيه أبي عبد الله محمد بن يوسف مع أن محملهما من الثقة والضبط معروف معرف به من أئمة النقد ومحقق تراجم الرجال المحتج بتعديلهم وتجريحهم لدى النضال... »⁽¹³⁾

ومما يذكر في هذا الباب من العجب العجائب الوهم الخطير والخط الشهير الذي يهب إليه الفقيه محمد الحجوي في كتابه « الفكر السامي » من كون الرواية السعدية تسمى « بالشيخة » فقد قال في كتابه المذكور بالحرف لدى ترجمته محمد بن يوسف بن سعادة :

« ... روى عن عمه أبي عمران موسى بن سعادة صاحب الرواية والنسخة الشهيرة المعتمدة المسماة بالشيخة ... »⁽¹⁴⁾

وقد أكد هذا الوهم وأثبتته في فهرسته المسماة « مختصر العروة الوثقى » المطبوعة سنة 1357 الموافق 1938م بقوله عند كلامه على رواية ابن سعادة لصحيح البخاري :

« ... ونسخة ابن سعادة هي المسماة عندنا بالشيخة ... » إلى أن قال : « وهذه الشيخة كانت من أحباس خزانة القرويين مجزأة على خمسة أجزاء ، وقد فقد الجزء الأول منها والأربعة موجودة الآن في المكتبة العليا بالرباط » ...⁽¹⁵⁾

(13) التنوية والاشادة ص 22 - 23

(14) الفكر السامي 4 / ص 60

(15) فهرس الحجوي المسمى مختصر العروة الوثقى ص 25 و 26

ولست ادري كيف جاز هذا الخطأ على الفقيه الحجوي فلم يفرق بين الأصل والفرع وتكرر منه هذا الخطأ مرتين إذ النسخة السعدية أصل أندلسي كتب بخط أبي عمران عن أصل شيخه الصدفي كما هو معلوم ومشهور حسباً فصلنا آنفاً بينا الشيخة فرع مغربي فاسي أخذ عن الشيخة برسم الشيخ أبي المحاسن الفاسي وكتبها بخطه أبو عبد الله محمد ابن علي المري الأندلسي الفاسي المعروف بالجزولي وتم انتساخه من الأصل السعادي أواخر القرن العاشر وأول الحادي عشر الهجريين بينا الأصل السعادي تم انتساخه من الأصل الصدفي سنة 493 للهجرة .

وقد أجمع على ذلك العلماء والمحدثون وأثبتوه في كتبهم وفهارسهم جميعاً ونكتفي هنا بما كتبه عن الشيخة صاحب مرآة المحاسن قال : « كانت قراءة الشيخ أبي المحاسن في نسخة له في خمسة أسفار من نسخة هذه التجزئة بخط الحافظ أبي عمران موسى بن سعادة وقد صححت هذه النسخة وقوبلت وعورضت بالأصل السعادي في مجلس الشيخ أبي المحاسن يوسف فكان يتولى القراءة في النسخة الشيخة أبو عباس أحمد ابن يوسف الفاسي بينا يمسك أبو زيد عبد الرحمن الفاسي الأصل السعادي يتابع فيه ... ثم اشتهرت القراءة في الفرع المذكور ... »⁽¹⁶⁾

فمن هذا الكلام يتضح أن هناك أصلاً وفرعاً وأن الرواية السعدية ليست هي المشهورة عندنا بالشيخة بل هي الأصل المأخوذ عنه الفرع المسمى بالشيخة .

وقد أكد هذا الكلام الشيخ عبد الحي ونقله وعلق عليه :

« وصارت هذه النسخة تعرف في فاس بالشيخة لتفرع أكثر نسخ

(16) مرآة المحاسن ص 49 - 50

فاس والمغرب منها ولكثرة تداول الاعلام لها واعتمادهم عليها . . » (17)

وأكثر من ذلك لا مجال للقول بأن بعض أجزاء الشيخة ضاع وأنها من أحباس القرويين وتوجد الآن بالمكتبة العليا بالرباط حسبما ذهب إليه الحجوي في كتابيه السابقين فهذا الكلام ينطبق على أصل أبي عمران بن سعادة، أما الشيخة فهي فرع مغربي كتب بعد خمسة قرون من الأصل السعادي ولم يسبق له أن كان حبساً أو ضاع منه أي جزء بل كتب برسم الشيخ أبي المحاسن الفاسي وما زال عند أولاده إلى أن انتقل إلى أولاد بنسليمان الغرناطين وهذا الفرع موجود الآن كاملاً بيد الحاج الفاطمي بنسليمان كما فصلنا سابقاً .



سند الكتانيين

سندنا لصحيح البخاري من طريق ابن سعادة

جرت عادة العلماء والمحدثين من شراح البخاري ونساخه أن يكتبوا سندهم بعد الترجمة وشرحهم لها ، وذلك من باب الحرص والرغبة في وصل سندهم بسند البخاري في سياق واحد فتكون السلسلة متصلة (1) .

وتبعاً لذلك ، يوجد في النسخ المتسخة عن الرواية السعادية بعد البسملة والصلاة والترجمة الأولى في الصحيح ما نصه : (2) .

« أخبرنا الشيخ الامام الحافظ أبو علي حسين بن محمد فيرة الصدي رضي الله عنه قراءة مني عليه بدانية ثم بقية سند الصدي إلى الامام البخاري ، وهو ما فعله أبو عمران بن سعادة في روايته وهذا ما كتبه بخطه الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي ، وغيره من العلماء السابقين كابن حجر والقسطلاني في شرحيهما لصحيح البخاري .

وقد لاحظ ذلك في فهرسه الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي ورأى أن الأصوب كتابة السند قبل الترجمة لأن الترجمة أو البسملة من جملة المروي عنه بالسند (3) ، وذهب الشيخ أبو عبد الله التاودي بن سودة إلى أنه كان من حقه أن يكون على ظهر الكتاب قبل

(1) الفجر الساطع - المجلد الاول

(2) التنوية والاشادة ص 25

(3) فهرس الهلالي

البسملة والترجمة وأيده في رأيه وذهب مذهبه أبو عبد الله محمد الفضيل الشبهري الزرهوني بقوله: «وحقه أن يكتب بالطرة أو يظهر الأصل»... (٤).

وقد أحببت تيمناً بهذا الأصل الأصيل والسفر النفيس واقتداءً بالآباء بعد الأجداد أن أسوق سندي لصحيح البخاري من طريق ابن سعادة حرصاً مني على وصل السند واتصال السلسلة خاصة وهو إسناد عال قرن فيه السماع بالأجازة وقل نظيره بين الأسانيد المعاصرة فأقول:

«حدثنا به سماعاً لبعضه وإجازة لجميعه والذي الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد الكتاني حفظه الله بالرباط سنة 1397 عن عمه الشيخ عبد الحي الكتاني قال: حدثنا به سماعاً لبعضه وإجازة لكه العلامة المحدث المعمر قاضي مكناس أبو العباس أحمد بن الطالب بن سودة بفاس عام 1318 قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي بمكة عام 1267 عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي عام 1235 قال: أخبرنا الحافظ أبو العلاء إدريس بن محمد العراقي الحسيني الفاسي بفاس عام 1181 قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الحريشي الفاسي دفين المدينة المنورة سماعاً عليه وإجازة بفاس عام 1141 قال: أنبأنا التاج أبو السعود عبد القادر بن علي الفاسي عام 1085 بفاس عن عمه أبي زيد عبد الرحمن وأبي حامد العربي كلاهما عمن عليه في المغرب المدار أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار قال: أخبرنا أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي قال: أخبرنا أبو زيد عبد الرحمن سقين العاصمي السفيناني عن عالم تلمسان أبي عبد الله محمد بن مرزوق المعروف بالكفيف عن والده عالم المغرب أبي عبد الله بن أحمد بن مرزوق التلمساني المعروف بالحفيد قال: أخبرنا الأجل

(4) الفجر الساطع المجلد الأول.

الامام الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الجلد قال: أخبرنا الخطيب الصالح أبو عبد الله بن أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجاي عن الامام أبي جعفر المذكور إجازة عن الامام أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة الشاطبي وأبي الخطاب بن واجب عن الامام أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة عن أبي علي الصدي عن أبي الوليد الباجي عن أبي ذر الهروي عن شيوخه الثلاثة عن الفربري عن البخاري رحمهم الله وأغدق علينا وعليهم سجال الرحمت آمين.

وقد اجتهد المحدثون والعلماء وتسبقوا إلى وصل سندهم إلى البخاري عن طريق ابن سعادة ونذكر في هذا المجال عالين جليلين هما المحدث جعفر بن إدريس الكتاني الذي سجل في فهرسه سنده إلى ابن سعادة (٥) والحافظ الشيخ أبو عبد الله محمد التاودي بن سودة الذي نظمه نظماً وسند الأول كما يلي:

وأما صحيح البخاري لأبي عبد الله البخاري فأرويه برواية ابن سعادة التي نص على جودتها وصحتها غير واحد وهي المعتمدة عندنا بالمغرب ومسلسلة بالمالكية عن الشيخين سيدي الوليد العراقي وسيدي محمد بن حمدون بن الحاج كلاهما عن والد الثاني عن الشيخ أبي عبد الله محمد التاودي بن سودة المري والشيخ الطيب ابن كيران قال الأخير عن سيدي محمد بن الحسن بناني وهو الأول عن سيدي محمد بن عبد السلام بناني وزاد الأول بالأخذ عن أبي العباس بن مبارك اللمطي وأبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس قال ابن عبد السلام عن أبي الفضل أحمد بن العربي بن الحاج وأبي الجمال سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي وأبي الاسرار سيدي الحسن اليوسي، وقال ابن مبارك عن أبي الحسن علي الحريشي، وقال جسوس عن الصوفي الشهير أبي محمد

(5) فهرس الشيخ جعفر الكتاني ص 28 و 29

سيدي عبد السلام والخمسة عن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي عن عم أبيه العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي عن الشيخ أبي عبد الله البقصار عن أبي العباس التنسولي ، عن أبي العباس الدقون الصنهاجي ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف العبدري الشهير بالمواق ، عن أبي عبد الله القيسي المتتوري عن أبي جزي عن أبيه عن أبي الزبير قال البقصار وعن الشيخ سيدي رضوان الجنوي عن سيدي عبد الرحمن سقين العاصمي السفياي عن ابن غازي عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد السراج عن أبيه عن جده أبي البركات بن الحاج البلقيني عن أبي جعفر بن الزبير عن أبي الخطاب بن خليل عن أبي الخطاب بن واجب عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة المولود في رمضان سنة خمس وتسعين وأربعمائة المتوفى سنة ست وستين وخمسمائة عن عمه أبي عمران موسى بن سعادة عن الامام أبي علي الصدي المتوفى سنة أربع عشرة وخمسمائة وربما روى محمد بن سعادة عن الصدي بلا وساطة عن أبي الوليد الباجي عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي المتوفى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وأبي الحسن الداودي المتوفى سنة سبع وستين وأربعمائة كلاهما عن أبي محمد عبد الله بن حموية الحمومي السرخسي المتوفى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وأبي إسحاق البلخي المستملي المتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة وأبي الهيثم محمد بن زراع الكشميهني المتوفى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة كلهم عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري المتوفى سنة عشرين وثلاثمائة عن أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المتوفى سنة ست وخمسين ومائتين رضي الله عنه .

أما السند الثاني من طريق ابن سعادة فقد نظمته الشيخ محمد التاودي بن سودة ، وأورده الشيخ جعفر الكتاني في فهرسه الآنف

الذكر :

يا سائل السند للبخاري
أرويه عن محمد جسوس
عن شيخه الفاسي عبد القادر
قصار عن رضوان عن سقين
محمد بن أبيه عن جده
ابن الزبير عن ابن الخطاب
ابن سعادة روى عن صدي
عن هروي مستمل عن فربري
ما بين سامع وقاري
عن عمه عبد السلام الحريشي
عن عمه عن الامام الماهر
عن ابن غازي والسراج يدني
عيسى عن البلقيني قل ما بعده
عن أبيه⁽⁷⁾ عن صاحب الكتاب
يروى عن الباجي عالي العرق
عن البخاري فاحفظه وادري

(6) فهرس الشيخ جعفر الكتاني ص 30

(7) ما ذكره من أن أبا الخطاب بن خليل يرويه عن أبيه غير سديد وقد رده حمدون بن الحاج في نغمة

المسك الداري ونقله الكوهن وأقره .

3 - الرواية اليونانية

كانت الرواية اليونانية لصحيح البخاري آخر الروايات التي دخلت المغرب حوالي سنة 1129 هـ وذلك على يد الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة 1129. 1717 عند ما رحل إلى الحج وحمل معه فرعاً من النسخة اليونانية وأخذ يعتمد في قراءته للصحيح ودراسته ويدعو أتباعه وأصحابه للقراءة به .

وقبل أن نقوم بالتعريف بهذه النسخة المجلوبة إلى المغرب لا بد من التعريف بالأصل اليوناني وصاحبه والحديث عن النسخة المنقولة وعن الفروع التي تفرعت عنها وأماكن وجودها .
التعريف:

صاحب هذه الرواية من صحيح البخاري هو شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن محمد الهاشمي الحلبي اليوناني " المتوفى سنة 701 - 1302 .

الاصول المعتمدة في تصحيحها

وقد انتسخ أصله من صحيح البخاري في مجلدين معتمداً على أصول أربعة شهيرة وقام بتصحيحه ومقابلته وضبطه ومقارنته بأربعة أصول صحيحة لرواية البخاري وهي :

(1) ترجم له ابن رجب في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة 2 / 345 و 346

الأصل الأول : مسموع على أبي ذر الهروي من طريق أبي العباس أحمد بن الخطيئة ثم المصري وقد اعتمد على هذا الاصل في نسخته لصحته وضبطه وحججه كما صرح بذلك نفسه (2) .

الأصل الثاني : وهو أصل مسموع على الإمام الاصيلي وقد كتبت عليه حواشي بخط يوسف بن عبد الله القرطبي بن عبد البر ، وقد كان اعتماد اليوناني على هذا الاصل لصحته ونباهة صاحبه .

الأصل الثالث : وهو الأصل الذي سمع به أبو القاسم علي بن الحسين الدمشقي المعروف بابن عساكر .

الأصل الرابع : هو أصل مسموع على أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي وقد أكد اليوناني في مقدمة روايته أن اعتماده كان في الدرجة الأولى على هذا الأصل بالذات (3) .

طريقة تصحيحها:

أما طريقة اليوناني في تصحيح نسخته ومقابلتها ومقارنتها بالاصول الصحيحة الكثيرة فقد فاقت كل عناية حيث اتبع أسلوباً فريداً في ضبطه واسماعه حتى قيل إنه اسمعه وقابله في سنة واحدة إحدى عشرة مرة كما أكد ذلك ابن رجب في ترجمته (4) .

وقد قام اليوناني بمقابلة وتصحيح أصله على شيخه وأستاذه محمد ابن عبد الله الجبائي الشهير بابن مالك في مجلس يضم جماعة من العلماء والمحدثين كل منهم بيده نسخة معتمدة من الصحيح يتابعون فيها بقراءة اليوناني وتحت توجيه ونظر ابن مالك حتى إذا ما ظهرت مسألة وقراءة

(2) مقدمة النسخة اليونانية

(3) المجلد الثاني من النسخة اليونانية 4 / 177

(4) الذيل على طبقات الحنابلة 2 / ص 345 و 346

تحتاج الى التصويب والتصحيح رجع ابن مالك إلى أصحاب النسخة الذين يتابعون القراءة واستشارهم ثم يقوم اليونيني بإصلاح النسخة حسب الرأي الذي اهتدى اليه ابن مالك بموافقة بقية أهل المجلس من العلماء .

وقد استغرقت هذه المقابلة والتصحيح واحداً وسبعين مجلساً انتهت بتسجيل ابن مالك تصحيح سماعه على الأصل اليونيني كما كتب إثرها كتابه الشهير الذي ضم تعليقاته وسماه « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح » الذي طبع فيما بعد بالهند عام 1319 ثم طبع بالقاهرة سنة 1376 - 1957.

تنقلت الاصل اليونيني ومكان وجوده :

مرّت على الرواية اليونينية لصحيح البخاري مراحل وأطوار منذ انتساخها فقد أصبحت وقفا على خزانة مدرسة أفبغأص بالقاهرة ، كما ذكر القسطلاني ⁽⁵⁾ ثم مدرسة الجاثي كما سماها المقرئزي في خطه ⁽⁶⁾ ثم ضاع المجلد الاول منها وبقي مفقوداً مدة طويلة الى أن وجد معروضاً للبيع في سوق الكتب القاهرية فأتي به للشهاب القسطلاني وهو منهمك في وضع شرحه على صحيح البخاري فاهتبل لذلك وفرح وأتم معارضته وشرحه عليه .

ثم ضاعت الرواية اليونينية بالمرّة فيما ضاع من أحباس المدرسة إلى أن عثر عليها المحدث المغربي ابن محمد السوسي الروداني المتوفى بدمشق سنة 1094 - 1683.

ومن حوزة العالم المغربي انتقلت إلى ملكية الشيخ محمد أكرم بن

(5) مقدمة ارشاد الساري 1 / 41

(6) الخطط المغربية 4 / 249 مطبعة النيل بمصر

محمد الهندي نزيل مكة وبقيت بيده حتى استعارها منه لتكون عمدته في نسخته التي كتبها من صحيح البخاري الشيخ عبد الله بن سالم البصري محدث الحجاز ومسندها ⁽⁷⁾ ومنذ ذلك التاريخ انقطع ذكر الرواية اليونينية ولم نعد نعلم اين صارت .

الكتابات والسماعات الموجودة على الأصل اليونيني :

يلاحظ على الأصل اليونيني على عادة الأصول الصحيحة والروايات كتابات بخط الإمام ابن مالك الجياني سجل بها تصحيح السماع عند نهايته ، كما نجد كتابة أخرى بخط صاحب الأصل الشرف اليونيني ، فقد كتب ابن مالك في أول المجلد الأخير ما يلي :

« سمعت ما تضمنه هذا المجلد من صحيح البخاري رضي الله عنه بقراءة سيدنا الشيخ الإمام العالم الحافظ المتقن شرف الدين أبي الحسين علي بن محمد بن أحمد اليونيني رضي الله عنه وعن سلفه .

وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء ناظرين في نسخ معتمد عليها فكلما مرّ بهم لفظ ذو إشكال بينت فيه الصواب وضبطته على ما اقتضى علمي بالعربية وما افتقر إلى بسط عبارة واقامة دلالة أخرت أمره إلى جزء أستوفي فيه الكلام مما يحتاج إليه من نظير وشاهد ، ليكون الاقتناع به عاماً ، والبيان تاماً إن شاء الله .

« وكتب محمد بن عبد الله بن مالك حامداً الله تعالى » :

وما نجد أيضاً على الأصل اليونيني من كتابة بخط الشرف اليونيني بآخر نفس المجلد ما نصه :

« بلغت مقابلة وتصحيحاً واسماعاً بين يدي شيخنا شيخ الاسلام حجة

(7) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 34

العرب مالك أزمة الأدب ، الامام العلامة أبي عبد الله بن مالك الطائي الجبائي أمد الله تعالى عمره في المجلس الحادي والسبعين وهو يراعي قراءتي ويلاحظ نطقي ، فيما اختاره ورجحه وأمر بإصلاحه أصلحته وصححت عليه ، وما ذكر أنه يجوز فيه إعرابان أو ثلاثة ، فأعملت ذلك على ما أمر ورجح وأنا أقابل بأصل الحافظ أبي ذر والحافظ محمد الأصيلي والحافظ أبي القاسم الدمشقي ما خلا الجزء الثالث عشر والثالث والثلاثين فإنهما معدومان وبأصل مسموع على الشيخ أبي الوقت بقراءة الحافظ أبي منصور السمعاني وغيره من الحفاظ وهو وقف بخانقاه السيساطي وعلامة ما وافق أبا ذر . . هـ

والاصيلي . . ص

والدمشقي . . ش

وأبا الوقت . . ظ

« فيعلم ذلك وقد ذكرت ذلك في أول الكتاب - في فرخة ⁽⁸⁾ لتعلم الرموز كتبه علي بن محمد الهاشمي اليونيني عفا الله عنه ⁽⁹⁾ .

فروع الأصل اليونيني

لقد تعددت الفروع وانتشرت على الأصل اليونيني واشتهر منها ثلاثة فروع ⁽¹⁰⁾ :

1 / فرع الغزولي .

2 / الفرع المصحح على ما صححه المزي والذهبي .

3 / فرع عبد الله بن سالم البصري .

(8) والفرخة تأنيث فرخ من الورق وهو الصحيفة المعتادة عرفاً لا لغة . ويحفظ المغرب بنسخة من هذه الفرخة بالخزانة الملكية تحت عدد 10802

(9) مقدمة ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ط السادسة المطبعة الاميرية بمصر 1 / 41

(10) مقدمة ارشاد الساري للقسطلاني 1 / 41

1 / أما فرع الغزولي فينسب لشمس الدين محمد بن أحمد الغزولي ⁽¹¹⁾ وهو مقابل على فرعي وقف مدرسة الحاج مالك وأصل اليونيني غير مرة، ويعتبر هذا الفرع من أجل الفروع الذي لعله يفوق أصله كما صرح بذلك القسطلاني نفسه ⁽¹²⁾ ولذلك اعتمد عليه في كتابة متن البخاري ساعة وضع شرحه الشهير عليه وقد كان فرع الغزولي من أحباس المدرسة التنكزية بباب المحروق خارج القاهرة وقد بقي الآن النصف الثاني منه بخزانة دار الكتب المصرية يشتمل على 177 ورقة .

وقد كان الفراغ من كتابته بخط الغزولي يوم الثلاثاء 12 جمادى الآخرة عام 735 ويوجد بآخره سماعات العلماء .

2 / أما الفرع الثاني فقد كتبه بخطه الشيخ محمد بن الياس بن عثمان المتصوف وانتهى من انتساخه في يوم الأحد 20 ربيع النبوي سنة 748 - 1341، وهو في مجلد يشتمل على ثلاثمائة ورقة وواحدة وهو الآن ضمن كتب دار الكتب المصرية .

ويمتاز هذا الفرع بتعدد مقابله وتصحيحه من لدن علماء أجلة فقد قابله بالنسخة اليونينية الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن العسجدي ومن بعده قابله مرة ثانية معتمداً على نسخة صححها تقي الدين السبكي وعلاء الدين التركماني والشيخ أحمد بن علي السبكي الشافعي وانتهى من مقابله في رمضان سنة 761 هجرية ⁽¹³⁾ .

3 / أما الفرع الثالث فهو الفرع المنتسخ بخط الشيخ الحافظ عبد الله بن سالم بن محمد البصري المكي الشافعي المتوفى سنة 1134 .

(11) ترجم له في الدرر الكامنة 3 / 319

(12) مقدمة ارشاد الساري للقسطلاني 1 / 41

(13) فهرس الكتب العربية الموحدة بالخديوية مصر 1 / 302 ط 1310

وقد قضى مدة عشرين سنة في كتابته وتصحيحه معتمداً على أصل الشرف اليونيني مما جعل نسخته أجل الفروع وأصحها حتى أصبحت أصل الأصول للنسخ الشائعة وقد نقل الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه فهرس الفهارس كلام صاحب الخطه نقلاً عن السيد آزاد البلجرامي الهندي في تسليّة الفؤاد عن صاحب هذه النسخة قال ⁽¹⁴⁾ :

«والنسخة التي نسخها الشيخ - يعني البصري - بيده الشريفة هي أصل الأصول للنسخ الشائعة في الآفاق رأيها عند مولانا محمد أسعد الحنفي المكي من تلامذة الشيخ تاج الدين المكي ببلد أركات كان أخذها الشيخ عن ولد المصنف بالاشتراء فقلت للشيخ محمد أسعد: هذه النسخة المباركة حقها أن تكون في الحرمين ولا ينبغي أن تنقل منها إلى مواضع أخرى لاسيما إلى الديار الشاسعة فقال الشيخ: هذا الكلام حسن ولكن ما فارقتها لفرط محبتي لها. ثم أرسل الشيخ كتبه من أركات إلى أورنقباد إحتياطاً لما رأى من هيجان الفتنة بتلك البلاد فوصلت النسخة إلى أورنقباد وهي موجودة بها إلى الآن حفظها الله . . »

كما سجل الشيخ عبد الحي نفسه إثر هذا النقل رؤيته بالمدينة المنورة عند الحكيم المسند الشيخ طاهر سنبل هذا الفرع المبارك في ثمانية أجزاء ملاحظاً أنها كانت في غاية الضبط والاتقان والخط الواضح ⁽¹⁵⁾ ثم نقلت إلى الاستانة لتصحح عليها النسخة الأميرية لصحيح البخاري والتي طبعت بعناية السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في تسعة أجزاء بالقاهرة سنة 1313 الموافق 1895 اعتماداً على الأصل اليونيني المصحح والموجودة بالمكتبة العثمانية - بيلدز - بتركيا تحت إشراف

(14) فهرس الفهارس 1 / 136

(15) فهرس الفهارس 1 / 140 و 141

(16) فهرس الفهارس 1 / 141

جماعة من العلماء برئاسة الشيخ حسونة شيخ الجامع الأزهر ⁽¹⁷⁾ .

4 / الفرع التامكروتي : هو الذي كان جلبه معه من رحلته للحج الشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي التامكروتي المتوفى سنة 1129 ويعتبر أول من أدخل الرواية اليونينية إلى المغرب حيث لم تعرف قبله ولا بعده . ⁽¹⁸⁾

وقد اشترى الشيخ الناصري الفرع المذكور من مكة المكرمة بثلاثة وسبعين مثقال ذهباً في عشرة أجزاء بخط مشرقى واضح كتبه إبراهيم بن علي القيصري المكي الحنفي عن الأصل اليونيني وانتهى من كتابته تجاه الكعبة المعظمة في يوم الجمعة السابع من ذي القعدة سنة 1117 للهجرة الموافق 1706 ميلادية .

وقد كتب على أول الجزء من هذا الفرع الشيخ الناصري بخطه ما يلي :

« ملك الله تعالى بيد أحمد بن ناصر كان الله له بمكة المشرفة بشانين ديناراً ذهباً » وهو موجود الآن في الخزانة العامة بالرباط تحت ع 4181 ق .

وقد قام الشيخ أبو العباس بن ناصر بانتساخ نسخة عن هذا الفرع في ثلاثين جزءاً كتبها محمد بن محمد بن محمد حجي الفاسي الذي فرغ من انتساخها في رجب عام 1128 / 1716، وقد سجل على أول أسفارها أنها من أحباس الزاوية الناصرية مما أمر بنسخها الإمام الكبير الأهر أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر . . . ⁽¹⁹⁾

وما زال هذا الفرع المغربي كاملاً بأجزائه الثلاثين محفوظاً بخزانة

(17) من تقرير كتبه عن هذه الطبعة الشيخ حسونة ونشر في افتتاحيتها

(18) لقد وصلت الرواية اليونينية قبل هذا التاريخ بدخول شرح القسطلاني إلى المغرب .

(19) فهرس الفهارس 2 / 89

تامكروت تحت رقم 949، وبه يقرأ البخاري في رمضان سنة بالزاوية
الناصرية حيث يقرأ جزء في كل يوم إلى أن يختم في نهاية شهر رمضان .
ويوجد من بين ذخائر الخزانة الملكية نسخة شرقية من الأصل
اليوناني في مجلدين كبيرين وقد تكون هذه النسخة من بين الكتب التي
أتى بها من المشرق السلطان سيدي محمد بن عبد الله .⁽²⁰⁾



المبحث الثالث

الأصول الباقية من روايات صحيح البخاري بالمغرب

لقد عرف المغرب منذ القديم روايات عديدة وأصولاً كثيرة
لصحيح الامام أبي عبد الله البخاري وصلت إليه تباعاً منذ أن نقل
الصحيح إليه لأول مرة في النصف الاخير من القرن الرابع الهجري وقد
أقبل أهل المغرب على كتاب صحيح البخاري بعناية وشغف لا مثيل لهما
وأولوه من الاهتمام والدراسة والاقبال ما لم ينله كتاب آخر غيره من
كتب الصحيح ، وقد استمرت عنايتهم به وشغفهم على مر الزمان إلى
اليوم .

ومن مظاهر اهتمامهم به تسابقهم إلى امتلاك أصوله العتاق،
ورواياته الصحيحة وانتساخ الفروع منها ووضع الشروح والخواشي
والتعليقات عليها الأمر الذي جعل مكتباتنا العلمية العامة منها والخاصة،
زاخرة برواياته المتعددة وأصوله ونسخه الفريدة مما يعتبر تراثاً خالداً من
تراثنا الذي نعز به ونحافظ عليه كالرواية السعدية التي تعتبر الفرع
الفريد الشهير للأصل الصدي والموجودة بالخزانة العامة بالرباط والنسخة
« الشيخة » الفرع الشهير للرواية السعدية التي توجد الآن بيد
السيد الفاطمي بن سليمان بالرباط والفروع اليونانية العتيقة والشهيرة
الموجودة بالخزانة الملكية بالرباط وخزانة تامكروت وغيرها . مما تزخر به
الخزانة المغربية من أصول وروايات لصحيح البخاري بقي بعضها كاملاً
بينما لم يبق من بعضها الآخر سوى بعض أجزائها وأسفارها كما سنفصل

القول في ذلك حسب أقدميتها ومكان وجودها .

الأصل الأول :

رواية ابن السكن :

لقد ضاع هذا الأصل ولم يبق منه إلا المجلد الأول بالخزانة الحنسية بالجامع الأعظم بمدينة تازة ، وهو مكتوب بخط عبد المهيم بن علي التميمي المتوفى سنة 698 هـ ، وقد انتسخ وقوبل بأصل أبي الحسن يونس بن محمد بن مغيث الانصاري القرطبي الشهير بابن الصفار المتوفى سنة 532 للهجرة ، والذي روى عن أبي عمر بن الحذاء⁽¹⁾ ، وسمع عليه صحيح البخاري برواية ابن السكن .

وقد اشتهر ابن مغيث بهذه الرواية حتى أن ابن خير في فهرسه أسندها من جهته عن ابن الحذاء عن عبد الله بن محمد الجهني عن ابن السكن عن الفربري عن البخاري⁽²⁾ .

الأصل الثاني :

رواية الإمام الأصيلي :

وقد بقيت منها ثلاث نسخ :

الأولى : توجد بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت عدد 301، وتشتمل على أوراق من الجزأين الرابع والخامس، كتبت بخط أندلسي. انتسخها علي ابن غالب بن محمد الكلبي من أصل مقابل بأصل أبي عبد الله بن عتاب⁽³⁾ المنقول بخطه من نسخة الإمام الأصيلي من صحيح البخاري ، وقد

(1) ترجم لابي عمر صاحب بغية الملتبس ع 347 وفي جذوة المقتبس ع 187

(2) فهرس ابن خير ص 95 الطبعة الجديدة

(3) الصلة ع 1194 - بغية الملتبس ع 241.

انتهى الكلبي من كتابتها بتاريخ 12 شوال سنة 535 بمدينة باغة الأندلسية .

والثانية : وقد بقي منها السفر الأخير من صحيح البخاري ويبتدىء من آخر كتاب الأدب وهو موجود بخزانة الأصيلي بتارودانت .

وقد سجل في آخر هذا السفر أنه تمت كتابته في فاتح رمضان سنة 490 بخط محمد بن عبد الله القاضي انتسخه لنفسه من كتاب قوبل بكتاب الامام الأصيلي رحمه الله⁽⁴⁾ .

والثالثة : عبارة عن قطعة ثالثة من رواية الاصيلي توجد في خزانة وزان تحت عدد 155، وهي الخمس الأخير من صحيح البخاري في مجلد واحد كتب بخط أندلسي عتيق ما عدا صفحته الأولى التي عوضت بخط مغربي .

وقد سجل في آخر المجلد تاريخ انتساخه في آخر شوال عام 505 للهجرة .

الأصل الثالث :

رواية السجلماي :

وهو أبو بكر بن أبي محرز السجلماي، وتوجد بالخزانة الملكية نسخة الجامع الصحيح من روايته عن أبي ذر في ثلاثة أسفار مسجلة بها تحت عدد 4330.

وقد كتب على هذه الأسفار سماع السجلماي لسائر الجامع الصحيح من أبي ذر الهروي بمكة في المسجد الحرام سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، ونقل هنا ما كتب في آخر السفر الأول :

(4) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 13.

« كمل السفر الأول وهو آخر الصلاة يتلوه في أول السفر الثاني أول كتاب الزكاة من مسند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، غني بتصنيفه أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه، سمعه أبو بكر بن أبي محرز السجلماسي من أبي ذر عبد بن أحمد بن محمد الحافظ الهروي المالكي رضي الله عنه بمكة في المسجد الحرام حرسه الله ، وعظم حرمة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة » .

كما سجل على السفرين الآخرين سماع السجلماسي عن أبي ذر الهروي بنفس المكان .

الأصل الرابع :

رواية أبي القاسم النفزاوي :

واسمه الكامل مضر بن الحباب النفزاوي أبو القاسم وقد روى الصحيح عن أبي ذر الهروي .

ويشتمل على سفر واحد هو السفر الرابع الذي يتلو الأسفار الثلاثة السابقة الباقية من نسخة ابن أبي محرز السجلماسي وقد سمع هذا السفر صاحبه على أبي ذر الهروي بمكة في المسجد الحرام بمكة عام 413 هـ حيث تملك نسخة الجامع كلها بالشراء كما هو ثابت ومسجل على السفر الموجود بالخزانة الملكية تحت عدد 4330 .

الأصل الخامس :

رواية ابن منظور القيسي :

وتشتمل هذه الرواية نسخة من عشرين جزءاً توجد بخزانة تامكروت تحت عدد 312 وهو يرويه عن أبي ذر الهروي وقد كتب هذه النسخة العشرينية بفاس أحمد بن علي بن سودة المري وانتهى من

كتابتها سنة 1029 هـ الموافق 1620 .

وقد سجل في افتتاحيتها سماع صاحبها وقراءته على الهروي عند باب الندوة بالمسجد الحرام سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

كما يوجد بخزانة الأستاذ محمد الفاطمي بن الحاج السلمي بفاس الربع الأول من رواية ابن منظور من صحيح البخاري في مجلد واحد مجزأ إلى خمسة أجزاء :

- 1 (يقف عند كتاب الغسل .
- 2 (يقف عند كتاب مواقيت الصلاة .
- 3 (يقف عند كتاب الجمعة .
- 4 (يقف عند باب فضل الصلاة في مسجد مكة .
- 5 (يقف عند باب التلبية .

الأصل السادس :

رواية أبي الحسن علي بن المفرج الصقلي

هذه الرواية أيضاً عن أبي ذر الهروي .

وتوجد نسختان من السفر الأول منها بخط مغربي وهما معاً موجودتان بخزانة تامكروت تحت عدد 1431 و 1451 .

كما نجد مكتوباً في أول النسختين سماع أبي الحسن الصقلي على أبي ذر الهروي بالمسجد الحرام عام أربعين وخمسة وستين للهجرة .

الأصل السابع :

رواية الحافظ أبي علي الصدي

توجد بالخزانة الملكية نسخة من الجامع الصحيح مقابلة على رواية

أبي علي الصديقي مسجلة تحت رقم 5063 في مجلد ضخيم ذي خط اندلسي مليح دقيق مدموج باهت ملون بالأحمر والأزرق والذهب على ورق متين .

ونجد على هذه النسخة كتابات نعرف منها أن انتساخها كان قد تم بتاريخ جمادى الثانية سنة 825 هجرية كما نعرف منها أنها قوبلت وعورضت بأصل الصديقي .

الأصل الثامن :

أصل أبي مكتوم عيسى بن ذر :

وقد اشتراه وحمله معه إلى المغرب لدى عودته من رحلته إلى الحج الأمير ميمون بن ياسين الصنهاجي المرابطي سنة 497 . للهجرة ، كما أكد ذلك السلفي في كتابه « الوجيز » بعدما سمعه عليه في عدة أشهر قبل حلول موسم الحج ⁽⁵⁾ .

وقد تسلسل انتقال هذا الأصل عن الأمير المرابطي حيث يغلب على الظن أنه انتقل منه إلى أحد تلامذته الرواة عنه وهو أبو بكر بن خير الاشبيلي ثم منه إلى يد أبي الحسن الشاري كما أثبت ذلك أبو الحسن الرعيني في برنامج شيوخه أنه قرأ على شيخه الشاري بالجامع الأعظم بسبته كتاب الجامع الصحيح للبخاري وكان الرعيني يمسك أصل أبي بكر بن خير رواية ابن ذر ⁽⁶⁾ .

ويذكر الاستاذ المنوني: « ان قطعة من هذه النسخة كانت معروفة بمكتبة ابن يوسف بمراكش ثم اختلطت مع مر الزمن ضمن الخروم » ⁽⁷⁾ .

(5) التكملة لابن الأبار العدد 1137

(6) برنامج شيوخ الرعيني ص 75

(7) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 18

الأصل التاسع :

نسخة القاضي عياض :

وقد كانت بالمغرب نسخة من الجامع الصحيح من رواية القاضي عياض عن الصديقي وظلت معروفة الى غاية القرن الثاني عشر للهجرة . وقد تحدث عنها عالم مغربي جليل هو الشيخ عبد السلام بن الحياط القادري الفاسي في كتابه المسمى « التحفة القادرية » حيث أكد رؤيته لها عند شيخه أبي العلاء إدريس بن محمد العراقي المتوفى سنة 1183 هجرية. قال القادري عنها في تحفته : ⁽⁸⁾ .

« وقد وقفت على نسخة رواية عياض عن الصديقي المشار لها عند مولاي إدريس المذكور وسمعت عليه جلها وأنا أقابل عليه معها نسخة ابن سعادة . . . » ⁽⁹⁾ .

وقد نقل الشيخ عبد الحي الكتاني كلام الشيخ القادري وأثبتته في كتابيه « فهرس الفهارس والتنويه والاشادة بمقام ورواية ابن سعادة » ⁽¹⁰⁾ .

أما اليوم فلا يعرف لهذه النسخة أثر ولا موضع منذ رؤية الشيخ القادري لها عند شيخه العراقي إلى الآن .

الأصل العاشر:

أصل ابن حطية اللخمي

وصاحب هذا الأصل هو أبو العباس أحمد بن عبد الله اللخمي

الفاسي المعروف بابن حطية سكن مصر وتوفي بها سنة 560 للهجرة ⁽¹¹⁾

(8) التحفة القادرية مخطوط الخزانة العامة رقم 2321

(9) التحفة القادرية مخطوط الخزانة العامة تحت رقم 2321 حرفك المجلد الأول الباب التاسع .

(10) فهرس 368 / 2 والتنويه ص 28 و 29 .

(11) ترجم له صاحب وفيات الاعيان م بولاق 1299 / 1 67 - 68 وابن القاضي في جذوة المقتبس ط

ق ص 46 و 47

وقد عرفت بالمغرب نسختان ⁽¹²⁾ من هذا الأصل .

أما الأولى فيوجد السفر منها بخزانة تامكروت وتحت عدد 1437 وعليه كتابة تتضمن قراءة صاحبه على اللخمي بمسجده بمصر سنة خمسائة وسبع وأربعين 547 هجرية ثم قراءة الذي يليه إلى أبي ذر بالمسجد الحرام .

أما النسخة الثانية من هذا الأصل فتوجد بالمكتبة الأحمديّة بفاس وقد دخلت إلى المغرب حديثاً في بداية منتصف هذا القرن حوالي 1358 / 1939 وما بقي منها في مجلد واحد يضم جزئين وبعض الثالث بخط شرقي مليح .

يبتدىء الأول من افتتاح الجامع الصحيح وينتهي في آخر كتاب العتق، بينما يبتدىء الثاني من كتاب الهبة إلى آخر سورة الطور.

ويبتدىء الثالث من سورة النجم إلى آخر كتاب التفسير .

كما نجد كتابات أخرى على هذه النسخة وهي بالهامش تتضمن مقابلهما وسماها على الشيخ صلاح الدين بالمسجد الأقصى ⁽¹³⁾ .
وننقل هنا تعليقا آخر مكتوباً في آخر الجزء الثالث من هذه النسخة ونصه :

« بلغ مقابلة وسماها على الشيخة المعمرة أم محمد عائشة بنت عبد الهادي بزواوية الشيخ الامام العلامة أبي اسحاق ابراهيم - وهو حاضر- الموصل في مجالس آخرها حادي عشر مجلس في شهر رمضان المعظم سنة إحدى عشرة وثمانمائة والحمد لله » .

(12) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 18 و 19

(13) هامش ورقة عدد 108 أ

الفصل الثالث

تاريخ الإجازة بالمغرب

الإجازة
تاريخ الإجازة في المغرب
الإستدعاء

المبحث الأول

الإجازة

تعريفها:

أ - لغةً : الإجازة مأخوذة من جواز الماء الذي يستعمل لسقاية الماشية والأرض .

يقال : استجزت فلاناً فأجازني إذا سقاك ماء لأرضك وبماشيته. كذلك طالب العلم يسأل العالم أن يميزه علمه فيميزه إياه، فالطالب مستجيز والعالم مجيز⁽¹⁾.

واعتبر الامام القسطلاني الاجازة مشتقة من التجوز وهو التعدي فكأنه عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه⁽²⁾.

ب - اصطلاحاً : هي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه وذلك بقوله « أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني أو ما صحّ عندك من مسموعاتي » .

قال أبو الحسين بن فارس : « فعلى هذا يجوز أن تقول أجزت فلاناً مسموعاتي ومن جعل الاجازة اذناً وهو المعروف يقول : أجزت له

(1) الكفاية ص 447

تدريب الراوي 266 و 267

(2) المنهج للقسطلاني - التدريب 267

رواية مسموعاتي ومتى قال : أجزت له مسموعاتي فعلى الحذف كما في نظائره ⁽³⁾ .

وعرفها الامام السمني باعتبار أركانها الأربعة فقال : الاجازة في الاصطلاح إذن في الرواية لفظاً أو خطأ يفيد الاخبار الاجمالي عرفاً وأركانها أربعة : المجيز والمجيز له والمجاز به ولفظ الاجازة ⁽⁴⁾ .

أهميتها :

الإجازة أمر ضروري في الرواية وبها تتم وتكمل والا كانت ناقصة لا محالة .

أخبرنا أبو محمد بن عتاب عن أبيه أبي عبد الله وكان من أهل التيقظ والتحري والتحفظ في الرواية أنه قال :

« لا غنى لطالب الحديث عن الاجازة سمع ما يحمله عن المحدث أو عرضه عليه أو سمعه يعرض غيره عليه بجواز الغفلة والسنة والاسقاط والتعجيب والتبديل عليهما أو على أحدهما .

فإن كان المحدث هو القارئ بلفظه فجائز السهو على المستمع وذهاب ما يقرأ عليه، وإن كان غيره فجائز أن يسهو الذي يقرأ عليه، فإذا أضيفت الاجازة الى السماع أو العرض احتوت الاجازة على جميع ما تقع فيه غائلة من الغوائل .

قال الامام أبو العباس أحمد بن الخطيب المعروف بابن قنفذ القسطيني في كتابه "شرف الطالب" :

« إن طلب الاجازة والرواية من شأن أهل العلم ، كذلك معرفة أفاضل

(3) التدريب 267

(4) التدريب 268

الأئمة من صحابي وتابعي وفقهه، ومن الكمال معرفة تاريخ ولادتهم ووفاتهم ليتبين من سبق لمن يلحقه ⁽⁵⁾ .

وقال أبو موسى عيسى مسكي : الاجازة قوية وهي رأس مال كبير وجائز أن يقول حدثني فلان وأخبرني فلان ⁽⁶⁾ .

واعتبرها عبد الرحمن بن مخلد بمثابة السمع قال : « الاجازة عندي وعند أبيي وجدي كالسماع » ⁽⁷⁾ .

قال أبو الحسن بن النعمة رحمه الله : « لم يزل العلماء على قديم الزمان يستعملون هذه الاجازات ويرونها من أنفس الحليات ويعتقدونها رأس مال الطالب ويرون أن من عدمها المغلوب غير الغالب فإذا ذكر حديثاً أو قراءة أو معنى ما أو رواية قالوا : أين إسناده وعلى من عماده فان عدم سنداً ترك سدى ونفي قوله ولم يعرف فضله » ⁽⁸⁾ .

ومن أجل ذلك كله تسابق العلماء والأئمة والملوك الى نيل الاجازة والحصول عليها وطلبها وصارت أمنية محبة ومقصداً مطلوباً من جميع الطبقات حتى كانوا يبذلون النفس والنفيس ويرحلون المسافات الطوال من أجل الحصول على إجازة عالم في كتاب أو حديث أو نحوهما ، وكان الملوك خاصة والامراء يلحون في طلب الحصول عليها ويوفدون الوفود الى الاقطار البعيدة من أجل ذلك كما هو الشأن منذ العصور الأولى للاسلام .

وقد سعى أمراء المرابطين وخلفاؤهم بل ذهب أحدهم للحج قصد الحصول على رواية أبي ذر الهروي وحملها عن صاحبها كما حدث مع الأمير ياسين المرابطي .

(5) فهرس الفهارس 1 / 53

(6) فهرس السراج ص 32

(7) المرجع السابق ص 33

(8) فهرس السراج ص 33

وكما هو الشأن في تاريخ المنصور الذهبي الذي طلب من الإمامين البكري والقرافي إجازته فأجازاه إجازتين سندكهما في محلها فيما بعد :
أنواعها :

تنقسم أنواع الإجازة ودرجاتها الى ثلاثة :

- 1 - أعلى درجات الإجازة عندهم المشافهة بها ⁽⁹⁾ .
 - 2 - الاذن بها مع المغيب وهي الرسالة لأن الرسول يضبط وينطق ⁽¹⁰⁾ .
 - 3 - الكتابة كأن يكتب الشيخ للطالب بخطه بحضرته أو مغيبه والفرق بينهما ، وبين سابقهما أن الكتابة لا تنطق وان كانت تضبط .
- والأصل في الإجازة أن ينطق بلفظها الصريح شفاهاً أمام تلميذه والكتابة مساوية للنطق ، وكثيراً ما تكتب الإجازة على كتاب بخط الشيخ كأن يقول :
- « أجزت فلاناً رواية هذا الكتاب عني » .

ألفاظها :

اختلف القائلون بصحة الإجازة في كيفية اللفظ الذي ينبغي أن يستعمله الراوي بالإجازة وقد فضل الامام البخاري في صحيحه أن يقول الراوي بها: كتب إلي فلان، وهو مذهب ابن أبي حاتم الرازي في تأليفه وسار عليه من جاء بعدهما من الحفاظ والمحدثين ⁽¹¹⁾ .

وقد فصل القول في ذلك الامام السراج في فهرسه : « وأجود ذلك

(9) اللامع ص 88

(10) اللامع ص 88

(11) فهرس السراج ص 31 .

عندي وأحسنه ولدى التأمل أثبتته وأبينه أن يقول المحدث في الرواية عمن شاهده وشافهه: أنبأني، ومن كاتبه ولم يشاهده: كتب إلي، وفيما سمعته أنا حدثنا وسمعت ليعلم بذلك مسموعه من مجازة وأن يقول فيما سمع من لفظ شيخه وجده حدثني :

« وفي الذي سمعته منه كذلك لفظ مع غيره حدثنا وفيما سمعته عليه وحده بقراءته أخبرني وفي الذي سمعته ومعه أحد فصاعداً أنا سواء قرأه هو أو غيره ليقس على ما قررناه من الجواز المسموع من المستجاز »

وهو أيضاً مذهب مالك وابن منظور قاضي القيروان وفقه المغرب فيما روى القاضي عياض عنهما قال : « حدثنا الخولاني عن أبي ذر قال : أخبرنا أبو العباس المالكي . أخبرنا تميم بن محمد . أخبرنا أبو الغصن السوسي . أخبرنا عون بن يوسف . أخبرنا ابن وهب قال :

« كنت عند مالك بن أنس فجاءه رجل يحمل « الموطأ » في كسائه فقال له . . يا أبا عبد الله، هذا موطؤك قد كتبت وقابلته فأجزه لي . قال : قد فعلت . قال : فكيف أقول : حدثنا مالك أو أخبرنا مالك ؟ قال : أيهما شئت ، ⁽¹²⁾ وأخبرنا الخولاني قال : أخبرني أبو عمرو والمقرئ حدثني علي محمد الربيعي أخبرنا زياد بن يونس ، قال عيسى بن مسكين : الإجازة رأس مال كبير وجائز أن يقول : « حدثني فلان وأخبرني فلان » ⁽¹³⁾ .

وروى القاضي عياض قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد

حدثني أبي قال :

(12) المصدر السابق نفس الصفحة

(13) اللامع ص 90

(14) المصدر السابق ص 91 .

« قلت للآوزاعي ما قرأته عليك وأجزته لي ما أقول فيها؟ قال :
ما أجزت لك وحدك فقل فيه «خبرني». وما أجزته لجماعة أنت فيهم فقل
فيه «خبرنا» (15).

وذهب جماعة الى الاطلاق حدثنا وأخبرنا في الاجازة وحكى ذلك
عن ابن جريج وجماعة من المتقدمين ومنع الاطلاق جملة الأصوليين عدا
الجويني قائلًا :

« لكن ليست عندي عبارة مرضية لاثقة بالتحفظ والتصون فالوجه
البرح بالاجازة (16).

واختار أبو حاتم الرازي أن يقول في الاجازة بالمشافهة أجاز لي
وفيما كتب إليه : كتب إلي .

وذهب أبو سليمان الخطابي إلى أن يقول في الاجازة :

« أخبرنا فلان أن فلانا حدثه ليتبين بهذا أنه أجازة (17).

قال القاضي عياض : (18).

« وقد كان للسلف في هذه العبارة اختيار في إثارة بعض الالفاظ
دون بعض فمنهم من كان لا يقول إلا أخبرنا كعروة وابن جريج وابن
المبارك وعبد الرزاق وآخرين ومنهم من كان لا يقول إلا حدثنا كعلي بن
أبي طالب ومالك ، ومنهم من كان يقولها معاً وهم الكثيرون اعتماداً على
ما ورد في القرآن الكريم «يومئذ تحدث أخبارها» وقد نبأنا الله من
أخباركم «نبؤني بعلم إن كنتم صادقين» .

(15) المحدث الفاضل ص 96 - فتح المغيث 225 - الكفاية 302 - الإلماع 127

(16) الإلماع ص 128

(17) فتح المغيث 225 - الإلماع ص 129

(18) الإلماع ص 239

وقوله عليه السلام : « حدثوني ما هي » (19) و « أخبرني بهما أنفا
جبريل » (20) « وحدثني تميم الداري » (21) « وألا أخبركم بخير دور
الأنصار » (22).

شروطها :

شَرَطَ العلماءُ في قبول الاجازة والرواية بها والعمل بمقتضاها
شروطاً لا بد من توفرها في المجيز والمجاز .

قال أبو العباس المالك في كتابه الوجازة (23) : « ولما لك شروط في
الاجازة » :

- 1 - أن يكون الفرع معارضاً بالأصل حتى كأنه هو .
- 2 - وأن يكون المجيز عالماً بما يميز ثقة في دينه وروايته معروفاً بالعلم .
- 3 - وأن يكون المجاز من أهل العلم متسماً به حتى لا يضع العلم إلا
عند أهله .

وكان الامام مالك يكرهها لمن ليس من أهل العلم ويقول : « إذا
امتنع من إعطاء الاجازة أحدهم يجب أن يدعى قساً وإن لم يخدم الكنيسة » .

وهو مذهب النووي أيضاً .

وعلق على هذه الشروط القاضي عياض بقوله :

« أما الشرطان الأولان فواجبان على كل حال في السماع والعرض

(19) أخرجه الطبري في تفسيره 13 / 137 و 138

(20) أخرجه البخاري الحديث 125 / 8 من الفتح

(21) أخرجه ابن عساکر في تاريخه 3 / 345

(22) أخرجه أبو نعیم في الحلیة 6 / 354 - 355

(23) فتح المغيث ص 212 الكفاية 317 الإلماع 94 و 95 - التدريب 267

والإحازة وسائر طرق النقل إلا اشترط العلم فمختلف فيه ⁽²⁴⁾ .

وقال أبو عمر بن عبد البر :

« الصحيح أنها لا تجوز إلا لماهر بالصناعة حاذق بها يعرف كيف يتناولها ويكون في شيء معين لا يشكل إسناده » ⁽²⁵⁾ .

وأضاف ابن عبد البر معلقاً على الشرط الأخير ومفصلاً :

« هذا هو الصحيح من القول : « وإذا كان الذي أجاز له على غير ما وصفت لم يؤمن أن يحدث عن الذي أجاز له بما ليس من حديثه أو ينقص من إسناد الحديث إلى الرجل والرجلين وإنما كرهها من كرهها لهذا والله أعلم » ⁽²⁶⁾ .

وخصص ابن سيد الناس هذا العلم بمعنى الإجازة فقط أي كونه علماً إجمالياً لا تفصيلاً بمعنى أن المجيز روى شيئاً وأن معنى إجازته لذلك الغير في رواية ذلك الشيء عنه بطريق الإجازة المعهودة لا العلم التفصيلي بما روى .

قال : « وهذا الذي أشرت إليه من التوسع في الإجازة هو طريق الجمهور » .

وقال القسطلاني : « وما عداه من التشديد فهو منافي لما جوزت الإجازة له من بقاء السلسلة نعم لا يشترط التأهل حين التحمل ولم يقل أحد بالأداء بدون شرط الرواية وعليه يحمل قوله : « أجزت له رواية كذا بشرطه ومنه ثبوت المروي من حديث المجيز » .

وذهب عياض إلى أنها :

« تصح بعد تصحيح روايات الشيخ ومسموعاته وتحقيقها وصحة

(24) (الإلماع ص 95)

(25) المصدر السابق 95 و 96 جامع بيان العلم 179 / 2 و 180 فتح المغيب 212 - فهرس السراج 31 و 32 .

(26) فهرس السراج ص 32 وجامع بيان العلم 179 / 2 180 .

مطابقة كتب الراوي لها والاعتماد على الأصول المصححة وكتب بعضهم لمن علم منه التأهل : أجزت له الرواية عني وهو لما علم من إتقانه وضبطه غني عن تقيدي ذلك بشرطه » .

وكان العلماء لا يعطون الإحازة إلا بعد طول ملازمة من الطالب لشيخه حتى يستأنس الشيخ من الطالب المقدرة. يؤكد ذلك ما رواه الخطيب عن مالك من أنه .. « سئل عن رجل يقول له العالم هذا كتابي فأحمله عني وحدث بما فيه عني قال : « لا أرى هذا يجوز ولا يعجبني وإنما يريد هذا الحمل يريد بذلك الحمل الكثير بالاقامة اليسيرة وما يعجبني ذلك » ⁽²⁷⁾ .

وكان مالك يمتنع من إعطاء الإجازة لمن لم يلازمه ملازمة طويلة ⁽²⁸⁾ .

وجاء قوم إلى أبي الأشعث أحمد بن المقدم الفحلي يسألونه إجازة كتاب قد حدث به فأمل عليهم ⁽²⁹⁾ «

كتابي إليكم فافهموه فإنه رسول إليكم والكتاب رسول وهذا سماعي من رجال لقيتهم لهم ورع في فهمهم وعقول فإن شئتم فارووه عني فإنما تقولون ما قد قلته وأقول

وذكرها أبو جعفر الفاروقي بقوله :

أجاز لهم عمر الشافعي جميع الذي سأل المستجير ولم يشترط غير ما في اسمه عليه وذلك شرط وجيز

يعني العدل والمعرفة المانعين من الصرف ⁽³⁰⁾ .

(27) الكفاية ص 454 جامع بيان العلم 22 / 2

(28) الكفاية ص 455

(29) الإلماع ص 97 الغنية ل 60 باختلاف بعض اللفاظ وزيادة بيت

(30) فهرس الفهارس 10 / 1 .

وقال المصطلحي في ذلك أيضاً :

وانما تستحسن الاجازة من عالم بها ومن أجازها طالب علم والوليد ذا ذكر عن مالك شرط وعن أبي عمر إن الصحيح أنها لا تقبل إلا لماهر وما لا يشكل

وقال الامام القصار :

أجزت لكم باللفظ عني وبالخط على شرط أن ترووه بالضبط والنقط⁽³¹⁾ وجوهها وأضر بها :

تنقسم الاجازة الى ستة أوجه وأضرب ، وقد جعلها بعضهم تسعة كعياض والسيوطي في حين بلغت سبعة عند ابن الصلاح وهي كما يلي :

الوجه الأول : أن يميز معين لمعين كاجازة كتب معينة وأحاديث مخصصة مفسرة مثل أجزتك صحيح البخاري أو ما اشتملت عليه فهرستي وهذا النوع أعلى أوجه الاجازة وأضر بها ولم يختلف في جوازها ولا خالف فيها أهل الظاهر .

وقد سوى بعضهم بين هذا الوجه وبين المناولة .

الوجه الثاني : أن يميز بمعين على العموم والابهام دون تخصيص ولا تعيين لكتب ولا أحاديث كأجزتك مسموعاتي وأجزت لك جميع روايتي أو ما صح عندك من رواية .

والخلاف في هذا الوجه أقوى وأكثر وقد جوز الجمهور الرواية والعمل بها .

الوجه الثالث : الاجازة للعموم من غير تعيين المجاز له وهو على

(31) فهرس النهارس 1 / 85 .

نوعين :

أ - معلقة بوصف ومخصصة بوقت كقول الشيخ أجزت لمن لقيني أو لكل من قرأ علي العلم أو لبلد كذا .

ب - مطلقة كقول الشيخ أجزت لجميع المسلمين أو لكل أحد وفي هذا الوجه خلاف بين المجوزين والممانعين ومن الأولين القاضي أبو الطيب والخطيب وابن منده وابن عتاب⁽³²⁾ .

الوجه الرابع : الاجازة للمجهول كأجزتك كتاب السنن وهو يروي كتباً في السنن أو أجزت لمحمد بن خالد فهذا جائز أما أجزت لمن شاء فلان ففيه جهالة والظاهر بطلانه⁽³³⁾ .

الوجه الخامس : الاجازة للمعدوم كقول الشيخ أجزت لفلان وولده أو كأجزت لمن يولد لفلان أو لفقيه أو لطلبة العلم ببلد كذا . وفي هذا الوجه خلاف حيث أجازته معظم الشيوخ المتأخرين ومنهم أبو الفضل بن عمرو البغدادي المالكي وابن الفراء الحنبلي وغيرهما . ومنع ذلك الماوردي . واحتج المجيزون بالقياس على الوقت على المعدوم عند القائلين به من المالكية والحنفية⁽³⁴⁾ .

الوجه السادس : الاجازة لما لم يروه المجيز بعد وذلك ليرويه المجاز إذا تحمله المجيز .

قال القاضي عياض : فهذا لم أر من تكلم عليه من المشايخ ورأيت بعض العصريين والمتأخرين يصنعونه . والجمهور من المحدثين والعلماء متفقون على منعه . قال عياض : وهذا هو الصواب فإن ذا يميز بما لا خبر

(32) التدريب ص 258

(33) التدريب ص 260

(34) الاماع ص 105

عنده منه ويأذن في الحديث بما لم يتحدث به بعد فمنعه هو الصواب .

الوجه السابع : إجازة المجاز وهو كقول الشيخ أجزتك مجازاتي أو جميع ما أجز لي روايته .
وفي هذا الوجه خلاف .

والصحيح الذي عليه العمل جوازه وبه قطع الحفاظ أبو الحسن الدارقطني وأبو نعيم الإصبهاني وأبو الفتح المقدسي ⁽³⁵⁾ ، وكان هذا يروي بالإجازة عن الإجازة وربما وإلى بين ثلاث ⁽³⁶⁾ .

وقد اقتصر القاضي عياض على الوجوه الستة الأولى ولم يذكر هذا الوجه .

جواز الرواية بالإجازة والعمل بها :

لا خلاف في جواز الرواية بالإجازة من سلف هذه الأمة وخلفها وادعى أبو الوليد الباجي والقاضي عياض الإجماع عليها وقصر أبو مروان الطنبلي الصحة عليها .

واحتج العلماء لجوازها بحديث أن النبي ﷺ كتب سورة براءة في صحيفة ودفعها لأبي بكر ثم بعث علياً بن أبي طالب فأخذها منه ولم يقرأها عليه ولا هو أيضاً حتى وصل إلى مكة ففتحها وقرأها على الناس ⁽³⁷⁾ .

وقال الأكثرون بجوازها وبذلك استمر العمل وقال جمهور

(35) التدريب ص 265

(36) المصدر السابق نفس الصفحة .

(37) التدريب ص 257

العلماء من أهل الحديث وغيرهم ، بتجوز الإجازة وإباحة الرواية بها ومن نقل عنه ذلك الحسن البصري ونافع مولى ابن عمر وابن شهاب وربيعه وهشام بن عروة والأوزاعي وابن الماجشون وابن جريج والثوري والليث بن سعد وابن عيينه وأحمد بن حنبل والكراسي والإمامان البخاري ومسلم ومحمد بن إسحاق والشافعي ومالك ⁽³⁸⁾ .

وفي ذلك يقول الحفاظ أبو طاهر السلفي : اعلم أن الإجازة جائزة عند فقهاء الشرع المتصرفين في الأصل منه والفرع وعلماء الحديث في القديم والحديث قرناً وعصراً فعصراً إلى زماننا هذا ويبسحون بها الحديث ويخالفون فيها المعاند المبتدع الخبيث إلى أن قال: ويجب « العمل عليها والسكون أبداً إليها من غير شك في صحتها وريب في فسحتها » ⁽³⁹⁾ .

وقد روى الإمام السراج في صحة القول بالإجازة شعراً أنشده أبو محمد عبد العزيز بن علي بن زيدان نزيل فاس :

لا تعرض هديت الرشد عن خير فيه بالإجازة واكتبه ولا تقف

إن الإجازة قد جاءت مبينة عن الرسول كما صحت عن السلف

قد كان عامله يمضي على ثقة من الذي جاءه في مدارج الصحف

وان سئل فيرويه بلا حرج ولا خلاف علمناه لدى نصف
أليس قيصر محجوباً بكتبه كذلك كسرى ومن ساواه في الشرف ⁽⁴⁰⁾

وعن عبد الله بن حكيم قال : كتب إلينا رسول الله ﷺ ألا تنتفعوا من الميت باهاب ولا عصب .

(38) فهرس السراج ص 29 و 30 علوم الحديث ص 135

(39) المصدر السابق ص 30

(40) فهرس السراج ص 34

قال صاحب التدريب⁽⁴¹⁾ وفي بعض طرق هذا الحديث ثبت إلينا قبل موته بشهر فكتب إلينا رسول الله ﷺ وعلم أن من كتب إليه يقف عند كتابه ويمتثل أمره⁽⁴²⁾.

وهناك فريق من العلماء ذهبوا إلى منعها باعتبارها ضعفاً كما ذهب ابن الصلاح بقوله : والاجازة في أصلها ضعف ، ومن القائلين بإبطالها إبراهيم الحربي والماوردي وأبو الشيخ محمد بن عبد الاصبهاني باعتبار أنها لو جازت الرواية بالاجازة لبطلت الرحلة⁽⁴³⁾.

والظاهرية يردونها، وابن حزم لا يرضى بها⁽⁴⁴⁾ ، وكذا غيره من العلماء وعددهم ابن الصلاح⁽⁴⁵⁾ ، وقد بنى ابن حزم اعتراضه عليها لكونه كان يراها « بدعة غير جائزة » ويزيد المتشددون في إنكارها بأن من قال لغيره :

« أجزت لك أن تروي عني ما لم تسمع » فكأنه قال : « أجزت لك أن تكذب علي لأن الشرع لا يبيح رواية ما لم يسمع ».

ويؤيد هذا الرأي قول القائل :

علم الحديث فضيلة تحصيلها بالسير والتطواف في الأقطار
فإذا أردت حصولها بالاجازة فقد استعصت التبر بالمسار

فوائد الاجازة :

للإجازة فائدتان :

- 1 - استعجال الرواية عند الضرورات .
- 2 - الاستكثار من المروي حتى لا يكاد أن يشذ عمن استكثر من

(41) التدريب ص 14

(42) الباعث الحثيث 199

(43) الاحكام 2 / 197

(44) علوم الحديث 134 و 135

(45) فهرس ابن خير ص 13 وما بعدها مخطوط الخزائن الزيدانية عدد 1878 .

المبحث الثاني

تاريخ الاجازة في المغرب

أولاً : تمهيد .

لقد اعتبر المحدثون الاجازة منذ القديم أمراً ضرورياً لرواية الحديث لكونها لا تتم إلا بها وتكمل وإلا كانت ناقصة لا محالة لأنها كتابة أهل العلم بالعلم إلى البلدان .

ولذلك كانوا يبذلون النفس والنفس ويرحلون إلى الأقطار والبلدان ويلازمون الشيوخ والمحدثين من أجل الحصول عليها ونيلها رغبة في وصل سندهم بشيوخهم إلى رسول الله ﷺ وحفاظاً على ذلك السند واستمراراً له .

وقد ظلت الاجازة في العصور الأولى للإسلام بمثابة تصريح بالصلاحية للمهنة العلمية أو الوظيفة كالتدريس والفتيا والقضاء وكانت عنواناً على تخرج الطالب على شيخه واذناً بالتصديق للتدريس وتعليم الناس أو للتعيين في الوظائف العامة فهي أشبه بالشهادات العلمية الحديثة شهادات التخرج والدخول في الحياة العامة .

وقد سجل هذه الظاهرة ابن رهمون بقوله في الدر والعقيان :

كان من سنة علماء الحديث طلب الاجازة في القديم والحديث حرصاً على بقاء الاسناد ومحافظة على الشريعة الغراء الى يوم التناد وهي

التي نسيت في مغربنا بهذه الأعصر واكتفى أهله عن البسط بالخصر واهملوا السند والاجازة وحسبوا ان العلم بمجرد التدريس والحياسة " لذلك كان المحدثون المغاربة يعتبرون الرواية ضرورية للنقل كما يؤكد ذلك الحافظ العراقي بقوله :

« نقل الانسان ما ليس لديه به رواية غير سائغ باجماع أهل الدراية »⁽¹⁾ .

وكان المغاربة يرون في الاجازة اتصالاً لسندهم بين من يروون عنه الحديث ويأخذون منه العلم وبين النبي ﷺ لكون ذلك معدوداً من شرف الكرامات لأنه يوصل الراوي بوساطة سنده الى النبي ﷺ ويقربه منه وكلما كان رجال السند أقل كان السند عالياً ويكون الراوي أقرب إلى النبي ﷺ وإلى قرنه الشريف فتحصل له حصة من الخير .

ولهذا ثابر علماء الحديث وطلابه في القديم والحديث على طلب الاجازة ورحلوا من أوطانهم إلى أقطار الدنيا للأخذ عن علماء الحديث خصوصاً إذا كان سندهم عالياً وطالما رحلوا إلى بلاد بعيدة لأخذ حديث واحد وتلك كانت سنة علمائنا في المغرب منذ القديم يرحلون إلى العلماء وإلى البلاد البعيدة ويلازمونهم وكثيراً ما كانت رحلة الحج طريقاً للحصول على الاجازة⁽²⁾ ، لكونهم كانوا يرونها رابطة جامعة ووصلة للجانبين نافعة⁽³⁾ ، كما هو الشأن بالنسبة للقاضي عياض مثلاً فقد عاد من المشرق وهو يحمل إجازات الغزالي والطرطوشي .

وسنذكر في هذا الباب أوائل الاجازات المعروفة ثم تتبعها بالاجازات التي حصل عليها الملوك من علماء المشرق والمغرب .

(3) فهرس الفهارس 300/2 / 301

(4) البطاوري ص 26

(1) فهرس الفهارس 51 / 1

(2) المصدر السابق نفس الصفحة

ثم نذكر بعض عيون الاجازات النظامية والتشريع والتشي كانت تشمل العلوم جميعاً ولكننا نخص منها الاجازات المتعلقة بسند المغاربة إلى الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري بالخصوص لارتباطها بالموضوع .

ثانياً : أوائل الاجازات .

1- من أول ما يذكر في هذا الباب بصفة عامة الاجازة التي ذكرها القاضي عياض عندما أجاز الامام مالك بموطأه لرجل قال :
« حدثنا الخولاني عن أبي ذر قال اخبرنا أبو العباس المالكى اخبرنا تميم بن محمد اخبرنا أبو الغصن السوسي اخبرنا عون بن يوسف اخبرنا ابن وهب قال :

« كنت عند مالك بن أنس فجاءه رجل يحمل الموطأ في كسائه فقال له :

« يا أبا عبد الله هذا موطؤك قد كتبه وقابلته فأجزه لي »

قال : « قد فعلت » .

قال : فكيف أقول : « « حدثنا مالك أو أخبرنا مالك » .

قال : قل أيها شئت ⁽⁵⁾ .

2- وأورد الخطيب البغدادي إجازة الإمام الشافعي للكراسي يميزه بكتب الزعفراني قال للامام الشافعي :

« خذ كتب الزعفراني فانسخها فقد أجزتها لك » .

قال الكراسي : « فأخذتها إجازة » ⁽⁶⁾

(5) الاملاص ص 90

(6) الكفاية 464 مناقب الشافعي للبيهقي 35 / 2

3- قال الخطيب : ورأيت مثل هذه الاجازة لبعض الشيوخ المتقدمين المشهورين غيره ويشير بذلك الى إجازة أبي بكر بن أبي خيثمة ليحيى بن مسلمة ونصها :

قد أجزت لأبي زكريا يحيى بن سلمة أن يزوي عني ما أحب من كتاب التاريخ الذي سمعه مني أبو محمد القاسم بن الاصم ومحمد بن عبد الأعلى ، كما سمعاه مني وأذنت له في ذلك ولمن أحب من أصحابه فإن أحب أن تكون الاجازة لأحد بعد هذا فأنا أجزت له ذلك بكتابي هذا وكتب أحمد بن أبي خيثمة في شوال من سنة ست وسبعين ومائتين : ⁽⁷⁾

وهذه اقدم إجازة مكتوبة عثرت عليها .

4- وأورد القاضي عياض إجازة محمد بن أحمد بن شيبة السدوسي لعمر بن أحمد الخلال وابنه وغيرهما هذا نصها :

حدثنا الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الربيعي عن أبي بكر الخطيب فيما أجاز به عنه مشافهة قال : حدثنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن علي الصيرفي : كان في كتاب أبي الحسين عبد الرحمن بن عمر الخلال إجازة كتبها محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة بن الصلت السدوسي ، توفي سنة 331 هـ - نسختها : وهي ترجع الى القرن الرابع .

« يقول محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة : قد أجزت لعمر بن أحمد الخلال وابنه عبد الرحمن بن عمر ولختنه علي ابن الحسن جميع ما فاته من حديثي مما لم يدرك سماعه من المسند وغيره وقد أجزت ذلك لمن أحب

(7) الاملاص 104 النبصرة والتذكرة ص 71

قواعد التحديث 206

عمر فليرووه عني إن شأؤوا»⁽⁸⁾ .

وأضاف إليها القاسمي التاريخ قائلاً: وكتب لهم ذلك بخطه في
صفر سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

5 - ومن عيون ما عثرنا عليه من أوائل الاجازات إجازة الامام
الصدفي لصهره ابن سعادة وهي مسجلة على وجه الخمس الثاني من
نسخة الجامع الصحيح التي كتبها ابن سعادة وقرأها على الامام أكثر من
ستين مرة ، وترجع أهميتها إلى أنها تتضمن سنده إلى الجامع الصحيح
وترجع إلى سنة 473 .

قال :

قرأ علي جميع هذا السفر صاحبه الفقيه الفاضل أبو عمران موسى
ابن سعادة أكرمه الله أخبرته أنني سمعت جميع الكتاب على القاضي أبي
الوليد سليمان بن أحمد الهروي عن شيوخه الثلاثة أبي محمد وأبي
إسحاق وأبي الهيثم جميعاً عن أبي عبد الله الفربري عن أبي عبد الله
البخاري رضي الله عنهم جميعهم، وكتب محمد الصدفي بخطه في شهر
ربيع الأول من سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة حامداً لله تعالى ومصلياً على
محمد وآله⁽⁹⁾ .

6 - ومن أوائل الاجازات في هذا الباب ما عثرنا عليه في خزانة
الجامع الاعظم بتازة الجزء الأول من جامع الترمذي على أوله بخط الحافظ
الصدفي إجازة له للفقيه الأمين ابن الفضل مبارك مولى ابراهيم بن عيسى

(8) الاطلاع ص 103

التبصرة والتذكرة 72 / 2

قواعد التحديث للقاسمي 205 و 206

(9) منقولة بالحرف من الخمس الثاني من رواية ابن سعادة الموجودة بالخزانة العامة قسم المخطوطات تحت
عدد 2493

الأنصاري قال بعد سماعه له عليه للصحيح وهي في جمادى الأولى سنة
506⁽¹⁰⁾ .

ومن هذا القبيل إجازة الامام الصدفي للقاضي عياض وهي
مكتوبة بخط المجيز على أصل البخاري له⁽¹¹⁾ .

7 - ومن أوائل الاجازات في هذا الباب إجازة الشيخ الراوية
أبي محمد بن عتاب للقاضي عياض فيما كتبه له بخطه قال :

« ولما رأيت ما هو عليه الفقيه أبو الفضل المذكور يعني عياض
حفظه الله من الفضل والخير والديانة والفهم والعلم وأخذته من كل
العلوم بأوفر نصيب. أجزت له جميع ما رويته »⁽¹²⁾ .

8 - وإجازة أخرى للقاضي عياض بخط الراوية أبي بحر سفيان
ابن العاص يقول في أثناء إجازته له :

« وكان - يتولى الله رعايته - من البر والنبيل والذكاء بحيث يتلقى
بالاسعاف مما يسأل »⁽¹³⁾ .

9 - وهذه إجازة ثالثة له بخط أبي الحسين بن السراج يقول
فيها :

« وأبحث له - وفقه الله - أن يميز بكل ذلك عني لما بلوته من جودة
حفظه لما يحمل وثقته فيما يأثر وينقل ورأيت أهلاً لأداء هذا كله ونشره
وروايته عني وذكره »⁽¹⁴⁾

(10) فهرس الفهارس 2 / 100 و 111

(11) فهرس الفهارس 2 / 112

(12) التعريف بالقاضي عياض لولده محمد ص 107

(13) المصدر السابق نفس الصفحة .

(14) المصدر السابق نفس الصفحة

10 - من عيون ما يذكر في هذا المجال إجازة الكمال أبي البركات بن أبي زيد المكناسي للحافظ ابن حجر العسقلاني مكتوبة بحديث المصافحة قال في الإصابة :

أخبرنا الكمال ابن أبي البركات بن أبي زيد المكناسي إجازة مكتوبة قال : صافحني والدي وقد عاش مائة قال : « صافحني الشيخ أبو الحسن علي الخطاب بالحاء المهملة بمدينة تونس وعاش مائة وثلاثين سنة قال: صافحني الشيخ أبو عبد الله الصقلي وعاش مائة وستين سنة قال: صافحني أبو عبد الله المعمر وكان عمره أربع مائة سنة قال: صافحني رسول الله ﷺ ودعا لي وقال: عمرك الله يا معمر ثلاث مرات

11 - ومنها إجازة ابن غازي ت 919 لولديه وللونشريسي وغيرهم بفهرسته وهي مطلقة عامة مسجلة بخط يده على ظهر فهرسته ونصها :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

« أجزت لولدي أحمد وللفقيه أبي محمد عبد الواحد نجل العالم المطلق أبي جعفر أحمد بن يحيى الونشريسي وللفقيه أبي الحسن علي بن موسى بن هارون المطغري وللفقهاء الاخوة الجلة أبي عبد الله محمد وأبي زيد عبد الرحمن وأبي العباس أحمد وأبي القاسم أولاد الفقيه المحصل أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الدكالي وللفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد العدالي جميع ما اشتملت عليه فهرستي هذه وذيلها إجازة تامة بشروطها. قاله وكتبه العبد الفقير المستغفر محمد بن أحمد بن غازي

(15) الإصابة القسم الرابع من الجزء الثالث حرف الميم من ترجمة المعمر - الانحاف 3/ 118 و 119 معجم المحدثين ص 10

العثماني سمح الله تعالى له بمنه والحمد لله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى» (16)

12 - ومنها إجازة شيخ الجماعة التاودي بن سودة المتوفى سنة 1209 ، للحافظ الزبيدي التي قال عنها في ألفية السند له :

ومنهم محمد بن الطالب التاودي العدل ذو المواهب
رئيس فاس كاشف الغيوم وعالم المنطوق والمفهوم
إليه في بلاده يشار عليه في المعارف المدار
صحته في مصر في وفادته فجاء بالكثير من إفادته
أجازني بكل ما يرويه من كل ما يفيد أو يمليه (17)

إلى غير ذلك من أوائل الاجازات وعيونها وخاصة المغربية التي أجاز بها علماءنا لعلماء المشرق أو تدبجوا معهم وتبادلوها وهي كثيرة .
ثالثاً : أقسامها .

لقد تنوعت الاجازات في المغرب إلى أنواع وأقسام :

1 / علمية .

2 / تقديرية .

3 / تكميلية .

4 / عامة .

الاجازات العلمية:

إذا كان علماءنا ورجال الحديث يمنحون الاجازات العامة

(16) منقولة بالحرف من الصفحة الاولى من فهرست ابن غازي المسمى : « التعليل برسوم الاستاد بعد انتقال اهل المنزل والناد » مخطوط الخزنة الملكية رقم 4 34 .

(17) الفية السند مصورة بمكتبتي

فهرس الفهارس 1 / 185 .

والتكريمية بدون التقيد بشروط فإنهم كانوا ضنينين متشددين فيما يتعلق بالاجازات العلمية وهي التي لا تعطى إلا بعد طول ملازمة للشيخ والأخذ عنه والتمرس به حتى إذا انس الشيخ من طالبه التمكن في مادته والاحاطة بما أخذ عنه أجازة تكون اذنا له في الرواية عنه والدخول الى ميدان التدريس وممارسة الفتوى والقضاء ونحوها.

ويمكن تشبيه هذه الاجازات العلمية بالامتحان الذي يجتازه الطالب للحصول على شهادته العلمية اليوم.

وكان لابد من توفر الطالب على شروط وأن يمر بمراحل قبل الحصول من شيخه على الاجازة فمثلاً⁽¹⁸⁾ على المرشح للاجازة في القرآن الكريم أن يعرف الروايات السبع كلها وأن يتقن القرآن اتقاناً تاماً على النحو التالي:

إن عليه أن يمر على سائر آي القرآن ويحفظها كما يحفظ الفاتحة وعليه أن يكون على خبرة تامة بجميع الفنون التي يتوقف عليها الحفظ من رسم وضبط وتلاوة.

ولا يمكن أن يتقدم من أول وهلة عند الأستاذ «الكبير» بل عليه أن ينال رضى أستاذ أقل رتبة إذ لا يصل إلى الاجازة إلا بالتدريج حتى إذا وصل إلى الشيخ المجيز - ولا بد أن يكون أعلم وقته في هذا الشأن وأكملهم - أمره بكتابة حصّة من القرآن من حفظه ثم رسمها على شكل المصحف وضبطها فإذا أتم ذلك كله شرع الشيخ في توجيه أسئلة إلى الطالب الذي يكون لزاماً عليه أن يستحضر سائر النصوص في الموضوع فإذا نال رضى الشيخ انتقل إلى أستاذ آخر يتولى سؤاله بكيفية أكثر عمقاً في مختلف وجوه الرسم والضبط وسائر الحروف فإذا نجح في ذلك أمره

(18) جامع القرويين 1 / 432

بالاعراب فما كان على الاصل اقره وما لا نبهه عليه وهكذا يمتحنه في سائر القرآن الكريم فاذا ظهر له المامه ورضي عنه أمر بكتب الاجازة له رافعاً له فيها سنده ويشهد على نفسه في الوثيقة أنه أجازة ويضع القاضي خط يده معلماً بثبوت الاجازة من الشيخ فلان الى الاستاذ فلان الذي درس عليه الكتاب الفلاني لمؤلفه فلان وانه يستقصيه تمام الاستقصاء ويستطيع أن يبلغه كما تلقاه عن شيخه الذي تلقاه بدوره من شيخه فلان . . وهكذا.

ونذكر في هذا المقام إجازتين طويلتين إحداهما مؤرخة في جمادى الثانية سنة 943 أجاز بها الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن هارون المطغري الفاسي⁽¹⁹⁾ تلميذه أبا عبد الله محمد بن العربي بن القاضي والأخرى مؤرخة سنة 998 أجاز بها الاستاذ المقرئ أبو العباس أحمد بن محمد الفشتالي تلميذه أبا علي الحسن ابراهيم بن يوسف السجستاني الخالدي⁽²⁰⁾.

فالاجازة الأولى التي أجاز بها الشيخ ابو الحسن علي بن هارون الفاسي تلميذه محمد العربي بن محمد بن القاضي اجازة علمية جامعة للقراءات السبع وقصيدة الشاطبي المسماة «حرز الاماني» وقصيدة «الدرر اللوامع» في القراءات «ومورد الظمان» في رسم أحرف القرآن مع ذيلها وكتاب «التيسير» وكذا «صحيح الامام البخاري» ورسالة ابن ابي زيد القيرواني» بعدما ختم عليه القرآن أربع ختمات.

ونظراً لأهمية هذه الاجازة ولكونها تجمع بين القرآن والحديث، وخاصة صحيح البخاري، فإننا نورد هنا كنموذج للإجازات العلمية. يقول العبد الفقير الى رحمة مولاه علي بن موسى بن علي بن

(19) هذا الفقيه هو الذي اجازته ابن غازي مع ولديه بنهرسته.

(20) جامع القرويين 1 / 435.

موسى بن هرون . . ان الشاب الفقيه النجيب الاديب، الحافظ اللافظ القارئ المجود، الأبرار الأَرْضِي: المتفنن المحقق الادري أبا عبد الله محمد العربي . . كان ممن تردد إلى وتوحي المثل بين يدي واعتمد في قصده على ما لدي فقرأ على القرآن العظيم المنزل على سيدنا محمد المصطفى الكريم أربع ختمات الاولى والثانية والثالثة لقالون والختمة الرابعة جمع فيها بين قراءات الائمة السبعة المشهورين وفي الله عنهم وأدرج في قراءته الامام الكبير لأبي عمرو بن العلاء وكل ذلك بطريق التيسير لأبي عمرو الداني وتلخيصه حرز الاماني ووجه التهاني للامام أبي القاسم الشاطبي رحمه الله تعالى، ولما كمل له ذلك على نحو ما ذكر من التفسير والتفصيل وكان من أهل التجويد للقراءات مع الضبط لأحكامها والتحصيل، سألت مني - أرشده الله - أن أجيز له ذلك واشهد له به في كتاب ليرتفع عنه تحاليج الظنون وخطرات الارتباب وليكون بيده حجة ساطعة وبنبلة وثبات نقله بينة قاطعة، كما جرت به عادة الأئمة ومعتدي هذه الامة، فأجبتة الى ما سأل، واسعفته فيما رغب وأمل، وحدثته بالقراءات السبع تلاوة عن شيخنا الفقيه الخطيب المقرئ المحقق العالم العلامة الصدر الأوحى أبي عبد الله محمد بن أحمد . . بن غازي عن شيخه الفقيه الخطيب المقرئ المحقق الأشهر الأتقى أبي عبد الله محمد بن الحسن النجبي الشهير بالصغير . . .

قال الشيخ أبو عبد الله بن غازي: أما رواية ورش فقرأت بها القرآن كله على شيخنا . . الصغير المذكور وحدثني بها عن شيخه الفيلاي . . وأما رواية قالون فقرأت بها القرآن كله عليه بالسند المتقدم، وأما رواية البري فقرأت بها القرآن كله عليه بالسند المتقدم، وأما رواية قبل فقرأت بها القرآن كله بالسند المتقدم . . وأما رواية الدرري فكذلك، وأما رواية السوسي فقرأت بها كذلك . . وأما رواية هشام فقرأت بها

كذلك، وأما رواية ابن ذكوان . . وأما رواية أبي بكر . . وأما رواية حفص . . . وأما رواية خلف . . . وأما رواية ابن خلاد . . . وأما رواية أبي الحرث . . . وأما رواية الدرري . . . قال الشيخ الفقيه المجيز أبو الحسن علي بن هرون المذكور - أبقى الله تعالى بركته - وقد عرض علي أبو محمد المجاز المذكور قصيدة الامام الشاطبي الموسومة بـحرز الاماني . . وحدثته بها - أرشده الله - عن الشيخ . . أبي عبد الله بن غازي إمام جامع القرويين، عن شيخه الفقيه الخطيب أبي عبد الله النجبي الشهير بالصغير إمام جامع الأندلس من فاس المحروسة، وهو رئيس المقرئين بفاس في حينه وحبرهم . .

وكذلك عرض علي قصيدة أبي الحسن علي بن بري الموسومة بالدرر اللوامع وحدثته بها - أصلحه الله - عن . . ابن غازي وعرض علي - حفظه الله - الرجز الموسوم بمورد الظمان في رسم أحرف القرآن، مع الذيل الملحق به في الملقط للامام العالم أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الشهير بالخراز، وعرض علي ايضاً - أصلحه الله وسدده - صدرأ من كتاب التيسير وحدثته - حفظه الله تعالى - به قراءة لبعضه وسماعا لسائره . . وعرض علي ايضاً . . صدرأ من صحيح البخاري وحدثته به . . وعرض علي . . صدرأ من الرسالة للفقيه ابن أبي زيد القيرواني وحدثته بها . . قال الشيخ الفقيه المجيز أبو الحسن . . المذكور - أبقى الله بركته - وقد أجزت الفقيه العرض أبا عبد الله محمد العربي بن محمد بن علي الشهير بابن القاضي المجاز المذكور أن يروي عن الشيوخ المذكورين في هذا الكتاب وغيره في جميع ما قرأ علي من الكتاب العزيز والعروض المذكورة وأجزته أن يروي . . أو أنبأنا أو . . شهد علي الشيخ الفقيه المجيز أبي الحسن علي بن هرون المذكور، بما ذكر فيه عنه وعلى . . المجاز . . المذكور بطلبه الاجازة ورغبته لها من الشيخ المجيز المذكور،

وهما بحال صحة وطوع وجواز وعرفهما وعرف انتصاب المجيز المذكور. . وفي إسهاد المجيز المذكور أن الأربع ختمات المذكورة. . المجاز المذكور من صدره وعرضه. . في مورد الظمان وذيله الملحق به والدرر اللوامع كان في مجلدين عرضاً جيداً عن ظهر قلبه، وعرض علي أيضاً. . الشيخ الامام الشهير بالجواز في الموضوع في مخارج الحروف. . أجزت له أن يرويه عني⁽²¹⁾.

هذا كان دأب العلماء منذ القديم في إجازاتهم العلمية فلم يكونوا يتساهلون في منحها إطلاقاً إلا بعد توفر الشروط في طالبها من طول تحصيل وطول ملازمة ونبوغ واتقان للعلوم وتفوق فيها حتى إذا اطمأنوا إلى تمكن طلابهم من التحصيل وبلوغهم مبلغ الإجازة والتبريز أجابوا طلبهم وحققوا رغبتهم بشروطها المعتبرة عند أهل العلم والأثر والتزام التقوى والسلوك الاقوم واشهدوا على تلك الإجازة وختموها بتوقيع القاضي واشهاده عليها مما يزيد هذه الإجازات أهمية ويحيطها بسياج من التشديد لتكون في محلها وحفاظاً على اعتبارها. ^ف

ثانياً : الإجازات التقديرية

هذا النوع من الإجازات هو الذي يتبادلّه العلماء والمحدثون فيما بينهم تأكيداً لرابطة العلم والرواية وتقديراً من بعضهم لبعض وتكريماً، وذلك كإجازة العالم للعالم بفهرسته أو بكتابه أو نحوهما.

وهذا النوع جاز بين العلماء والمحدثين منذ القديم عندما يرحلون من بلد إلى بلد أو للحج يجيز بعضهم بعضاً تقديراً وتكريماً.

(21) جامع القرويين 2 / 433 - 443 وص 488 عن نسخة توجد بخزانة المرحوم الاستاذ عبد الكريم بن الحسيني.

ومن عيون ما يذكر في هذا الباب الاجازات التي يسعى العلماء للحصول عليها من علماء مثلهم في الشرق أو الغرب وهو ما تطفح به فهارسهم وكتب مشيختهم وأسفار إجازاتهم المبثوثة في مكتباتهم الخاصة وفي الخزانات العامة ونذكر بعض من حصلوا على مثل هذه الاجازات من العلماء وفي مقدمتهم القاضي عياض فقد أجازته الشيخ ابن عتاب مما كتبه بخطه تقديراً وتكريماً لعلمه وفي ذلك يقول:

«لما رأيت ما هو عليه أبو الفضل المذكور حفظه الله من الفضل والخير والديانة والفهم والعلم وأخذه من كل العلوم بأوفر نصيب أجزت له جميع ما رويته»⁽²²⁾.

كما أجاز له أيضاً سفيان بن العاصي وأبو الحسن بن السراج⁽²³⁾ فهذه ثلاث إجازات من ثلاثة شيوخ للقاضي عياض تقديراً لعلمه وكفاءته وفضله.

ومثل ذلك الإجازة التي لا بد للعالم منها مما لا يمكن أخذه بالكتابة فقط مثل الإجازة بالمصافحة والمشابكة والأسودين كما حصل للحافظ ابن حجر عندما أجازته الكمال أبو البركات بن أبي زيد المكناسي بحديث المصافحة⁽²⁴⁾.

وغالباً ما يكون موضوع هذه الاجازات التقديرية بين العلماء والشيوخ سند الشيخ المجيز في الصحيح أو في الكتب الستة أو في ورد من الاوراد أو علم من العلوم حتى يضيفه المجاز إلى سنده عن طريق المجيز لعلوه وفضله خاصة، ونجد من هذا القبيل إجازة الامام محمد بن

(22) التعريف بالقاضي عياض لولده ص 107

(23) المصدر السابق نفس الصفحة.

(24) الاصابة القسم الرابع من الجزء الثالث حرف الميم من ترجمة المعمر.

الاتحاف 3 / 118 و 119

قاسم القصار للشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي ء ونصها:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

«يقول كاتبه محمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن علي القصار القيسي الغرناطي أصلاً وأباً، القصار لقباً عفا الله عنه وعمن دعاء له، كان من نعم الله علي لقاء الفقيه المتفنن الصالح مربي طلبة العلم والدين، الكثير الاحسان للضعفاء والمساكين، حاج بيت الله الحرام سيدي محمد بن ولي الله بالاتفاق الشهير ذكره في الآفاق سيدي أبي بكر بن محمد أبقاه الله فخراً للإسلام، ونفعاً للفقراء والأيتام آمين». فطلب من محبه إجازة فقلت له:

أجزت لكم مروينا مطلقاً وما لنا سائلاً أن تتحفوا بدعاء وسمع من لفظي صحيح البخاري رضي الله عنه وأجزت له جميعه والموطأ وبقية الستة ومسند احمد وسائر مصنفات الحديث الشريف وما في الاوراق مثله: 1/ وجميع ما اشتملت عليه فهارس ابن الزبير 2/ والزين العراقي 3/ وابن حجر 4/ والشيخ زكريا 5/ وسيدي يحيى السراج 6/ والنيسابوري 7/ وابن غازي 8/ ومشيغة ابن النجار 9/ وأجزت له جميع مروياتي بأنواعها وجميع مالي. وكتب محمد المذكور أول ربيع الثاني عام اثني عشر وألف (1012) مسلماً على من يقف عليه وسائلاً دعاءه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً (25)

ومن هذا القبيل أيضاً إجازة الشيخ محمد المرباط الدلائي للشيخ الحسن اليوسي وهي إجازة عامة بفهرس ابن غازي وسنده إليه وعمن أخذها وبفهرس المنجور وغيرها وكان ذلك سنة 1079 ونصها:

أما بعد حمد الله مؤهل أهل اصطفائه للاقتداء بسيد البشر ومنهل خاصة أوليائه مناهل السنن والأثر، العسير لهم من طرق الاجازة مدارجها ومن أعالي الاسانيد معارجها، حتى احتلوا من سماء معارفها أقمارها ومن أدواح عوارفها وأثمارها، ووقفوا بعرفات العرفان، فتدفقت لهم جداول الاحسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد واسطة عقد النبيين، وصفوة خلاصة الصديقين، وعلى أهل بيته الاطهار وحمة دينه الانصار، وبعد فإن اتصال الأسانيد غاية يتجاري لاجتيازها ذوو النباهة من فضلاء الامصار ويتبارى في الامتياز بشرفها الكبراء في عامة الاعصار، حتى لقد ركبوا في طلابها التناثف واقتحموا في ابتغائها المخاوف ورفضوا الاوطار والاطوان، وهجروا المعاهد والاخوان، وكيف وهي العروة التي مدار العرى عليها، والمآثرة التي مرجع المآثر إليها، وقد سلك ذلك السنن الصدر الرئيس، فارس الاملاء والتدريس شيخ الجماعة بالديار البكرية والحضرة الدلائية، ذو التدقيق المعهود أبو الحسن بن مسعود صاحب النباهة الشائخة والنزاهة الباذخة والجلالة العليا والهمة التي نيطت بالثريا المتمسك من الرواية بأسبابها، ومن الدراية بأهدابها، من ألقت إليه المعارف زمامها وجمعت السيادة ما وراءها من المجد وأمامها يرغب إلى أن أجزه، وأشابع تبريزه، فأجبت مراده وبادرت اسعاده فأجزته إجازة تامة، مطلقة عامة في كل ما يصح لي وعني روايته، يرفع في أندية الاجازة بنده وروايته، من كل مقروء ومسموع، ومفرد ومجموع ومثثور ومنظوم ومأثور ومفهوم على الخصوص والعموم على نهج الرواية المعلوم مما أحاطت به فهرسة الامام ابن غازي بروايتنا إياها عن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي عن أبي عبد الله القصار عن أبي النعيم رضوان بن عبد الله عن أبي محمد الرحمن بن علي، الشهير بسقين عن مؤلفها أبي عبد الله

بن غازي وفهرس ابي العباس المنجور والامام المثنوي وابن الزبير، وحدثته بذلك عن مولانا المحدث الزاهد العارف بالله عبد الهادي بن عبد الله الحسيني عن والده الامام وعن القصار وأبي العباس المعروف بابا السودان وأبي العباس احمد بن محمد الشهير بابن القاضي وغيرهم من مشايخه، واجازة الشيخين أبي محمد عبد الهادي وأبي عبد الله العربي إياي وهما عامتان في كل ما يحملانه أو ينقلانه وأجزت له أن يروي ذلك عني وأذنت له فيه اذنًا تامًا تلقاه لفظاً وكتابةً مني على شرطه المعبر عند أئمة الاثر، قال ذلك وكتبه بيده متلفظاً بالاجازة أواخر شهر الله الحرام مفتتح عام تسعة وسبعين بموحدة قبل العين والف محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي عفا الله عنه بئنه أمين.

ومن عيون ما ننقل هنا اجازة نظمية بين عالين جليلين أحدهما مغربي والثاني مشرقى وهي اجازة أبي سالم بن محمد العياشي للملا ابراهيم الكوراني وصلاً لسند المغرب بسند المشرق حيث أجاز له بحديث الأولوية وبمؤلفاته وهي نموذج للتقدير القائم بين العلماء والتواضع الجلم الذي كانوا يتصفون به وسعيهم الحثيث لطلب سند أو صلة من أجل العلم وهذا نصها:

«حمداً لمن قطع باسمه الأول سلسلة الأولوية وأبقى باسمه الآخر تسلسل الحوادث الأبدية على وفق الأقدار الأزلية وشكر الأولى مستحق للحمد والشكر من كل ذي أولوية وأجل محمود ومشكور في العوالم السفلية والعلوية وأوثق مستند يحسن إليه في استناد وأصح سند ترفع إليه سلاسل الإسناد الذي لم يستند إلى شيء لانفراده بالقيومية والربوبية وإليه يستند كل شيء بحكم الربوبية والعبودية مجيز مصرح إستناده إليه بالمعارف الوهية ومجازى من أصغى إلى حديث نفسه بتركته مع علومه الكسبية راحم الرحماء من عباده أهل الخصوصية بجعلهم مظاهر

لأخلاقه الرحمانية الرحيمة وصلاته وسلاماً شرف قدرهما وفاح نشرهما وارتفع ذكرهما وأمر أمرهما على أسمي من إلى أعلى السماء يسمى فأسمى، وبأسمى الأسماء عنك الله وملائكته في السماء يسمى، ثم أصبح وهو أسنى من كل ذي سناء وسما وأسمياً بأحلم من تخلق بأخلاقه الحلماً واحكم من تطفل على حكمته الحكماء وأعلم من أسند عنه العلماء ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء إنما يرحم الله من عباده الرحماء ورضي الله عن آله الطيبين الأطهار وعن سائر أزواجه الطيبات الأطهار، أولئك أفضل من نشرت لنشر سؤددهم سود الرايات وسودت بكتب محاسنهم صحف السادات من أهل الروايات وعن أصحابه المستنين بسنته في كل سنن العاملين عنه الفرائض والسنن العاضين عليها بالنواجذ والاسنان، الضارين عليها بالمحدد النصل والسنان، الناصرين لها باللسان والبيان، القاطعين في نصرها كل مجدول من شرك وعنان، وعن التابعين لهم وتابعيهم بإحسان، الذين لهم الجنة بنقل هذا الدين عن كل انسان، فقد هذبوا ونفحوا وكتبوا وصححوا وسمعوا فحملوا وردوا وقبلوا ورووا وما نوا فيما نوا وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ولا تنكبوا عما عليه من نصره الدين في سائر الاقطار كانوا حتى انتشرت الشريعة في سائر الامصار وتحصنت من الزيف بأسلحتهم في كل الاعصار فأشرق الدين بحول الله متألقة أزهاره مترعة حياضه وأنهاره يحمله من كل خلف عدوله وأفاضله ويبلغه من كل سلف رؤوسه وأمائله متى وصل إلينا على حين فترة من أهله وقلة في فرعه وأصله لولا أن الله تكفل بحفظه في هذه الامة وجعله في صدور طائفة من الأئمة لمحيث منذ أزمان مثاره وتمزق من طول ما لبس شعاره ودثاره والله الحمد على نعمه التي لا تحصى وأياديه التي لا تستقصى هذا وان من أهله الله لحفظ هذه الرتبة في هذه التربة وأحيا به رسوم الشريعة والحقيقة وأبان به العلوم الجليلة والدقيقة وجمع له بين طهارة السر والعلانية وجعل أعماله كلها على بصيرة

وعلى نية وأتحفه بالوراثه الاحمدية في البلد المحمدية وظهره من الاخلاق
الدينه وحلاه بالاوصاف الدينيه شيخنا ومرشدنا ومنعشنا ومنتقنا المولى
ابراهيم بن حسن الكوراني ثم الشهداني بل النوراني ثم الصمداني،
زيل طيبة ومزيل الغطاء عن الاسرار ، المغيبة جعله الله في كل
أوطاره مهدياً ولعباده في نيل أوطارهم هادياً، وسلك به مسالك الموفقين
رايحاً وغادياً ولقد بلغ من اهتمامه بأمر الدين وسلوك سبيل الأئمة المهتدين
مبلغاً لا يرضى فيه لنفسه أن يفوته شيء من شوارد العلوم إلا اقتنصه
بحبالة عزمه ولا أن يترك شاذة ولا فاذة من الكمالات الا تناولها بسيف
حزمه فلم يدع وادياً من أودية الدراية الا هبطه ولا محلولة من عقود
الرواية إلا ربطه ومن المعلوم ان من معالم الرواية التي هي على انصاف
الراوي أكبر آية رواية الأُعلى عن الأدنى والأكبر عن الأصغر حساً
ومعنى وكأنه أسمى الله قدره وأنار في سماء المعاني فجهره أراد لهذه
الفضيلة تحصيلاً وقصد أن يحيط بطرق الرواية جملةً وتفصيلاً فرآني
لِلرواية أهلاً وان لم أذق بين أهلها عللاً ونهلاً لانصافه الذي جاوز الحد
وفات العدة فلذلك استجازني وليته أجازني والى من هو من أهل الرواية
جازني ولما الزمته نفسي من طاعته وانجما عني على أني من جماعته لم أتلكأ
فيما طلب مني ولم أستعذر بقصوري الظاهر عني بل امتثلت ما أمر به
وأتيت وانتثلت سهم الاصابة من كنانتي ورميت فإن قرطست الغرض
فببركة همته وان اخطأت فالجعالة ثابتة في ذمته ان لم يشترط علي الاصابة
لانتقاء اني لست من تلك العصابة فأقول لله مستخيراً وبه مستجيزاً.

أجزتك لكن مثلكم من يجزني
لما قد سمعت من شيوخه قراءة
وكل الذي أرويه مما أجازني
وكل الذي حملته فجملته
ولم يستفد مني ولكن يفيدني
من الشيخ أو مني وهم يسمعونني
وناولني من بالرواية يعتني
بشرط لدى أهل الحديث ميين

وما صح أني قد رويت لديكم
خصوصاً حديث الألفية أني
وكل الذي جمعنا من مؤلف
بإسناده إن شئت فاكتب جميعها
واكثره ساويتني فيه انت في
وهب أني قدّمت بالنزر فهولاً
فكم حكمة منكم تلقفتها وكم
وما كنت أهلاً أن أجزرك إنما
ولو انني استطعت امتناعاً لكنت قد
وفي كل حال أحمد الله مهدياً
فأخبر به عني وحدث وعنعن
أجزت به من قبل كل معين
بأي فنون العلم أو من مدون
وان شئت بعضاً فاقتطف متواجتن
غنى عنه بل في بعضه انت فقتني
يقارب قطعاً ما به أنت فتني
فلم تستفد معشار ما قد أفدتني
دعوت فلبيت النداء إذ دعوتني
آبيت وقد ما كان ذلك ديدني
صلاة لمن من ربه حبه يديني⁽²⁶⁾

ومن ذلك اجازة الشيخ ابي عبد الله القصار للشيخ ابي عبد الله
محمد بن ابي بكر الدلائي عند رحلته الى فاس واخذه عنه علوم السنة
وادواتها باجازة رائقة عقب فهرسته ونصها:

«بعد الحمد له والصلاة يقول كاتبه (محمد بن قاسم بن محمد بن
علي القصار القيسي الغرناطي أصلاً وأباً القصار لقباً عفى الله عنه وعمن
دعاه) كان من نعم الله علي لقاء الفقيه المتفنن الصالح مربي طلبة العلم
والدين الكثير الاحسان الى الضعفاء والمساكين حاج بيت الله الحرام
سيدي محمد بن ولي الله باتفاق الشهير ذكره في الآفاق سيدي أبي بكر بن
محمد أبقاء الله فخرا للاسلام ونفعاً للفقراء والايام أمين فطلب من محبه
إجازة فقلت:

أجزت لكم (مروينا مطلقاً) وما
لنا سائلاً أن تتحفوا بدعاء

وسمع من لفظي بعض صحيح البخاري وأجزت له جميعه والموطأ وبقية الستة-ومسند أحمد وسائر مصنفات الحديث الشريف وما في الاوراق قبله وجميع ما اشتملت عليه فهارس ابن الزبير والزين العراقي وابن حجر والشيخ زكريا وسيدى يحيى السراج والنيسابوري وابن غازي ومشیخة ابن النجار وأجزت له جميع مروياتي بأنواعها وجميع مالي وكتب محمد المذكور أول ربيع الثاني عام اثني عشر والف مسلماً على من يقف عليه وسائلاً دعاءه وصلى الله على سيدنا (محمد) وآله وصحبه وسلم تسليماً⁽²⁷⁾.

ثالثاً : الاجازات التكرمية

وهي التي يمنحها العلماء والشيخو للملوك والامراء اما باستدعاء منهم او بمناسبة الاتصال بهم ومقابلتهم وهذا النوع من الاجازات يدل على مدى اعتزاز ملوكنا وامرائنا واجلالهم للمحدثين والعلماء وسعيهم للاتصال بهم وربط الاواصر معهم نشرًا للعلم واشاعة للرواية وحفظ الحديث.

وقد دأب ملوكنا وأمراؤنا على طلب الاجازة من العلماء والشيخو مباشرة أو عن طريق المكاتبه كما حرص العلماء والمحدثون منذ القديم على تكريمهم بإجازاتهم هم وجميع رعيتهم بل وأهل عصرهم.

ويقوم مقام هذه الاجازات التكرمية ما تمنحه الجامعات اليوم من الدكتوراه الفخرية بمناسبة زيارة الملوك والرؤساء لها، ونذكر بعض الاجازات التي منحها العلماء المغاربة والمشاركة على الخصوص للملوكنا وأمرائنا.

ومما يروى في هذا الباب أن ابن العربي⁽²⁸⁾ حمل معه لأمر المؤمنين يوسف بن تاشفين إجازة من الامام الغزالي وأخرى من الامام الطروشى إستجابة لاستدعاء أمير المؤمنين وتحقيقاً لرغبته .

كما نجد الشيخ القبداني المتوفى سنة 520 سأل الحافظ السلفي في أثناء وجوده بالاسكندرية الاجازة للسلطان تاشفين بن علي بن يوسف⁽²⁹⁾.

ونذكر من هذا القبيل الاستدعاءين اللذين وجههما الملك العظيم أحمد المنصور السعدي إلى الامام القرافي⁽³⁰⁾ والشيخ البكري⁽³¹⁾ لاجازته فأسرعا الى تلبية طلبته وتحقيق رغبته وكتبوا له إجازتين نفيستين يقول الشيخ البكري من إجازته للسلطان وكانت بتاريخ 992 هـ .

فمولانا مجاز من هذا العهد من جميع ما يجوز لهذا العبد بجميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه المعبر عند أهل الامر وكذا مجاز أهل العصر اجازة عام بعام ليكون أبناء الوقت جميعاً على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال ذلك الانعام ، فإنه هو السبب في تحصيل ذلك المرام وكتب تحريراً في رابع عشر ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة محمد بن أبي الحسن الصديقي سبط آل الحسن⁽³²⁾.

كما أجازته الامام القرافي إجازة عامة بسط فيها القول ثم ختمها بقوله :

(28) جامع القرويين 1 / 125

(29) المصدر السابق 1 / 125

الكتاب الذهبي ص 99

(30) الامام أبو عبد الله محمد بن يحيى المصري الشهير بيدر الدين القرافي

(31) هو أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري

(32) مناهل الصفا ص 192 - 196 الاستقصا 5 / 115

أجرت لمن تفضل واستجازا وأبرز في سلوك العلم حالا
 وأمر كامل غوث البرايا وذلك بعد تشريفي بأمر
 فبادرت امتثالاً قدر وسعي وقد أبدت حقاً لا محالا
 بفتحة وسنة خير هدى بدار الهجرة العليا إمام
 أرجو منه يئذ لي دعاء بخاتمة تبلغني مراما
 وأشياخي يبلغهم رضاء ومن هذا القليل الفهرس الذي وضعه أحمد بن أبي الحسن المنجور
 المتوفى سنة 995، باسم السلطان أبي العباس أحمد المنصور السعدي
 وصرح له بالاجازة العامة وكان ذلك سنة 989، وقد طبع أخيراً⁽³⁴⁾
 سنة 1976، كما أجاز وزير الدولة المغربية وسفيرها المؤرخ الرحال
 أبو القاسم بن أحمد الزباني الفاسي المتوفى سنة 1147، للسلطان أبي
 الربيع سليمان بن محمد العلوي، ووضع له فهرست من الملوك العلويين
 وأشياخ السلطان المذكور سماها «جوهرة التيجان وفهرست الياقوت
 واللؤلؤ والمرجان من الملوك العلويين وأشياخ مولانا سليمان»⁽³⁵⁾.

وأجاز له أيضاً أبو عبدالله محمد بن أبي العباس بن عبد الله بن
 مبارك الشراذي الزراري القضاعي وهي بتاريخ 1212⁽³⁶⁾.

(33) الاستقصا 5/ 115 و 116 - منهل الصفا ص 200

(34) طبعته دار النشر والترجمة والتأليف بإشراف الدكتور حجي سنة 1976

(35) فهرس الفهارس 1/ 230 و 231

(36) جامع الفروين 2/ 212

وأجاز له أيضاً الحافظ محمد بن عبد السلام الناصري كما نص على
 ذلك في فهرسه⁽³⁷⁾.

واستجاز المولى عبد الحفيظ عندما كان خليفة بمراكش الشيخ عبد
 الحي الكتاني فأجازه ووضع باسمه فهرساً سماه المنهج المنتخب
 المستحسن فيما أسندناه لسعادة مولاي عبد الحفيظ بن السلطان مولاي
 الحسن⁽³⁸⁾.

ومن الاجازات التكريمية اجازة الشيخ عبد الحي الكتاني لامير
 تونس محمد الناصر، وقد وكتبها بتونس سنة 1340 وسماها: «فتح
 الملك الناصر لبعده أمير البلاد التونسية محمد الناصر»⁽³⁹⁾.

إلى غير ذلك من هذه الاجازات التكريمية التي كان يجيز بها
 العلماء والمحدثون الملوك والامراء شرقاً وغرباً مما هو مبثوث في خزائنا
 العامة والخاصة والذي هو شاهد على اعتزازهم بالعلم والعلماء وسعيهم
 الخيث لربط الصلة بهم والعمل على إحياء السنة والعناية بالحديث
 الشريف.

رابعاً: الاجازات العامة

وهذا النوع من الاجازات لا علاقة له بسابقه إطلاقاً إذ لم يكن
 العلماء والمحدثون يتشددون فيه ولا يشترطون توفر طالبيه على شرط لأن
 المقصود به وصل الاسناد وتعميم الرواية.

ومن شأن هذه الاجازات انها لاتعطي لطالبها أي اعتبار أو اذن في
 الرواية عن المجيز أو تعاطي التدريس أو الوظائف العامة مثل الفتيا

(37) المصدر السابق 2/ 222

(38) فهرس الفهارس 1/ 4 - 5

(39) فهرس الفهارس 2/ 278 و 279

والقضاء ، كما هو الشأن في الاجازات العلمية .

ولذلك كان الناس يطلبون هذه الاجازات العامة ويقبلون عليها كما كان العلماء يحققون رغبة أصحابها بقصد وصل السند والتبرك برواية الحديث أو أي علم يجاز فيه لتكون الاجازة عنواناً على صلة المجاز بالمجيز تقريباً من الرسول عليه الصلاة والسلام وحجاً في سنته مما يرفع عن هذه الاجازة كل اعتبار علمي عدا التبرك وتسجيل الاتصال بالشيخ والسماع منه .

وكما كانت هذه الاجازات العامة تعطى للأفراد ، تعطى كذلك للجماعات فقد كان راوية فاس ومسندها أحمد بن القاضي المتوفى سنة 1025 هـ إذا قرأ الصحيح يميز الحاضرين آخر كل مجلس لتحصل الرواية ولولم نسمع حديثاً واحداً⁽⁴⁰⁾ .

خامساً : إجازة النساء للرجال

ومما يلفت النظر في هذا الباب تبرز المرأة المسلمة وعلو شأنها وطول باعها في الحفظ والرواية وما بلغته من الاتقان والدراية حتى وجدنا علماء ومحدثين يسعون الى إستجازة النساء العالمات والأخذ عنهن والرواية ، ونكتفي بذكر عاليتين جليلتين في هذا الميدان وهما الفقيهتان الجليلتان مباركة وزين الشرف بنتا الشيخ العلامة عبد القادر الطبري اللتان أجازتا أحد أعلامنا وحفاظنا وهو أبو عبد الله محمد المرباط بن محمد بن أبي بكر الدلائي ، فقد أجازته بالحديث المسلسل بالاولية وبسورة الفاتحة وكان سماعه عليهما وإجازتهما له بذلك بتاريخ 20 حجة عام 1079⁽⁴¹⁾ .

(40) فهرس النهارس 1 / 77

(41) فهرس النهارس 2 / 298

وقد علق ولد المجاز على هذه الاجازة بقوله :

« فيما رأيت والسدي سر بإجازة عالم قط ما سر بإجازة هاتين الشيختين قائلاً : « لا أدري بأيهما أفرح بالإجازة الشريفة أم بوجود هاتين الفقيهتين الكائنتين أهلاً للأخذ عنهما لا سيما وهما من سلسلة الذهب لأن وجود سلالة هذه السلسلة الذهبية على هذه الصورة أشهى للنفس من الماء البارد »⁽⁴²⁾ .

سادساً : رأي فريد .

وكان للشيخ محمد بن العربي العلوي رأي خاص في الاجازات في العصور المتأخرة لكونها أصبحت قليلة وعديمة الفائدة والنفع - حسب رأيه - إذ المعول عليه هو الدراية لا الرواية ولكون الرواية اللفظية عن الشيخ أصبحت اليوم نادرة كما يرى أن الاجازة لا تصح في هذا الوقت إلا بما يصح قراءته أو إقراؤه وأن على العالم أن يكون المعياً وأن يستعمل عقله ووسائل العلم . . . إلخ . كما جاء في إجازته للفقيه محمد بن الفاطمي بن الحاج السلمي⁽⁴³⁾ .

ونرى أن الشيخ قد جانب الحقيقة وبالع في الدعوة الى استعمال العقل ووسائل العلم بدعوى أن هذا العلم دين لا ينبغي أن يقلد المرء في دينه الرجال وليت شعري إذا ألقى في مجال الرواية الرجال فبأي وسيلة نصل بين سندننا والسلف وبأي طريق نصل روايتنا اليوم بروايتهم وسلسلتنا بسلسلتهم وسندننا بنسدهم .

ولطرافة هذا الرأي وانفراد صاحبه فقد رأيت أن أورد نص الاجازة حرفياً كما جاءت في فهرس المجاز ونصها : « الحمد لله نعمده

(42) المصدر السابق بنفس الصفحة

(43) انحاء ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عن الشيخ ص 221 و 222 .

ونستعينه ونستغفره من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ونشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم إنك حميد مجيد ، أما بعد .

فقد سألتني الأديب النجيب اللوذعي الأريب الفقيه البحاث والمدرس النفاة سيدي محمد بن الفقيه العدل النزيه سيدي الفاطمي ابن الحاج السلمسي أن أجيزه على العادة الجارية عند العلماء قديماً وحديثاً ، فنزولاً على رغبته وتلبية لطلبه وان كنت أعتقد ان جدواها في العصور الأخيرة قليلة بل عديمة النفع إذ المعول عليه هو الدراية لا الرواية فإنك لا تجد عند أحد حديثاً أو مسألة أو تأليفاً يرويه عن شيوخه رواية لفظية فيقول مثلاً هذه الرواية أروىها عن شيخني فيما عسى أن يقع فيه اختلاف وانما يتحقق أن الكتاب لصاحبه بتعدد نسخه وشروحه والنقل عنه وموافقه لغيره من كتب فنه حتى يحصل التواتر المعنوي أو الاشتهار القريب من التواتر ولذلك فإني أذن لك وأجيزك بما يصح لي قراءته واقرأؤه حاثاً لك على الاجتهاد بالبحث والتنقيب واستعمال ما وهبك الله من عقل ومنة وأن تكون ألعياً كما قال القائل :

« الألعى الذي يظن بك الظن من كان قد رأى وقد سمعاً

وأن لا تكون إمامة كما قال علي كرم الله وجهه :

إذا المشكلات تصدين لي كشفت حقائقها بالنظر
ولست بإمعة في الرجا ل أسائل هذا وذا ما الخبر

وكما قال الامام مالك : « ان هذا العلم دين فلا تقلد دينك الرجال ، فما وهبك الله العقل وأنار لك الطريق ووفقك لاتخاذ وسائل

العلم إلا وهو يريد منك أن تشكره باستعمالها وفقنا الله جميعاً » . ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ، رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي . « ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً . الآية . والسلام عليكم ورحمة الله . يوم الخميس متم شعبان الأبرك عام 1375 هجرية محمد بن العربي العلوي وفقه الله ⁽⁴⁴⁾ .

سابعاً : التدبيج

لقد جرى العلماء منذ القديم على تبادل الاجازات فيما بينهم وأن يروي بعضهم عن بعض سعياً لتأكيد الصلاة وطلباً لعلو السند وتحملماً لما عند بعضهم من علم وحديث فإذا التقى عالمان طلب أحدهما من الآخر إجازته والرواية عنه لبي المجيز رغبته وطلب اليه بدوره إجازته وهذا ما يعرف التدبيج في علم مصطلح الحديث ⁽⁴⁵⁾ .

وقد اعتبره الشيخ عبد الحي الكتاني مظهراً من مظاهر ارتباط علماء المغرب بعلماء المشرق حيث قال :

« وهذا التدبيج مظهر ارتباط أسانيد المغاربة بالمشاركة وتعويل الآخرين على الأولين في ميدان المكافحة والمسابقة وتصدير المشاركة عند رواياتهم بأئمة المغرب وتطاول أعلام المغرب وافتخارهم بالأخذ عن فطاحلة المشرق » ⁽⁴⁶⁾ .

وقد جرى علماؤنا ومحدثونا على التدبيج بعضهم مع بعض سواء في المغرب أو في المشرق مع علمائه ومحدثيه ونذكر في هذا الباب بعض علمائنا المتدبجين :

(44) تحاف ذوي العلم والرسوخ ص 221 و 222

(45) وتعريفه في مصطلح الحديث أن يروي الراويان كل منهما عن الآخر .

« التقييد والايضاح على مقدمة ابن الصلاح » ص 333 .

(46) فهرس النهارس 6/1

فقد تدبج محمد بن مرزوق الحفيد المتوفى سنة 842 مع الحافظ ابن حجر⁽⁴⁷⁾. وتدبج أبو سالم العياشي مع شيخه المولى إبراهيم الكوراني وقد أوردنا نص إجازته لشيخه بالمسلسل بالاولية كما جاءت في رحلته ماء الموائد⁽⁴⁸⁾.

وتدبج الشيخ التاودي بن سودة المري مع الشيخ المعمر الصالح الرحال محمد المختار بن محمد أمزيان المعطاوي الدمراوي نزيل تازة وتآخى معه وعاش بعده عشرات السنين⁽⁴⁹⁾.

وتدبج الحافظ ابن عبد السلام الناصري في مصر مع محدث الشام أحمد بن عبيد العطار الدمشقي الشافعي سنة 1218⁽⁵⁰⁾.

وتدبج المسند أبو عبد الله محمد بن التهامي بن عمرو دفين مكة المكرمة سنة 1244 في تونس مع البرهان الرياحي ومع شيخ الاسلام محمد بن الخوجة⁽⁵¹⁾.

وتدبج أحمد بن الخياط الزكاري الفاسي المولود سنة 1252 مع أبي محمد بن عبد الله بن إدريس البدراوي الوزير.

كما تدبج المذكور أيضا مع أبي حفص عمر بن حمدان المحرسي المدني لما ورد فاس⁽⁵²⁾.

وتدبج سيدي محمد بن جعفر الكتاني سنة 1322 مع جمال الدين بن الشيخ محمد سعيد الدمشقي الشافعي الأثري⁽⁵³⁾.

(47) فهرس الفهارس 396 / 1

(48) الرحلة العياشي 330 / 1 الى 332

(49) الروضة المفصورة للحوات - فهرس الفهارس 190 / 1

(50) فهرس الفهارس 207 / 2

(51) فهرس الفهارس 203 / 1

(52) فهرس الفهارس 289 / 1

(53) فهرس الفهارس 358 / 1

(54) فهرس الفهارس 390 / 1

(55) فهرس الفهارس 125 / 2

(56) فهرس الفهارس 27 / 2

كما تدبج أيضا مع الشيخ أحمد بن الخير المكي الهندي⁽⁵⁴⁾.
وتدبج الشيخ عبد الحي الكتاني بالمدينة المنورة مع المعمرة الناسكة شمس جيهان الجركسية المدنية⁽⁵⁵⁾.

كما تدبج المذكور مع سيدي فتح الله بن أبي بكر بناني سنة 1319⁽⁵⁶⁾.

وتدبج صاحب هذا الكتاب مع الشيخ الناسك محدث شنجيط أبي مدين ابن الشيخ محمد سليمان الشنجيطي صاحب الصوارم والأسنة في الذب عن السنة⁽⁵⁷⁾ وتضافح وتشابكا وأجازه بثلاثيات البخاري وكان ذلك بالرباط في جمادى الثاني سنة 1397 - الموافق 1977 بمحضر جمع من العلماء من بينهم الوالد حفظه الله ووزير الاوقاف آنذاك الاستاذ الداوي ولد سيدي بابا والشيخ المختار بن حمدون الشنجيطي وغيرهم.

ثامناً: جمع الإجازات

هذا وقد دأب العلماء والمحدثون على جمع إجازاتهم التي حصلوا عليها من شيوخهم وقد يضيفون إليها إجازات مشايخ من اجازوهم، وقد استمر العلماء والمحدثون على هذه السنة خلفا عن سلف، مما يشهد به ما تزخر به خزائنا العامة والخاصة من اسفار واثبات وفهارس ورحلات تضم الاجازات التي حصلوا عليها طوال حياتهم نذكر منها على سبيل المثال:

(1) فهرس المنجور .

أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور المتوفى سنة 995 هجرية وهو فهرس كتبه المؤلف باسم السلطان أبي العباس أحمد المنصور السعدي ذكر فيه شيوخه وتاريخ موالدهم ووفياتهم وما أخذ عنهم من فنون العلم تفصيلاً واهمالاً⁽⁵⁷⁾ .

كما تتضمن إجازته لأحمد المنصور بكتب الحديث المروية عن سقين .

وبالمصافحة والتشبيك وصفة المسح على الخفين .

وما أخذه المؤلف عن علي بن هارون .

وبكتب الفقه المالكي وبسنده فيها .

وبما قرأه على المؤلف من صحيح البخاري والموطأ ومسلم .

وبالحديث المسلسل بالأولية .

والمسلسل بالمصافحة .

ومؤلفاته ، وكانت سنة 989 هـ⁽⁵⁸⁾ .

(2) بذل المناصحة في فعل المصافحة .

وهو فهرس لأبي العباس محمد بن علي البوسعيدي الصنهاجي الشتوكي دفين فاس والمتوفى سنة 1046 . ترجم فيه لشيوخه وذكر أسانيدهم وإجازاتهم له⁽⁵⁹⁾ .

(57) فهرس المنجور ص 10

(58) نشرت هذه الفهرس بتحقيق الاستاذ محمد حجي عن دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سنة 1976 .

(59) فهرس الفهارس 179 / 1

(3) إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء :

لعبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المتوفى سنة 1030⁽⁶⁰⁾ ، جمع فيه إجازات مشايخه واستدعاءاته لهم أمثال ياسين ابن محمد الخليل وابراهيم بن عبد الرحمن الخياري وابراهيم بن حسن الكوراني وزين العابدين بن عبد القادر الطبري ويوسف بن حجازي وعيسى بن محمد بن عاشر الثعالبي⁽⁶¹⁾ .

(4) قرى العجلان على إجازة الاحبة والاخوان .

فهرس لأبي العباس أحمد بن محمد الهشتوكي دفين تامكزوت والمتوفى سنة 1127 هـ .

وهو في نحو كراسين ذكر فيه أسماء مشاهير الآخذين عنه من أهل سوس وسجلماة والصحراء ثم ترجم لمشايخه ومقروءاته عليهم كأبي عبد الله بن ناصر الدرعي وأخيه أبي علي الحسين وأبي علي اليوسي وابن حمدان التلمساني وغيرهم .

كما أسهب في ذكر أشياخ أشياخه المذكورين وجملة من أجازه عامة منهم الشيخ ابن ناصر وابن سعد المرغيثي وعبد القادر بن علي الفاسي وولده عبد الرحمن وأبو سالم العياشي والخرشي والزرقاني والملا ابراهيم الكوراني وغيرهم⁽⁶²⁾ .

(5) فتح الملك الناصر في إجازات مرويات بني ناصر .

لأبي عبد الله محمد المكي بن أبي عمران موسى بن ناصر الدرعي

(60) بروكلمان ذيل 711 / 2 - فهرس الفهارس 212 / 2

(61) الفهرس العام للمخطوطات القسم الاول مكتبة حسن حسني عبد الوهاب .

(62) فهرس الفهارس 423 / 2 و 424 .

وهو فهرس جمع فيه الإجازات التي حصل عليها سلفه مقسم إلى ثلاثة فصول:

الأول في إجازات جده الأكبر أبي عبد الله بن ناصر وأخيه أبي علي الحسين.

والثاني : في إجازات أولاده.

والثالث : في إجازات أحفاده.

وقد أتم فهرسه سنة 1150 هـ وهو أول من تنبه لجمع إجازات بيت مغربي كبير في مجموعة مخصوصة (63).

(6) مجموع إجازات الحضيكي.

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي الحضيكي المتوفى سنة 1187 (64).

(7) فهرس التاودي بن سودة.

المتوفى سنة 1209 وهي فهرس صغرى ذكر فيها شيوخه من أهل العلم ونصوص إجازاتهم له (65).

(8) كناشة ابن عبد السلام الناصري.

لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن ناصر الدرعي التامكروتي المتوفى سنة 1239

وقد تضمنت استدعاءاته الإجازة من مشايخه مغاربة ومشاركة

(63) فهرس الفهارس 2 / 276 و 278

(64) توجد بالكتبة الكتانية كما ذكر صاحبها في الفهارس 1 / 261

(65) المرجع السابق 1 / 188

وعقبها الإجازة له بخطوطهم وهي في مجلد.

ومن إجازات مشايخه المذكورة بها على سبيل المثال : إجازة شيخ الجماعة بفاس أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس وهي إجازة تامة سنة 1182

وإجازة محمد بن الحسن بناني في نفس السنة والتاودي بن سودة.

إجازة عامة 1195 ومحمد بن أحمد الحضيكي السوسي 1186

وإجازة شيخه أبي العلاء العراقي الفاسي وهي عامة بتاريخ 1172 (66).

(9) مجموع إجازات ابن رحمون.

محمد التهامي بن المكي بن عبد السلام بن رحمون الفاسي المتوفى سنة 1263 (67).

(10) مجموع إجازات ابن الخوجة.

شمس الدين محمد بن أحمد بن الخوجة الحنفي التونسي المتوفى سنة 1279 له مجموعة تضمنت إجازات مشايخه وإجازات مشايخهم لهم من أعلام التونسيين والمظربة أمثال الشمس الغرياني والكواش والريحاني ومحمد بن التهامي بن عمرو الرباطي (68).

(11) سفر الإجازات:

لأبي عبد الله محمد المدني بن علال بن جلون الفاسي المتوفى سنة

(66) فهرس الفهارس 2 / 219 - 221

(67) فهرس الفهارس 1 / 199

(68) فهرس الفهارس 1 / 285

1298 وهو مجموع إجازاته من مشيخته بخطوطهم كالشيخ أبي الحسن علي بن طاهر كتبها له بفاس سنة 1297، وإجازة الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني كتبها له عام 1287، وأبي العباس أحمد بن الطالب بن سودة كتبها له عام 1290 الخ⁽⁶⁹⁾.

12 (مجموعة إجازات محمد بن جعفر الكتاني).

للشيخ محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة 1345 هـ وهي مجموع إجازاته وأسانيده في مجلده. أهمها إجازته التي حوت أسناده للآثبات وهي في نحو كراسة⁽⁷⁰⁾.

13 (مطية المجاز إلى من لنا في الحجاز أجاز).

للشيخ عبد الحي الكتاني⁽⁷¹⁾.

تاسعاً: إجازات مغربية مشهورة في رواية صحيح البخاري.

1 - إجازة قاضي الجماعة بفاس أبي القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني المتوفى سنة 1032 للشيخ عبد القادر الفاسي ونصها.

« الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد فقد قرأ علينا النبيه الفهامة اللبيب المحصل المتفنن الخريص على العلم وتحصيله المواظب على تعلم مجمله وتفصيله ، السيد عبد القادر بن الخير المبارك المتكشف الخير أبي الحسن علي بن الشيخ

(69) فهرس الفهارس 2 / 385

(70) فهرس الفهارس 1 / 390

(71) المصدر السابق 1 / 20

العالم القدوة ذي البركة الظاهرة والخيرات المتكاثرة والمآثر المتظافرة المتواترة السيد الصوفي أبي يعقوب يوسف الفاسي به شهر أنار الله طريقه وأذاقه حلاوة العلم وتحقيقه صحيح البخاري سمعه بقراءة غيره من أوله إلى آخره ، وجملته معتبرة من صحيح مسلم ورسالة ابن أبي زيد في سنة أخرى ، ثم عقيدتها أيضاً في سنة أخرى ، وصغرى الشيخ السنوسي ، وشرحها بقراءة غيره وبقرائته في موضوع شرحها في مرة مع بحث وتحقيق وذكر ما يتعلق بالمحل من كلام غيره من علماء الكلام ، وقرأ أيضاً ، علمه الله ونفعه ، تلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني بشرح مختصر سعد الدين التفتزاني ، عليه من أوله إلى آخره في سنة ، ثم من أوله إلى القصر في مرة أخرى مع بحث وتحقيق ، وما يظهر له من كلام الحواشي ، ثم قرأ أيضاً حفظه الله ، كبرى الشيخ السنوسي وشرحها من أولها إلى آخرها ، ثم قرأ جمع الجوامع للسبكي بشرحه مع ما يتعلق بذلك من حواشي اللقاني وابن أبي شريف قراءة تعليم وتحصيل مرتين ثم بعض مقدمة السنوسي وشرحها بلفظه وقراءته ، ثم قرأ معنا وسمع منا تفسير القرآن من قوله تعالى :

وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إلى قرب سورة يس ، مع شرح الحكم لابن عباد ، ورسالة ابن أبي زيد من أحكام الدماء والحدود إلى ختمها ، ومن أولها إلى ختم العقيدة ، كل ذلك يستفيد فيه ويفيد من حضر له أبقاه الله ورزقه علماً كثيراً ، نفع الله الجميع وجعله الله خالصاً لوجهه .

ثم أنه علمه الله من حسن نيته ، وخلوص طريقته وصفاء سجيته ، طلب مني أن أجزيه في جميع ذلك وأن يروي عني كله فأخبرني وحدثني وبأي لفظ شاء كما رويته عن أشياخي رواية أو دراية .

فأما صحيح البخاري ومسلم وسائر كتب الصحاح وكتب الفقه

2 - ومن عيون الاجازات الجامعة اجازة الشيخ أبي شعيب
الدكالي للمحدث المدني بن الحسين متضمنة سنده الى الجامع الصحيح
للبخاري وسنده الى الكتب الستة ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العالي شأنه ، العزيز سلطانه ،
و صلاة والسلام على سيدنا محمد المرفوع الشأن ، وعلى آله وأصحابه
المبرزين العدول أهل الضبط والاتقان ، أما بعد فقد استجاز مني
العاصمي أدباً ، العصامي نسباً ، الفقيه الأملعي الشريف السذكي
اللودعي ، سيدي ومولاي المدني بن الحسين ، وقد أجزته بكل ما يجوز
عني روايته من معقول ومنقول وفروع وأصول بشرطها عند أهلها ،
وبشرط أن يسهم لي من دعواته في خلواته وحلواته ، وأن يواظب على
الافادة والاستفادة وأن يحمي من سنة النبي ﷺ وعلى آله ما استطاع
إحياءه ، كما أجازني مشايخ جلة عدة ، منهم الفاضل شيخ الاسلام
الشيخ سليم البشري ، والفاضل الشيخ علي الصالحى والاجل الشيخ
عبد الله القدومي النابلسي ، والفاضل الشيخ محمد الطوموي والشيخ
الفاضل أحمد الرفاعي رحمهم الله ورضي عنهم ، وأروي صحيح
البخاري عن المذكورين عدا النابلسي ، عن الشيخ منة الله ، عن العلامة
الامير ، عن الشيخ أبي الحسن الصعيدي ، عن الشيخ محمد بن عقيلة
المكي ، عن الشيخ حسن بن علي العجيمي ، عن الشيخ أحمد بن
العجل اليمني ، عن الشيخ يحيى بن مكرم بن محب الدين الطبري ، عن
الشيخ محب الدين الطبري ، عن محمد بن ابراهيم بن صدقة
الدمشقي ، عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغاني ، عن الشيخ
محمد بن نصر بن شاذ بخت ، عن الشيخ يحيى بن عمار الختلائي ، عن
الشيخ محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن الامام أبي عبد الله محمد بن
اسماعيل البخاري ، وأروي موطأ أبي عبد الله مالك بن أنس إمام

فأرويهما عن شيخنا العالم الزاهد المحدث الورع الفاضل أبي العباس
سيدي أحمد المدعو بابا ابن العلامة الشيخ الرحلة أبي العباس أحمد ابن
الشيخ الامام الرحلة الحاج الأبرُّ أبي العباس أحمد بن عمر بن أبي
أقيت السوداني التنبكتي عن والده المذكور ، عن جماعة من الشيوخ
مشاركة حسبما ذلك مسطراً في إجازته .

وأما عقائد السنوسي وكتب الأصول كالسبكي وشارحه المحلى
وغيرها فحدثني بها شيخنا ومفيدنا العلامة المحقق المعقولي خاتمة العلماء
أبو العباس ابن التاجر الأمين أبي الحسن علي ابن التاجر الأمين أبي زيد
عبد الرحمن المنجور ، عن أشياخه المذكورين في فهرسه .

وأما علوم العربية فأخذناها مشافهة وسماعاً عن جملة من الأشيخ ،
منهم شيخ الجماعة وملحق الأحفاد بالأجداد العلامة الاستاذ علي
الاطلاق أبو عبد الله محمد بن مجبر المساري ، ومنهم الشيخ المحدث
الاستاذ أبو العباس أحمد بن قاسم القدومي وغيرهما .

وأما الفقه فعن العالم المحصل الشيخ الامام أبي زكرياء يحيى بن
محمد السراج ، والعالم الحافظ المستخلص لفروع الفقه القاضي الأفضل
أبي محمد عبد الواحد الحميدي ، إجازة تامة شاملة عامة نفعه الله بما علم
ووفقه وسدده وزوده التقوى آمين .

قال ذلك وسطره بيده عبيد ربه وأسير ذنبه المعترف أبو القاسم بن
محمد بن أبي النعيم الأندلسي أضلاً السفيناني نسباً الفاسي داراً ومنشئاً
الأشعري اعتقاداً المالكي مذهباً ، عامله الله بلطفه الخفي وآجره على عوائد
بره الخفي ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وسيد
المرسلين ، وفي أواسط جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وألف (721) .

الأئمة ، وإمام دار الهجرة ، عن الرفاعي والطمومي عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير عن الشيخ محمد بن العربي السقاط عن الشيخ محمد ابن عبد الباقي الزرقاني ، عن الشيخ أبي الازهري ، عن الشيخ محمد بن أحمد الرملي ، عن الشيخ زكرياء الانصاري عن الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن نجم الدين محمد علي بن عقيل الباسي ، عن محمد بن علي المكني عن محمد بن محمد الدرثي عن عبد العزيز بن عبد الوهاب بن اسماعيل ، عن جده اسماعيل ابن الطاهر عن محمد بن الوليد

الطرطوشي ، عن سليمان خلف الباجي ، عن يونس بن عبد الله بن مغيث ، عن أبي عيسى يحيى بن يحيى عن عم أبيه عبيد الله بن يحيى عن أبيه ابن يحيى الليثي وأروى صحيح مسلم عن الشيخ سليم والمذكورين

في الموطأ عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير ، عن الشيخ محمد بن العربي السقاط عن الشيخ أحمد النخعي المالكي ، عن الشيخ محمد بن علاء الدين البجلي ، عن الشيخ سالم السنهوري ، عن نجم الدين الغضي ، عن الشيخ زكرياء الانصاري ، عن الحافظ أبي الفضل بن حجر ، عن الشرف بن طاهر محمد بن محمد بن الوكيل ، عن أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد الحميد الحنبلي المقدسي ، عن أبي العباس أحمد عبد الدائم عن محمد بن علي بن صدقة الحراني ، عن فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن علي بن صدقة الحراني ، عن فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفضل الفروي ، عن أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي ، عن أبي أحمد محمد بن عيسى الجلودي ، عن أبي اسحاق ابراهيم بن سفيان .

وأروى الجامع للترمذي والشمال له عن الشيخ محمد الطمومي ، والشيخ علي الصالح عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير ، عن الشيخ

أبي الحسن الصعدي ، عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي ، عن الشيخ حسن بن علي العجيمي ، عن الشيخ صفى الدين القشاشي ، عن الشيخ أحمد بن علي الشنواني ، عن والده الشيخ علي ، عن الشيخ عبد الوهاب الشعراي ، عن الشيخ زكرياء الانصاري عن زين المراغي ، عن اسماعيل بن ابراهيم الجبرتي ، عن عمر بن علي عن محي الدين بن عربي عن عبد الوهاب بن علي بن سكيئة البغدادي ، عن أبي الفتح عبد المالك بن عبد الله الكرخي ، عن شيخ الاسلام محمد بن عبد الله الانصاري ، عن عبد الله الانصاري ، عن عبد الجبار الجراحي ، عن محمد بن محبوب عن الامام الترمذي ، وأروى سنن أبي داود عنهم جميعهم عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير ، عن الشيخ الحنفي ، عن العلامة البديري ، عن الشيخ ابراهيم الكردي ، عن صفى الدين القشاشي ، عن الشيخ زكرياء الانصاري ، عن عز الدين ابن الفرات ، عن أبي حفص بن الحسن المراغي ، عن الفخر علي بن أحمد عن أبي حفص عمر بن محمد طبرزد البغدادي ، عن الشيخين ابراهيم بن محمد ابن منصور الكرخي ، وأبي الفتح مفلح بن أحمد الدومي كليهما عن الامام أبي بكر الخطيب البغدادي عن أبي عمر القاسم بن جعفر الهاشمي اللؤلؤي عن مؤلفها .

وأما السنن الصغرى للنسائي فأروىها عن الشيخ سليم عن الشيخ منة الله ، عن العلامة الأمير ، عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي ، عن الشيخ حسن بن علي العجيمي عن الشيخ أحمد بن العجل اليمني ، عن الشيخ يحيى بن مكرم الطبري عن عبد العزيز بن فهد ، عن محمد بن محمد بن عبد الله الزفتاوي عن اسماعيل بن ابراهيم الكناني الحنفي ، عن محمد بن اسماعيل الايوبي ، عن شاعر الله بن غلام الله ، عن صفى عبد العزيز بن باقع ، عن الحافظ أبي زرعة المقدسي عن عبد

الرحمن بن أحمد عن أحمد بن الحسين السكار ، عن ابن السني ، عن مؤلفها .

وأما سنن ابن ماجه فعن الشيخ سليم البشري ، والرفاعي عن الشيخ منة الله عن العلامة الامير عن أبي الحسن الصعيدي عن ابن عقيلة عن العجيمي عن ابن العجل اليمني عن يحيى بن مكرم عن جده محب الدين الطبري ، عن عز الدين المراغي ، عن أبي العباس الحجار ، عن عبد اللطيف بن محمد عن الحافظ أبي زرعة المقدسي عن أبي منصور المقدسي عن القاسم بن أبي المنذر ، عن أبي الحسن علي بن ابراهيم بن القطان عن مؤلفها .

وأروي سائر المسلسلات عن الشيخ أحمد الرفاعي عن الشيخ منة الله ، عن العلامة الامير ، عن شيوخه المذكورين في ثبته ، وعن الشيخ عبد الله القدومي النابلسي عن الشيخ حسن بن عمر الشطي ، عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري عن شيوخه المذكورين في ثبته وأوصي نفسي والمجاز المذكور بتقوى الله في السر والعلن ، وأن يخفض جناحه للمستفيد في كل وقت وعلى الله الاتكال .

وكتب لها أبو شعيب بن عبد الرحمن الصديقي الدكالي في سبعة من رجب عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف .

3 - ومن عيون هذه الاجازات المطبوعة والمشهورة للشيخ عبد الحي الكتاني وتتضمن سنده إلى الامام البخاري وبقية الكتب الستة :

أما بعد فقد استجازني وبالحير أولاني حضرة

(73) المحدث الحافظ أبي شعيب الدكالي ص 122 إلى 126 .

فلبيت دعوته واجبت رغبته وقلت وعلى الله توكلت :

أجيز حضرة الفاضل المذكور ذي السعي المشكور والعمل المبرور بجميع مالي من مرويات ومقروءات ومجازات عن قريب من ثلاثمائة نفس ما بين رجال ونساء بالمغرب الأقصى والأوسط والأدنى والحجاز ومصر والشام والعراق واليمن وبكل مالي من مؤلفات نحو الستين وأزيد ومؤلفات والدي أبي المكارم وأخي أبي الفيض وجدي أبي المفاخر وخالي أبي المواهب وسائر ما لأسلافنا الأجلاء القادات .

اجازة عامة مطلقة تامة يحدث عني بها كيف شاء ولن شاء وقد سأل بعض اساتيدي في ذلك لعلمه بما لي هنالك فامتثلت أمره وقلت وعلى الله توكلت :

أروي حديث الأولية عن والدي الشيخ عبد الكبير الكتاني عن الشيخ عبد الغني الدهلوي المدني عن الشيخ عابد السندي الأنصاري عن الشيخ صالح الفلاني المدني عن الشيخ المعمر محمد بن سنة العمري عن مولاي الشريف محمد بن عبد الله الواولاني عن المعمر محمد بن اركماش الحنفي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني عن شيخه الحافظ زين الدين العراقي عن الصدر الميدومي عن ابن النجيب الحارلي قال حدثني به أبو الفرج بن الجوزي عن أبي سعيد اسماعيل بن أبي صالح المؤذن النيسابوري عن أبيه أبي صالح عن أبي طاهر محمد بن محمش الزيايدي عن أحمد بن يحيى البزاز عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم قال حدثني به سفيان بن عيينة :

وهنا انقطعت سلسلة الأولية فإن كل واحد في الرواة من الشيخ الامام الوالد قال هو أول حديث سمعته من شيعتي إلى ابن عيينة وهو رواه بلا تسلسل عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن عبد الله بن

عمرو بن العاص ، قال النبي ﷺ (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء)

حديث حسن صحيح كما بسطته بادلته في كتابي (المنهج المنتخب المستحسن) وأخرجه البخاري في الكنى وفي الادب المفرد وأبو داود في سننه والترمذي في جامعه والحميدي في مسنده إلا أنهم جميعاً لم يسلسلوا ولنا فيه أسانيد أخر من طرق كثيرة عن نحو الستين شيخاً .

وأروي صحيح البخاري عالياً عن العلامة المعمر أحمد بن المنلا صالح السويدي البخاري الشافعي فيما كتبه به الي من مكة المشرفة عام حجه عن نادرة المتأخرين السيد محمد مرتضى الزبيدي الحسني باجازته لجدته وذريته عن المعمر محمد بن سنة الفلاني عن الشيخ احمد بن الطاوسي عن المعمر بابا يوسف الهروي عاش ثلاثمائة سنة عن محمد بن شاد بخت الفارسي الفرغاني عن يحيى بن شاهان الختلافي عن محمد بن يوسف الفربري عن الامام محمد بن اسماعيل البخاري روح الله تعالى روحه وأعلى في عوالي الفردوس بحبوجه .

فبيني وبين البخاري عشر وسائط وبيني وبين النبي ﷺ باعتبار ثلاثيات البخاري أربع عشرة واسطة وهذا السند أعلى ما يوجد الآن في الدنيا شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً براً وبحراً .

وقد أجزت حضرة الفاضل المذكور ببقية الكتب المذكورة أوائلها في رسالة سيدي عبد الله بن سالم البصري المعروفة برسالة الأوائل فإنني أرويها عن المعمر السويدي عن السيد المرتضى عن الشهاب أحمد الجوهري عنه وكذا أوائل الشيخ العجلوني بهذا الاسناد إلى السيد مرتضى عن السفاريني الحنبلي عنه ، واجيزه بما في ثبت الأمير الكبير فإنني أرويهِ عالياً عن المعمر السيد ابن أحمد العريضي الحسني عنه وبحصر

الشارد لمحدث الحجاز الشيخ محمد عابد السندي عن المعمر السويدي والسيد العريضي عنه في العموم موصياً للسيد المجاز بتقوى الله تعالى التي هي ملاك الأمر كله في السر والعلن فيما ظهر وبطن وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته وأسأل الله تعالى أن يطيل عمره في صحة وعافية وينفع به ويوفقني وياه وذويه ومحبيه وتابعيه والمسلمين لما يحبه ويرضاه أمين .

4 - ومنها إجازة الشيخ المدني بن الحسني وهي لإجازة جامعة فريدة بما أثبتته من علو باع المجيز في الحديث وعلومه وما تضمنته طالعته من الاشارة الى كتب الحديث ومصطلحه بتورية عجيبة وعبرة رائعة أنيقة وكلام عن الاسناد عال نفيس أجاز بها العالم البهائي سيدي محمد بن عبد الهادي المنوني بتاريخ جمادى الثانية عام 1376 ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اجازنا من نعمه باكمل إجازة . وأبان لنا منهاج الهدى الواضح ومجازه ، حمداً يستغرق صدور الشناء الجم واعجازه ، وحقيقة القول ومجازه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي رفع الله به سند الحق إلى الأوج الأعلى بل جازه وفضله فكان ديباجة الكون وطرازه أفضل مرسل وأجل من به إليه يتوصل ويتوسل .

(النبي الأُمِّي أعلم من أسند عنه الرواة والحكماء)

وعلى آله الذين نالوا بشرف الانتساب اليه القرب والمفاضة ، وحازوا بصحة الاتصال به كل سحق من المعارج والمعارف وقطعوا كل مفاضة ، وعلى أصحابه الذين نقلوا لنا معجزه واعجازه ، واجتباء مولاه إياه واعظامه واعزازه ، وعلى أتباعهم الاعلام أئمة الاسلام خلاصة أسماء الرجال المتحلين بتذهيب تهذيب الكمال ، فذلك الحساب وميزان الاعتدال لا ولي الا للباب المستمدين من فتح الباري فيض فضله

الجاري ، الرحمة الغيثية واصحاب المواهب اللدنية ، نخبة الفكر وعيون الاثر ، بما كان لهم من يد في تسديد القوس والاصابة وتبصير المنتبه من أهل النجاة وما نظموا من الدر المنثور على الخلاصة والجمهور وتعريف أهل التقديس بما يوجب توالي التأنيس مما كان عمده ومعونه القاري ، وهدياً وارشاداً للساري ، حتى فاز المسترشدون بهم من المقاصد الحسنة بنيل الاوطار ، من اسرار منتقى الاخبار ، صلاة وسلاماً يدومان على التأييد ما اتصلت عن المرويات بالأسانيد ، ورنحت عذبات الباني ريح صبا ، وارتاح مومن موفق لأهل الحديث وصبا ، وأذهب الله عنه حزناً وهماً وغماً ووضراً ووصباً .

(أهل الحديث هم أهل النبي وان لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا)

أما بعد فإنك أيها الأخ الفاضل الاديب العلامة المؤرخ المطلع البحاثة الصابر في سبيل الله على المحنة المتطلع للحديث النبوي والسنة ، الفقيه المدرس بمعهد مكناس .

(لله مكناس في حسن واحسان يرنو لها كل إنسان بانسان)

الى آخرها كما في تاريخها الزيداني ، مجلد الشريف الغطريف سيدي محمد بن عبد الهادي المنوني ، كنت بمنزلي واقترحت إجازة تامة وكنت في حال مرض عرض ، وفي منع من إصابة الغرض ، ومن أداء الحق المفترض ، لمانع ذلك الداء وحاجز ذلك الحرص فلما عافاني الله تعالى منه ، وحصل الشفاء ، تعين قضاء الحقوق إذ (لا يحمد إلا في فعلهن القضاء) .

(ما أنعم الله على عبده بنعمة أوفى من العافية)

وذلك إجابة لاقتراحك وانابة لمقتضى الحال من انبساطك

وانشراحك ، ولما حصل في هذه الايام ، وبعد رجوع مولانا الامام المنصور المظفر الضرغام ، وطلوع شمس محياه بعيد الغمام وحصول الاستقلال التام واتحاد المناطق والوثام من السرور والابتهاج العام مما سهل لي اجابة كثير من المستجيزين بفاس والجزائر المكافحة ومكة المشرفة وأعاد لي بعض شباب العلم والمعرفة وجعلني ممن اقتنص الدر بالشيص واغترفه .

(فالهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم)

ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ورغبة في اعتماد الاسناد وابقاء لسلسلة الاتصال بذلك الركن العالي العماد الذي عليه الاعتماد في الاستناد في كل مسجد ومجلس ومحفل وناد ، خصوصاً في أمور الدين وما يرجع لعبادة رب العالمين ، وتكاثر كلام السلف الصالح ، ذوي الهدي الواضح ترغيباً فيه وحثاً وحفزاً للهمم الطامحة وبعثاً وارشاداً للاعتناء به وتحصيلاً وبحثاً قال العالم المجاهد عبد الله بن المبارك المروزي :

(ومروزي شاع في الأناسي والثوب مروى على القياس)

رضي الله عنه حسبما في ديباجة ثاني كتب الصحة . الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وقال الطوسي قرب الاسانيد قرب الى الله تعالى وقيل الاسناد كسيف المقاتل ، اذ به تكون الاباطيل منفوذة المقاتل وقيل انه كالسلم يصعد عليه وقيل الأسانيد أنساب الكتب وقال الحافظ السيوطي في ألفية الاثر :

(قد خصت الأمة بالإسناد وهو من الدين بلا تردد)

على أنكم حفظكم المولى سبحانه ووالى عليكم من سحب رحمته كل هتانة وأيدكم بالتوفيق والتسديد والاعانة قد اتخذت في ذلك الاقتراح

حسن الظن شعاراً ودثاراً ملتمساً بالصحراء مغالماً وآثاراً مع أني بمعزل
عن هذا المنزل ، ولا زلت في هذا الشأن غرثان عطشان ، وهو موقف
خطير وأنتى لمقصود الجناح أن يطير وإنما شنشنة ذوي الكرم استسنان
ذوي الورم ، واستغصان قنن الحجر وحسانها فنن شجرة وفيمن كان مثلي
تمثل من قبلي :

(لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم وفي الدنيا كريم)
(ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها اعى الهشيم)

فلذلك عَنِّي أن أقدم على ذلك الاقتراح إقدام الآتي غير ابي ،
واقترحته ولو قام دونه خرط القتاد وتحصيل ذخيرة وعتاد ، كما هو
المعتاد ، من كل رائد مرتاد بل امتطي سهوة الاسعاف والاسعاد اغتناماً
للأجر والثواب وسلوكاً لطريق الصواب في حسن الجواب ولأنه المعروف
المألوف وأخذة ألوف عن ألوف لما يرجى من عود بركته على الجهتين
وشمول الفيض الالهي الطرفين والله ذو الفضل العظيم فلهذا ولذلك
رجحت الاجابة تقديماً لهذا الرأي الأخير ، وتنكباً سبيل التسويق
والتخير ، حذراً مما رواه الديلمي في مسند الفردوس عن عبد الرحمن بن
عوف مرفوعاً التسويق شعار الشيطان يلقيه في قلوب المؤمنين واعتماداً على
ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً ، احرص على ما ينفعك
واستعن بالله ولا تعجز فقيدت هذه الحروف مختلساً من صوارف الظروف
حمى الله الاسلام وأهله وأنالهم بالطافه الخفية مناظ المبرة والتجلة ، حتى
يحلوا من سهوات العز وذروة المجد محله ، منشداً لكم ما كان أنشده لي
شيخنا شيخ الجماعة عمدة الفنون أبو حامد رحمه الله في إجازته الأولى لي
مما أنشده له بعض شيوخه :

أجزتك لا اني لما رمته أهل ولا أن ما تبغيه محتمل سهل

فكيف أراني أهل ذاك وقد أتى علي المواتان البطالة والجهل
وما العلم الا البحر طاب مذاقه وما لي عل في السورود ولا نهل
فأسال ربي العفو عني فانه لما يرتجيه الخلق من فضله أهل
فأقول قد أجزتك أيها السيد الأيد في كل ما يصح لي وعني روايته أو ثبت
لي درايته من منقول ومعقول وأصول وفروع ومقروء ومسموع من الموطأ
والصحيحين والسنن الأربع وغيرها اذنا تاماً مطلقاً عاماً على أن عليه في
ذلك أن يثبت في النقل والفهم وأن يخلص لله في العلم ، وأن يقول فيما
لا يدري لا أدري :

(جنة العالم لا أدري إذا أخطأ جنة
فإذا ما عدم الجنة صارت فيه جنة)

وأوصيه وإياي بتقوى الله تعالى جهد الاستطاعة فإن تقوى الله تعالى هي
ملاك الدين ، ومأوى قلوب المهتدين ، وأوكد في التثبت في الدين
والعلم والتثبت بجماعة المسلمين :

(فالدين جامعة تضم شتاتنا من شرقه الأقصى إلى تطوانه)
وأتحفك أيها السيد السري بسندي المتصل بحديث الرحمة المسلسل
بالأولية ، وبسندي إلى الجامع الصحيح ، أما الأول وهو حديث الرحمة
الوارد عن عين الرحمة ﷺ :

(رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء)
وأقدمه وأبدأ به لمناسبات منها أن نوره ﷺ أول مخلوق كما في حديث
جابر عن عبد الرزاق وانه خاطبه بقوله : (وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين) وفي الحديث القدسي (سبقت رحمتي غضبي) وهو المسلسل
بالأولية ، المقدم بالأحقية والأولية ، ورفعت له عند المسندين الرايات

الخفاقة والألوية ، فقد وقع لي بحمد الله من طرق كثيرة لا يسعني هنا أن أحلي جيد هذا التقييد بلامع دررها النشرة مقتصرأ على هذا السند لما فيه من كبار الحفاظ ومشاهير المحدثين وعدة من المعمرين مقتبساً مما جمعته عام 1328 هـ منذ زهاء نصف قرن في كتابي « منح المنيحة بشرح النصيحة » أي نصيحة أهل الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وبعيد البلاد ومقاربها وفيه بسط أدواء المسلمين التي أودت بهم وبيان الدواء في ذلك .

فأروي حديث الرحمة المسلسل بالأولية عن الإمام التقي النقي المحدث المسند الرحالة الشريف العفيف العلامة المشارك الدراكة أبي عبد الله محمد بن إدريس الحسيني الهاشمي المغربي ثم المدني ثم الدمشقي المتوفى سنة 1345 وهو أول حديث أسنده لي مكاتبة قبل وفاته رحمه الله بأيام ، حدثه العارف حبيب الرحمن بن امداد أحمد الهندي الحسيني بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة عام 1322 قبل وفاته رحمه الله بأيام وهو أول حديث سمعه منه ، حدثه الشيخ عبد الغني الدمشقي الميداني وهو أول عن محدث الشام عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري وهو أول عن الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد المقدسي الشهير بابن بدير ، عن أبي منصور الشيخ المصطفى الدمياطي عن الشيخ محمد ابن أحمد بن عقيلة المكي الحنفي صاحب المسلسلات ، عن المعمر الشهاب أحمد بن محمد البنا المعمر الدمياطي الشهير بابن عبد الغني ، عن المعمر محمد بن عبد العزيز المنوفي عن المعمر أبي الخير بن عموس الرشدي ، عن المعمر شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري ، عن خاتمة الحفاظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر الكنانسي العسقلاني ، عن الحفاظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، عن صدر الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن ابراهيم البكري الميديمي

المعري ، عن النجيب أبي الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحارثي ، عن الحافظ جمال الدين بن علي الجوزي « بالضم وليس هو الحافظ المفتوح خلافاً لما في المنح » ، عن أبي سعيد اسماعيل بن أبي صالح النيسابوري ، عن والده أبي صالح أحمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري المؤذن ، عن أبي طاهر بن محمد بن محمش الزيايدي النيسابوري عن أبي حامد بن محمد بن يحيى بن جلال البزاز ، عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدي النيسابوري بن سفيان بن عيينة « وانتهت اليه السلسلة بالأولية على الأصح كما قال السيوطي في ألفيته » :

(كأولية لسفيان انتهى وخيره مسلسل بالفقها)
عن عمرو بن دينار عن أبي قابون مولى عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » « بجزم يرحمكم في جواب الأمر وبرفعه على الاستئناف أو الدعاء وهما روايتان مشهورتان لمن عين إحداهما والنصب ضعيف رواية ودراية » وأخرجه أبو داود والترمذي بدون سلسلة الأولية وأما الثاني فوقع لي بحمد الله من طرق متعددة بالسماع والقراءة والإجازة الخاصة والعامة والوجادة والمكاتبة مما يكثر على من ينظم أو ينثر واقتصر هنا على هذا السند المعتمد لأنه بالسماع المقدم على غيره من طرق التحمل التي يحمل بها التحلي ويحسن بها التجمل ، قال السيوطي :

(أعلى وجوه من أراد جملاً سماع لفظ الشيخ أملى أم لا)
لأنه مسلسل بالغاربة مغرباً وأندلساً من أوله الى الحافظ أبي ذر الهروي باخراج الغاية وأقول كما قال ابن حبيب :

(أحب بلاد الغرب والغرب موطني

ألا كل غربي إلى حبيب)

ولأنه مسلسل بالفقهاء المالكية من أوله حتى أبي ذر الهروي بإدخال الغاية وتقدم قول السيوطي « وخيره مسلسل بالفقهاء » ولأنه من طريق ابن سعادة المعتمدة بالمغرب وأثنى عليها جمع جم كما فعلته مع تراجم جميع رجاله وطرف من طرفهم في مصنفني (مقدمة الرعيل الى جحفل محمد بن اسماعيل) الذي أُمليت عند افتتاح الصحيح برباط الفتح بالمسجد السائحي ضحى عام 1341 ، وبالمسجد الأعظم منه بين العشاءين في رجب عام 1352 ، وبالمسجد الأعظم من طنجة عصرًا في 28 جمادى الثانية عام 1354 ، وأنشدت لهم قولي على منوال سيدنا بلال الذي أعتقه سيدنا الصديق :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بطنجة حيث مأوها وجنان
وهل أردن ماء الحديد بمنهل وهل يبدون منها مجاز ومرشان
وبجامع المواسيس من مراكش الحمراء ، ذات المواقف المشرفة البيضاء
والحمراء بين العشاءين عام 1365 ، وأنشدتهم قول القائل :

بالله إن وطئت مراكشاً قدمك وجزت يوماً على تلك البساتين
أن لا تقدم أمراً قد هممت به حتى تحمي سكان المواسين
فأقول أروي كتاب الجامع الصحيح :

(الجامع المانع الدين القويم وسنة الشريعة أن تغتالها البدع

عن شيخنا العلامة المشارك الواعية الحافظ أبي العباس السيد أحمد بن موسى المتوفى سنة 1328 ، سماعاً مني عنه لجميعه عدة مرات ، وعن شيخنا العلامة الأديب الكبير البليغ أبي العباس السيد أحمد بن قاسم

جسوس المتوفى سنة 1331 ، سماعاً لأوائله وأواخره وإجازة لبقائه ، وعن عمنا العلامة الناسك الشريف أبي عبد الله سيدي محمد بن الحسيني المتوفى سنة 1341 ، سماعاً لأوائله وأواخره ، وذلك بالضريح السائحي في الأولين وبمسجده في الأخير. ثلاثتهم عن العارف الكبير شيخ الشيوخ الأعلام من فاس ومكناس ومراكش والعدوتين الرباط وسلا وغيرهما أبي المواهب سيدي العربي بن محمد بن السائح الشرقي العموري الفاروقي المكناسي ثم الرباطي المتوفى به سنة 1309 ، وعن أبي عبد القادر بن أحمد الكوهن المتوفى بالمدينة المنورة سنة 1254 ، عن أبي العلاء إدريس بن علي زين العابدين العراقي الحسيني المتوفى سنة 1228 هـ ، عن شيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن التاودي بن سودة المري المتوفى سنة 1209 ، عن أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس المتوفى سنة 1282 ، عن الصوفي أبي محمد عبد السلام بن حمدون جسوس الشهيد سنة 1121 ، عن أبي السعود عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن الفاسي المتوفى سنة 1091 ، عن عم أبيه أبي زيد عبد الرحمان الفاسي المتوفى سنة 1036 ، عن النظار أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار الفاسي دفين مراكش المتوفى سنة 1012 ، عن الصوفي رضوان بن عبد الله الجنوبي المتوفى سنة 981 ، عن الراوية أبي زيد عبد الرحمن سقين العاصمي المتوفى سنة 956 ، عن الإمام عمدة العلوم على الإطلاق أبي عبد الله محمد بن غازي العثماني المكناسي المتوفى بفاس سنة 919 ، عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السراج ، عن أبيه أبي القاسم عن جده أبي زكرياء يحيى السراج ، عن الخطيب أبي البركات بن الحاج البلفيقي المتوفى سنة 771 ، عن أبي جعفر أحمد بن الزبير سنة 708 ، عن القاضي أبي الخطاب محمد بن أحمد ابن خليل السكوني المتوفى سنة 662 هـ .

عن أبي الخطاب أحمد بن واجب القيسي البلسي المتوفى سنة 614 ، عن القاضي أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة المرسي المتوفى سنة 565 ، عن القاضي الشهيد أبي علي حسين بن محمد بن فيرة الصدي الشهيد سنة 514 ، عن القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى سنة 474 ، عن الحافظ شيخ الحرم أبي ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي الأنصاري المتوفى سنة 434 ، عن شيوخه الثلاثة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه الحموي السرخسي المتوفى سنة 381 ، وأبي الهيثم محمد بن المكي بن زراع الكشميهني المتوفى سنة 369 ، وأبي اسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم المستملي المتوفى سنة 376 ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري المتوفى سنة 320 ، عن أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة 256 .

علا عن المدح حتى ما يزان به
له الكتاب الذي يتلو الكتاب هدى
كأنما المدح من مقداره يضع
هذي السيادة طوداً ليس ينصدع
الجامع المانع الدين القويم وسند
قاضي المراتب داني الفضل تحسبه
كالشمس يبدو سناها حين ترتفع
ذلت رقاب جماهير الأنعام له
فكلهم وهو عال بينهم خضعوا
لا تسمعن حديث الحاسدين له
فإن ذلك موضوع ومنقطع
وقل لمن رام يحكيه اصطبارك لا
تعجل فإن الذي تبغيه ممتنع
وهبك تأتي بما يحكي شكالته
أليس تحكي غيا الجامع البيع

كما نتصل بحمد الله تعالى بكثير من أهل العلم والفضل ، أصحاب الفهارس المعتمدة كفهرس العلامة المحدث سيدي جعفر بن إدريس الكتاني المغربي المطبوع بفاس حسبما أجازني به وبغيره عنه نجله الإمام القدوة التقي النقي الورع المهاجر إلى الحرمين مرتين أبو عبد الله

سيدي محمد بن جعفر رحمه الله ، وكفهرس العلامة الرحالة المسند أبي الحسن علي بن سليمان الدمطي المغربي المطبوع بمصر كنانة الله في أرضه . « من أرادها بسوء قسمه الله » كما ورد واطرد ، ومن شرد يطرد ، حسبما أجازني به شيخنا شيخ الجماعة العلامة عمدة الفنون القاضي أبو حامد سيدي المكي بن محمد بن علي البطاوري . وكفهرس الشيخ الأمير المصري الشهير حسبما تضمنته إجازة أبي حامد إلى شيخه الدمطي المذكور بسنده المفصل في فهرسته السابقة الذكر ، وكفهرس المحدث الكبير الشيخ صالح محمد العمري الشهير بالفلاني حسبما أجازني شيخنا العلامة أبو العباس السيد أحمد جسوس بأسانيد إليه مما فصله في إجازاته لي وجاء فيها بعد ذكره سنده إلى الإمام العارف الحجة العلامة الأشهر أبي عبد الله سيدي محمد الحافظ بن المختار بن حبيب العلوي الشنجيطي قدس الله تعالى سره قائلاً بما أجاز به الشيخ الإمام الحافظ العلامة الهام اللافظ محدث عصره وبركة دهره سيدي صالح بن محمد العمري الشهير بالفلاني رحمه الله تعالى ورضي عنه ، وقد أجاز به في شعبان الأبرك عام 1217 ، إجازة مطلقة عامة حسبما رأيت ذلك بخط الفلاني وهو يروي صحيح الإمام البخاري عن شيخه محمد بن سنة قراءة عليه بإجازته من المعمر أحمد بن محمد بن العجل ، عن مفتي مكة قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي ، عن الحافظ نور الدين أحمد بن عبد الله الطاوسي ، عن المعمر بابا يوسف الهروي ، عن محمد شاذ بخت الفارسي الفرغاني ، عن أبي لقمان عمار بن مقبل بن شتاهان الختلائي ، عن محمد بن مطر الفربري ، عن الإمام قال: فبينني وبينه ثمانية ، وتقع لي ثلاثياته باثني عشر ، ويروي غيره من كتب الحديث وجميع كتب عياض وكتب السيوطي كلها بأسانيد مينة في فهرسة عليها خطه ، وهي التي أجاز فيها سيدي محمد الحافظ لم يسبقنا الحال لكتبها الآن . انتهى ، وجل هذه الإجازة الجسوسية المدنية تجدونه

منقولاً في الإعلام في تاريخ مراكش الأخير المجموع سنة 1329 المطبوع بفاس سنة 1355 ، وذلك في ترجمته لشيخنا أبي العباس جسوس في المجلد الثاني في الأحمدين ، ومن طرق هذه الفهارس المجاز لنا فيها، وتتصل بغالب المصنفات والمسلسلات وجل الاثبات المعتمدة كما نتصل بغيرها أيضاً ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد .

وكتبه عن ضعف عافاكم الله وألم ألم مسلماً عليكم وعلى كل مسلم مسلم علينا ومجيزاً لكم بما تقدم وبكل ما نتصل به مع طلب صالح دعائكم وفي صباح الأحد 12 جمادى الثانية عام 1376، محمد المدني بن الغازي دفين الاسكندرية المحروسة بن الحسيني حسن الله عاقبته ومنحه تقواه ومراقبته آمين ⁽⁷⁴⁾ .

5 - ومن الإجازات الجامعة إجازة استاذنا وشيخنا الرحالي الفاروق لصاحب هذا الكتاب بمناسبة مناقشة رسالة الدبلوم للدراسات العليا في الحديث في موضوع « رباعيات البخاري » بأشرافه، وقد تضمنت سند الشيخ إلى الجامع الصحيح وهذا نصها :

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على فاتحة الأشياء وخاتمة الأنبياء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وعلى آله وصحابه الثقات البررة ، وكل من حذا حذوهم وقصد قصدهم إلى يوم الدين والجزاء أما بعد :

فأمدني الله وإياك بنور معرفته وألهما جميعاً شكر نعمته والقيام بحق ربوبيته .

وقد سألتني أيها الشيخ المؤمن البار أن أجيزك بما درست ورويت من معارف الملة الإسلامية والثقافة الإنسانية .

(74) المحدث الحافظ الواعي محمد المدني بن الحسيني ص 136 إلى 147 .

وإنه وإن كان من دأبي أن لا أتقدم إلى مثل هذه الميادين التي لا يركض فيها إلا القليل من الرجال وهم من شابت ذوائبهم في حياة المعرفة والتجربة، وتورت قلوبهم بنور الحكمة ، وتفتقت الستهم بسحر الإبانة ، وتوفرت فيهم أسباب الإسناد والاتصال ، وتوثقت بهم معاهد الإيمان والعرفان .

وإني وإن كنت دون ما سألت في الوزن والقيمة ، وكانت حياتي على أبسط بساط متواضع ، فقد تحاملت في استجابة رغبتك ، وتحاميت كل ما يمنع من قبول طلبتك حتى لا يحجب ظنك ، ولا يضع أملك ، اعتماداً منا على فضل المنان الوهاب ، الذي يلقي الأبواب ويهدي إلى الصواب مع رجاء عدم الإلحاح في السؤال والإغراق في المدح والإطراء .

وبعد أن ترددت وتشككت في إنجاز الأمر غالبت نفسي وعاتبته خشية أن يكون ذلك من جفائها ، ومن لؤمها، ثم تحركت مشفقاً على نفسي ومستعيناً بربي فقلت :

أجزت الفقيه الكريم ، والأديب السليم السيد الأستاذ يوسف بن مولاي ابراهيم الكتاني في سائر فروع الدين وأصوله وفي جملة وسائله ومسائله ، وفي جميع المعارف التي تلقيتها من الأشياخ والأعلام - والتي استنبطتها من بطون الأوراق ودفاتر الخذاق، وما فتح به عالم الغيب والشهادة من فوائد المواهب ، وعوائد المكاسب - إجازة تامة وعامة مطلقة ، أجزته بمثل ما أجزت به من قبل أشياخي المعتمدين الذين كنت اصطفتهم لاصلاح نفسي وربطت المستقبل بهم تكييفي وتثقيفي حتى ، نجوت بحمد الله من الغرور والغلط ، وسلمت بحول الله من الفضول والشطط ، وخير الثقافة ثقافة الدين ، وخير الحضارة حضارة الروح ثم الشرط الأكيد الذي ليس عليه من مزيد هو الإقامة على التقوى والبراءة من الدعوى والسلامة من تزكية النفس ، فإن الظهور يقضم الظهور

وإن الرضا عن النفس من امارة السقوط والهبوط ، ومن علامة الاستدراج والخذلان ونعوذ بالله أن نكون من المستدرجين ومن الساقطين وإياك أن تكيد لك نفسك أو يغريك عملك - فإذا آمنت بالله فاستقم وإذا قلت فلا تقل إلا ما تعلم ، وإذا عملت فاجتهد أن تخلص عملك من النقائص والشوائب التي تسبب في الإفلاس ، وإذا اعتمدت فلا يكون الاعتماد إلا على الله القادر على إيجادك وإعدادك ورعايتك وحمايتك ونصرتك ولا تكن مع الشيطان أبداً .

ومن كمال العناية بموضوع إجازتك أنني أهدي اليك سنداً عالياً لصحيح البخاري وهو عن الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي ، عن سليم البشري ، عن الشيخ منة الله ، عن الشيخ الأمير ، عن أبي الحسن الصعيدي عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي ، عن الشيخ حسن العجمي ، عن أحمد بن العجل اليمني ، عن الشيخ إبراهيم بن صدقة الدمشقي ، عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغاني ، عن أبي عبد الرحمن محمد بن شاذيخت الفرغاني ، عن يحيى بن عمار الختلائي ، عن محمد بن يوسف الفربري عن أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله ورضي عنه وأرضاه .

هذا ، ونسأل الله عز وجل أن يهدينا وإياك الى طريق الخير وسبيل الرشd ويتولى أمرنا فيقينا من دعاوي الصدر ، وعوادي الدهر ، وفساد الأمر ، والله على كل شيء قدير .

كتبه عبد الله تعالى الرحالي الفاروق
عميد كلية الدراسات العربية
مراكش

6 - بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله الذي فضل سيدنا محمداً على جميع أنبيائه ورسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فبلغ ما أمر به حتى مضى لسبيله ونقل إلى رفيع محله وأمر بتبليغ ما بلغه إلى من يبلغه ليدوم اتصال نقله فبلغ عنه جهابذة النقلة وقاموا بأعباء حمله ونصحوا الله ورسوله في نشر ذلك حتى انتشر فلا يعذر الجاهل في جهله فكان اتصال هذه الشريعة المطهرة بالأسانيد مما خص الله هذه الأمة بفضله، والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه من خلقه وعلى جميع آله وصحبه .

أما بعد ، فقد سمع مني ثلاثيات الإمام البخاري الأديب الأريب العلامة الشيخ محمد بن أبي مدين الشنيطي في جمع كريم بدارنا ضم نخبة كريمة من العلماء والشرفاء وطلب مني أن أجزه بها وسندي إلى البخاري فأجبت رغبته ولبيت طلبته وأجزته بها وسندي إلى الإمام البخاري وأتحفته بنسخة عزيزة من الثلاثيات نفعا الله جميعاً بها خاصة وقد ذكر العلماء أن لهذه الثلاثيات المستخرجة من صحيح البخاري فضائل حمة وفوائد جلية ففيها علو السند والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كلما كان رجال السند أقل كان السند عالياً ويكون الراوي أقرب الى النبي عليه الصلاة والسلام وأقرب إلى قرنه الشريف وهي أعلى ما في صحيح البخاري .

ومن فضائلها ومزاياها أن من قرأها في شدة فرج الله عليه ومن توسل بها اليه في حاجة أحاب الله دعاءه كما دلت على ذلك وشهدت به التجربة .

المبحث الثالث

الاستدعاء

تعريف:

لما كانت الإجازة في العلم رأساً كبيراً وكثيراً كما يقول أبو عمر بن عبد البر⁽¹⁾ كان طلبها من شأن أهل العلم كما ذهب إلى ذلك ابن قنفذ⁽²⁾ «للابقاء على رابطة الإسناد التي هي أقوى ما يلجأ إليه في الإسناد وأجل ما يكون إليه الركون وعليه الاعتماد خصوصاً في أمور الدين وما يرجع لعبادة رب العالمين وتكاثر كلام السلف الصالح ذوي الهدي الواضح ترغيباً فيه وحثاً وحفزاً للهمم الطامحة وبعثاً...»⁽³⁾.

لذلك كان من سنة علماء الحديث طلب الإجازة في القديم والحديث حرصاً على بقاء الإسناد ومحافظة على الشريعة الغراء إلى يوم التناد⁽⁴⁾.

وهو مظهر لمقدار اهتمام كبار العلماء والعارفين بالرواية واهتمامهم بتعمير أسواقها ودورانهم على رجالها وأئمة أدوارها «كما أكد ذلك الشيخ عبد الحي الكتاني»⁽⁵⁾.

(1) فهرس الفهارس 51 / 1.

(2) كتاب شرف الطالب - فهرس النهارس 53 / 1.

(3) إجماع الإجازة المحدث المدني بن الحسيني للفقير الفاطمي بن الحاج السلمي «تحاف دون العلم

والرسوخ».

(4) الدر والعقيان لابن رحون.

(5) فهرس الفهارس 233 / 1.

أما سندي إلى صحيح البخاري فقد حصل لي من طرق متعددة بالسماع والقراءة والإجازة الخاصة والعامة والمكاتبة والوجادة فأقول وعلى الله أتوكل: أروي صحيح البخاري عالياً من والدي الشيخ إبراهيم الكتاني عن عمه الشيخ عبد الحي الكتاني عن المعمر أحمد بن المنلا صالح السويدي عن السيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني عن المعمر محمد بن سنه الفلاني عن الشيخ أحمد بن العجل اليميني عن القطب النهروالي عن أحمد بن أبي الفتوح الطاوسي عن المعمر بابا يوسف الهروي عن محمد بن شاذ بخت الفارسي الفرغاني عن يحيى بن شاهان الختلافي عن محمد بن يوسف الفربري عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري روح الله تعالى روحه وأعلى في عوالي الفردوس بحبوحه.

فبيننا وبين البخاري اثنتا عشرة واسطة وبيننا وبين النبي ﷺ باعتبار ثلاثيات البخاري ست عشرة واسطة وهذا السند أعلى ما يوجد الآن ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس.

موصياً السيد المجاز ونفسي بالتثبت في النقل والفهم وأن يخلص لله تعالى في العلم كما أوصيه وإياي بتقوى الله تعالى فهني ملاك الدين ومأوى قلوب المهتدين وأن لا ينساني من صالح دعائه في خلواته وجلواته سائلاً الله أن يديم عليه نعمة الصحة والعافية وينفع به ويوفقني وإياه وذويه ومحبيه والمسلمين لما يحبه ويرضاه آمين.

وكتبه بالرباط عبدربه يوسف بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد الكتاني، كان الله له وتولاه في 3 جمادى الثانية عام 1397 الموافق 22 مايو 1977.

وإن طلب الإجازة وهو ما يعرف في الاصطلاح بالاستدعاء الذي يوجهه المستجيز إلى الشيوخ والعلماء والمحدثين طالباً منهم الإجازة في علم من العلوم أو سند من الإسناد طريق سلوكها من أهل العلم الأولون وتبعهم الآخرون وكما يكون طلب الإجازة من الأعلى يكون من المساوي والدون .

أقسامه

هناك قسمان من الاستدعاءات :

1 - استدعاءات يوجهها المستجيزون للعلماء يطلبون منهم الإجازة العامة في المسموعات والمرويات المقروءات بدون تحديد لكتاب أو فهرس أو سند بعينه مثل الاستدعاء الذي كتبه محمد بن الحسن الجنوي للشيخ محمد بن قاسم جسوس لاجازته بجميع مسموعاته ومروياته ومقروءاته ⁽⁶⁾ .

2 - والنوع الثاني من الاستدعاءات وهو الذي يوجهه المستجيزون إلى الشيوخ والمحدثين يطلبون منهم الإجازة بنوع خاص من الفهارس، أو بكتاب معين أو بسند بعينه وذلك كالاستدعاء الموجه من أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر القاسبي إلى والده يستجيزه لنفسه ولمن شملته إجازته من قبل أن يروي عنه بخصوص أسانيد الفهارس واتصال أسانيده إليها بالإجازة العامة والخاصة من تخصيص إسناد الصحيحين من طرفها بعد سماعها عليه الخ .

وكان هذا الاستدعاء مؤخراً في سنة 1083 ⁽⁷⁾ .

وكما تكون الإجازة نثرية ونظمية كما رأينا سابقاً كذلك الاستدعاء

يكون نثراً ونظماً .

نورد هنا نماذج متعددة من عيون الاستدعاءات التي وجهها العلماء مستجيزين إخوانهم المحدثين سواء من المغرب أو من المشرق .

نماذج وأمثلة من استدعاءات العلماء والمحدثين :

نورد هنا استدعاءات نظميه ونثرية مختلفة :

1 - من ذلك الاستدعاء الموجه من الفقيه محمد بن علي المرتبي المراكشي يستدعي فيه الإجازة من علماء فاس . قال : ⁽⁸⁾

أيها السفر أمهلوني قليلاً	انظروني سقيتم السلسبيل
أمهلوا سيركم أكون رفقياً	ودليلاً اذا فقدتم دليلاً
أمهلوا سيركم أجيء بنور	منه يحكي الظلام الفين ميلاً
أقبس الضوء من شمس تبدو	في سماء العلا جليلاً جليلاً
أشيوخ لكم فضائل جلت	أمكم خادم ضعيفاً عليلاً
أمكم مفرداً غريباً فقيراً	زودوه فقد أراد الرحيل
زودوه من الدعاء بخير	أمنوه لكي يجوز السبيل
روجوا درهماً نحاساً أتاكم	واطبعوه ليستحيل فضيلاً
ناولوه إجازة وارحموه	فلقد كان ينتحيكم طويلاً
لا عدتم جلاله ثم جاهاً	وحللتهم في الحشر ظلاً ظليلاً
أنتم قادة لكل جهول	أنتم حقاً تخلفون الرسول
وعليه من الرحيم علا	وسلام مكرر مستطيلاً

فأجابه الشيخ حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج بقوله : ⁽⁹⁾

(6) الاعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الاعلام 95 / 6 و 96 .

(7) المنح البادية في الأسانيد العالية - فهرس النهارس 160 / 2 - 161 .

(8) الاعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الاعلام 133 / 6 و 134 .

(9) المصدر السابق ص 134 .

أيها المستجيز من ليس أهلاً
وبعلم البيان قد لاح سعداً
قد أجزناك دمت تزدد ريا
لك مراكش تنادي اشتياقاً
بك تعلقو الحمراء يا بن علي
نسأل الله أن يبينك فيها
قبله البحتري معنى صقيلا
وينحو والفقہ ضاهى خليلا
من علوم وردتنا سلسبيلا
أيها المغتدي لنا سلسبيلا
فتقدم لها نبهاً نبيلاً
قمرأ طالعاً زماناً طويلاً

2 - ومن ذلك الاستدعاء الموجه من الفقيه محمد بن الحسن الجنوي المؤرخ في 1200 هـ للشيخ محمد بن قاسم جسوس ونصه: الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

يتفضل سيدنا علامة الزمان ووحيد الأوان ، فريد عصره ووحيد مصره ، الهمام الأسنى المحترم ، ذو الشئائل المرضية ، والأحوال السنية ، شيخ الجماعة بفاس ، شيخنا وسيدنا محمد بن قاسم جسوس ، جعلنا الله وياه من أهل وده ومتعنا وياه بأنيسه بالإجازة لهذا المذنب الفقير إلى عفو ربه ، المترامي على أبوابه وإن لم يكن لذلك أهلاً ، محمد بن الحسن الجنوي في جميع مسموعاتكم ومروياتكم ومقروءاتكم عسى الله أن ينشر نفحات الرحمة من تلك السلسلة وأن تهب علينا من جهتك ريح طيبة ، والصلاة والسلام على سيدنا وآله وصحبه .

ثم اختتم استدعائي بأزكى السلام عليك وأكملته منشداً قول الشاعر : « بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله والسلام » .⁽¹⁰⁾

3 - ومن هذا القبيل الاستدعاء الموجه من الفقيه محمد بن ابراهيم السباعي إلى شيخه محمد الصادق العلوي ونصه .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه:

(10) الأعلام بمن حل بمراكش وأغيات من الأعلام 6/ 95 و 96 .

حمدت مجيز من أحب بسرعة
واثني على مفتاح أخذ النجائح
فمن فرعه أرجو نسيم اقتفائه
صراطاً له كالبرق ثم برتبة
محمد المبعوث خير البرية
ومن بحر أبغي الشراب بغرفة
فأجابه الشيخ بما نص المقصود منه :

فلله ربي الحمد ما دام فضله
وصل وسلم ثم بارك على الذي
وآله والصحب الكرام ومقتف
مجزاً للاستدعاء أكمل منيتي
لموصول دينه استناد البرية
لأثارهم صدقاً بحسن الطوية
ثم قال :

ولكن أجزتكم لصالح قصدكم
صحيح البخاري ثم جامع مسلم
شئائل خير الخلق ثم أجزتكم
أبي رحمت الله تنعم روحه
جميع دراياتي وكل رواياتي
موطأ الإمام والشفاء لعله
بكل سماع من جميع مشيختي
بروح وريحان بأرفع جنة
إلى أن قال:

كذلك الذي سمعته وأجازني به غيره حقاً شيوخ أجلة

« وبه كتب راجياً جميل عفو مولانا وستره ، عبيد ربه ، محمد الصادق بن محمد الهاشمي بن محمد بن الحسن بن الحفيد بن أبي قاسم ابن الحسن بن يوسف بن علي الشريف الحسني والإجازة أعلاه للمستدعي المذكور وهو سيدي محمد بن ابراهيم السباعي أسعده الله بسلامة الدنيا وكرامة الآخرة إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير »⁽¹¹⁾ .

4 - ومن عيون ما يذكر في هذا الباب الاستدعاء الذي وجهه

11 الأعلام بمن حل بمراكش وأغيات من الأعلام ج 7/ 195 و 196 .

المحدث المدني بن الحسيني إلى الشيخ عبد الحلي الكتاني مستجيزاً :
« بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق
والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، واهادي إلى صراطك المستقيم وعلى
آله حق قدره ومقداره العظيم .

« الحمد لله عجيز الخلق مجيزهم ومعينهم ، ومولاهم وناصرهم ،
الذي يميز المستجيز لفضله ، ويغنى عنه من نعمه الغزيرة ما يستحقه
بفعله هو المنعم الفضال ، الكبير المتعال والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد السند الصحيح المرسل من لباب المجد الصريح ، وعلى آله
أكرم عشيرة وأفضل قبيلة ، وأصحابه الذين مهدوا الدين ونقلوا لنا
السنة حتى وصلت عنهم إلى أهل هذا الجيل صلاة وسلاماً يدومان على
التأييد ما اتصلت الرويات بالأسانيد ، أما بعد فإني كنت قبل أيام
حضرت في المجالس البهية والدروس الشهية التي يحق لطلاب الأثر
والحديث أن يضربوا إليها أكباد الإبل بالسير الحثيث لتيمة الدهر ونابهة
هذا العصر المحدث الحافظ المسند الرحالة الناقد المجد الفقيه النحرير
الألمعي الأديب الأريب اللوذعي ، خلاصة أسماء الرجال المحلي بتذهيب
الكمال ، فذل لك الحساب وميزان الاعتدال لأولي الألباب ، الممد بفتح
الباري من فيض فضله الجاري ، حضرة السيد السند العمدة في الحديث
والسنة سلاله أشرف فضيلة وأكرم حي أبي الإسعاد سيدي عبد الحلي
نجل العالم الكبير سيدي عبد الكبير الكتاني الأثري .

(اضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه)

لما كان يقرأ جامع إمام الفن ، وعمدة الحفاظ في كل قرن أبي
عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه .

علا عن المدح حتى ما يزان به كأنما المدح من مقداره يضع
له الكتاب الذي يتلو الكتاب هدى هدي السيادة طود ليس ينصدع

الجامع المانع الدين القويم وسنة الشريعة أن تغتالها البدع
قاصي المراتب داني الفضل تحسبه كالشمس يبدو سناها حين ترتفع
ذلت رقاب جماهير الأنام له فكلهم وهو عال فيهم خضعوا
لا تسمعن حديث الحاسدين له فإن ذلك موضوع ومنقطع
وقل لمن رام يحكيه اصطبارك لا تجعل أوان السذي يبغيه ممتنع
وهبك تأني بما يحكي شكاكته أليس يحكي عجايا الجامع البيع

وعلي علي من الأمالي التي بهرت المحب والقالي ما هو لإحياء موات
القلوب أشهى من الرحمة الغيثية لأنه من محض المواهب اللدنية :

معان لبست ثياب الجمال وهزرت لها الغانيات الدودا
كسوت عبيد أثياب العبيد وأضحى لبسها بليدا

فابتهجت به نخبة الفكر واكتحلت بأئمة ، عيون الأثر لما اشتمل
عليه من تسديد القوس والإصابة وتبصير المنتبه من أهل النجاة حتى
يفوز الطالب مع المقاصد الحسنة بنيل الأوطار من أسرار متقي الأخبار إذ
هو معونة وعمدة القاري وهدى وارشاد الساري بما يليق من الدر المنثور
على الخاصة والجمهور مع تعريف أهل التقديس بما يوجب توالي التأييس
فسمعت عليه اذ ذاك بعض الصحيح ، كما سمعت مسلسل المصريين ،
من لفظه الفصيح ، ومن هناك والتشوف مني لاستجازته يزيد وينمو ،
والتشوق إلى الاتصال بمصنفات السنة من طريقه يتصاعد ويسمو ،
وبقيت أقدم رجلاً وأوخر أخرى في الإقدام على طلب هذه المنة الكبرى
علماً مني بضعفي عن الأهلية لنيل هذه الأمانة إلى أن أسعدني الحظ
والجد والله تعالى الحمد بلا حصر ولا حد بالاجتماع به في ليلة هي الغرة في
جبين الدهر والدرة الثمينة في قلادة ذلك النحر فقابلني بما جبل عليه من
لين العريكة وحسن الشيم والتنزل الزائد الذي تقتضيه طهارة الخيم
وعلو الهمم .

« وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام »

فقوي العزم على هذا الطلب مؤملاً من الله تعالى نيل الأرب، فأقدمت إقدام الآتي غير أبي وقدمت هذه الألوكة اليكم طالباً الاتصال من أسانيدكم لأن الإسناد من الدين بالمرتبة العليا والمكانة السامية التي تتضاءل دونها الثريا ، حسبما صرح به السلف ومن على نهجهم من الخلف، ففي ديباجة ثاني كتب الصحة لأبي الحجاج القشيري النيسابوري عن عبد الله بن المبارك المروزي رضي الله عنهما قال : الاسناد من الدين إلى آخره فليفضل سيدنا مسند العصر الحائز لألوية النصر بإجازته لي إجازة تامة عامة في كل ما له واليه من الفهارس والمسلسلات وكتب الصحيح والسنن وما يرجع لها وبسائر أسانيدهم وجميع مصنفاته على اختلافها وتنوعها ومما أسند ، الحافظ في آخر الفتح والقسطلاني في آخر الإرشاد والسيد محمد مرتضى الحسيني في شرح الأحياء مراراً من حديث عائشة أم المؤمنين ما جلس رسول الله ﷺ مجلساً إلا ختم بكلمات سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك إلى آخره .

« والله يقيقك لنا سالماً يرداك تبجيل وتعظيم »

وينعم علينا بالانخراط في هذا المجال ويختم لنا بما ختم به لأهل الكمال آمين » .

في آخر ربيع الأول عام 1332. محمد المدني بن الغازي بن الحسيني كان الله له بمنه آمين.

(5) ومن هذا القبيل الاستدعاء الموجه من الشيخ محمد حبيب الله بن عبد الله الخنكي ما يابا للشيخ عبد الحي الكتاني طالباً منه أن يميزه بمروياته ومسنداته ومجموعاته وخصوصاً ما اتصل به من الفهارس والإثبات ،

(12) الحافظ الواعية محمد المدني ابن حسني ص 33 - 36 .

وهذا الاستدعاء مؤرخ في محرم سنة 1342 ونصه (13) :

بسم الله الرحمن الرحيم .

إنه السلام التام وغاية التحية الطيبة بالدوام من عبد الله محمد حبيب الله ابن الشيخ سيدي عبد الله بن مايبا الحكني نسباً الشنجيطي إقلياً المدني مهاجراً المكي وطناً. خادم تدریس العلم بالمسجد الحرام تقبل الله أعماله إلى العالم العلامة المحدث الأثري الحافظ الحجة الناقد ذي المآثر العديدة والتأليف النافعة المفيدة (الشيخ عبد الحي الكتاني) جمعنا الله وإياه في دار التهاني والأمانى أوجبه أنه لما كان العلم من بين ذويه أعظم رابطة، وقد تعارفت بالسيد السند محمد بن سيدي جعفر الكتاني ابن عمكم الشهير وانتفعت به وأخذت منه إجازات عديدة دعاني ذلك الى محبة جميع هذه العائلة الكريمة ولما كنت واسطة عقدتها في الاسناد وسائر العلوم التي عليها في الديانة الاعتماد أحببت أن أستجيزكم بالمراسلة وأبين صورة طلبتي لهذه الاجازة فهي أني أحب أن أجمع ثبوتاً متصلاً بجميع الاثبات المعروفة في الدنيا على طريق الاختصار أحب الاعانة من جنابكم بإجازة لي منكم جامعة لما في حفظكم مما اتصلت به أسانيدكم من الاثبات المعبر عنها عند المغاربة بالفهارس فإنني رأيت رسالتكم في البسملة المطبوعة بالأمرية وقد ذكر معها أسماء بعض مصنفاتهم الحسان ومن جملتها ثبت لكم ولا شك أنه يكون جامعاً لكثير من مرادي فأحب أن ترسلوا لي نسخة منه عليها خطكم الشريف بإجازتكم لي جميع ما في حفظكم مما اتصلت به أسانيدكم من الاثبات المعبر عنها عند المغاربة بالفهارس فإنني رأيت رسالتكم في البسملة المطبوعة بالأمرية وقد ذكر معها أسماء بعض مصنفاتهم الحسان ومن جملتها ثبت لكم ولا شك أنه يكون جامعاً لكثير من مرادي فأحب أن ترسلوا لي نسخة منه عليها خطكم الشريف

(13) فهرس الفهارس 7/1 - 9

بإجازتكم لي جميع ما اشتملت فهرستكم المعبر عنها بالثبوت وأخصص من ذلك أن تكتبوا لي إجازة صورتها ثبت فلان أرويه عن فلان عن فلان عن فلان عن مؤلفه وقد أجزتكم بجميع ما اشتمل عليه حتى تجمعوا لي ما أمكنكم من إثبات العلماء القدماء والمتأخرين وإن تداخلت فلا ضرر بذلك التكرار فإني أريد به الإعانة على هذا المقصد الشريف وأحب أن تكون لكم فيه معونة وقد أرسلت من مكة لسدي محمد بن سيدي جعفر فكتب لي اتصال اسناده بنحو خمس وخمسين ثبوتاً وقد جمعت أنا قبله نحو السبعين فجميع ما أفادني فيه زيادة نحو سبعة إثبات وقد فرحت بها جداً ونفعتني في مرادي غاية سواء المكرر مع ما عندي وغيره ونحو هذا أو أزيد أرجوه منكم وكذا ثبت فلان أرويه عن فلان عن فلان عن مؤلفه وقد أجزتكم بما فيه وثبت فلان أرويه عن فلان عن فلان عن مؤلفه بجميع ما فيه وقد أجزتكم بذلك كله وهكذا إلى أن تأتوا على ما أمكنكم من الإثبات ولا شك أنكم جامعون لأسانيد المشاركة والمغاربة وترسلوا لي هذه الإجازة النافعة ولم أطلبها من غيركم لحسن ظني بكم في هذا المعنى وغيره وبالأأسف لم أقابلكم قط لأن زمن أخي الشيخ محمد الخضر بفاس كنت أنا بمراكش ومنه انتقلت للمدينة المنورة وتأخرت بطنجة أشهراً قلائل عنها لكن قد قال القائل :

(إنّا على التناهي والتفرق لالتقي بالذكر إن لم نلتق)

(وترجمتكم وفضائلكم) عندي محفوظة وقد أرسلت لكم على يد السيد أبي القاسم الدباغ ثلاث رسائل مما طبع من مصنفاتي (إحداهما) منظومة تقرب الالف سميتها دليل السالك إلى موطأ مالك بينت فيها صحته ومساواته لصحيح البخاري ورجوع الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح عما اعتمده من ترجيح البخاري عليه في مقدمة فتح الباري وجعلت له خاتمة في مباحث أصولية جداً وأظن أنه يناسبكم كله

الآ ما ملئت إليه من ترجيح السند. فعسى أن تكفر حسناته عندكم سيئاته كما هو شأن الكرام وقد كتب لي سيدي محمد بن سيدي جعفر فيه ما نصه : كل تأليفكم هذا من أوله إلى آخره صحيح عندي الآ ما رجحتموه من ترجيح السند فقلت له إني إن شرحتة وظهر لي ما يردني عن ذلك وأرجح به القبض رجعت في الشرح ولا غرابة في مخالفة شرح لمتنه وإن أردتم أنتم الآن فأشرحوه وتعقبوا سبب السند بما عندكم فلا غرض لي إلا ظهور الحق الواضح (الرسالة الثانية) في أصح ما ورد في المهدي وعيسى عليهما السلام (والثالثة) في اتصال سندي بالمصافحة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد كتبت لكم الإجازة في ثاني ورقة منها من باب رواية الأكابر عن الأصاغر ولعلنا نجتمع إن شاء الله بالحرمين فتكون حقيقة ونقتبس من أنواركم أوفر نصيب ، هذا وعنواني إن أردتم مكاتبتني : الشيخ محمد حبيب الله بن مايبا الشنجيطي المدرس بالمسجد الحرام والأولى الإرسال للإجازة مع الحجاج إن تيسر ذلك وإعلامي في البوصطة بقبولكم لطلبي منكم جزيتم خيراً. كتبه منتصف المحرم الحرام سنة 1342هـ محمد حبيب الله بن الشيخ بن مايبا خادم نشر العلم بالمسجد الحرام وفقه الله آمين .

(6) ومن ذلك الاستدعاء الموجه من المحدث المدني بن الحسيني لشيخه البطاوري يستجيزه نظماً في فهرس الدمناني البجمعي وقد افتتحه بمدح الشيخ وتعداد مناقبه قال ⁽¹⁴⁾ :

« الحمد لله مستحق الحمد والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ذوي النهج الأرشد الأحمد أما بعد فالعود أحمد :

سلام كنفع الند أو عبقة المسك أو الطيب فاح من شذا الحرم المكي

(14) شيخ الجماعة العلامة محمد المكي البطاوري . شخصيات مغربية رقم 3 ص 22 و 23 .

إلى شيخنا قطب العلوم بأسرها
رئيس الشيوخ فخر ذي العصر فرد
أكب على درس المشايخ كلهم
ولم يأل في جمع الفوائد ناظماً
فصار رئيس العصر في العلم كلهم
ودام على تدريس مختصر الرضى
أفاد عبيراً من تعابيره التي
وفاق بحسن الدرس في كل مجلس
فإن فاه خلت الدر من فيه لامعاً
فخيم أخى واجعل حماء مؤملاً
أيا شيخنا البحر الغزير ومن غذا
انخت رحالي طالبا من علاكم
وذاك ببدر الغرب من فخرت به
أبي الحسن الرضى نسيب الذي علا
فاسعف واسعد وامنحني إجازة
(بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله

أبي حامد بدر العلا سيدي المكي
إمام المعالي حازها الكل بالملك
فهاز بفتح باهر ليس بالآفك
عقود لآل منها في زينة السلك
إلى نوره يعشوا من الموقف الضنك
خليل وتلخيص مع الجمع للسبكي
تضوع منها النشر بالدرس والسبك
على غيره إذ قد أجاد لدى الفك
بل النور منه ساطع في دجا الشك
وعول على عليه في الفعل والترك
به غربنا يزهو على العرب والترك
إجازتكم في الفهرس العطر المسك
على غير هادمنات في الرفع والسبك
وضم شتيت العلم بالفتح والنسك
تعم جميع الذي حواه لدى الصك
وهذا دعاء) بالاجابة دون شك

وكان هذا الاستدعاء بتاريخ ١٥ صفر الخير عام 1330.

الفصل الرابع

شيوخ مدرسة البخاري بالمغرب

نماذج من سندا مغاربة إلى صحيح البخاري
سلسلة الذهب الحديثية المغربية
قراء البخاري وحفاظه ونسأخه

المبحث الأول

شيوخ مدرسة البخاري بالمغرب

هذه نماذج رائعة وأمثلة رائدة ومعالم كبيرة لأجيال متعاقبة من علمائنا ومحدثينا وشيوخنا تخصصوا في العلوم الإسلامية وخاصة الحديثية منها وتفننوا فيها ونبغوا فيها وأبدعوا أحسن إبداع ، وتفننوا أجمل التفنن وأحسنه بعد أن وقفوا حياتهم وجهودهم على أهم كتاب في الإسلام بعد القرآن وهو الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري رحمه الله فتفرغوا لسماعه واسماعه وقراءته وأقراءته ودراسته وتعليمه والكتابة عليه والتأليف فيه متناً وسنداً رواية ودراية .

وامتاز هؤلاء الشيوخ بالتفوق والنبوغ فيه والابداع في الكتابة عليه وحفظه مما جعلهم فرسان الميدان والرواد والمجلين في المجالس ونعت أغلبهم بالحافظ والمحدث والراوي وكان منهم شيخ الجماعة في وقته والمبرز فيه في عصره وزمانه .

وقد سجل هؤلاء الرواد وخلدوا بما كتبوا وأبدعوا حول الجامع الصحيح من شروح وتعليق وحواشي وترجمات وافتتاحيات وختمات وبما نظموا من قصائد وأشعار أروع صفحات تاريخنا الفكري والحضاري مما يزخر به تراثنا النفيس وتمتلىء به جنبات خزائنا الخاصة والعامة ما يعد شاهد إثبات ودليلاً قاطعاً على مدى عناية المغاربة بصحيح البخاري عناية مستمرة متصلة لم تنقطع ولم تفتقر إلى اليوم مما جعل له المقام الأعلى بعد كتاب الله في حياتهم الاجتماعية والفكرية والسياسية جميعها .

إلا أنني مخافة التطويل والملل آثرت أن اقتصر في هذا البحث على نموذج أو نموذجين من كل جيل منذ عرف المغاربة صحيح البخاري بدءاً بأبي محمد الأصيلي الذي كان له فضل الريادة والسبق في هذا الميدان إلى العصر الحاضر حيث ما زال الصحيح يحتل في حياتنا المكانة المرموقة والمقام الرفيع .

فقد ترجمت في القرن الرابع الهجري لأبي محمد الأصيلي وفي القرن الخامس الهجري لأحمد بن نصر الداودي ولأبي عمران الفاسي ولابن بطلال وللإمام الباجي ، وترجمت في القرن السادس للإمام الصدي ولابن سعادة وليمون بن ياسين وللقاضي عياض ، وفي القرن السابع ترجمت لابن القطان بينما اقتصر في القرن الثامن على ابن رشيد وفي القرن التاسع ترجمت لزروق وفي القرن العاشر لابن غازي والجنوي والمنجور وفي القرن الحادي عشر ترجمت للقصار والعارف الفاسي وعبد القادر الفاسي بينما ترجمت في القرن الثاني عشر للتاودي بن سودة وحمدون ابن الحاج والكوهن ومحمد بن المدني كنون وترجمت في هذا القرن لأحمد ابن موسى وأبي شعيب الدكالي ومحمد السائح والمدني بن الحسيني والرحالي الفاروق .

هذا بالإضافة إلى الشيوخ المحدثين الذين ترجمت لهم ضمن فصل الزوايا ودورها في نشر الصحيح بالمغرب .

الأصيلي

هو الإمام الفقيه المحدث الحافظ رؤوية البخاري الشهير أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأصيلي ⁽¹⁾ نسبة إلى مدينة أصيلا المعروفة بالمغرب .

وقد ذكر القاضي عياض في المدارك عن ابن الخذاء أن جده كان من مسلمة أهل الذمة وبالتالي يكون نسبه في بني أمية بطريق الولاء ⁽²⁾ .

ويذكر المؤرخون عن أبيه إبراهيم أنه كان أدبياً شاعراً وكان يقيم بالأندلس للعمل بها وراقاً بمكتبة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر خليفة قرطبة الشهير طوال ولايته سنة 342 هجرية ، ولعل ثقافة والده وعمله ومكانته كان لها جميعاً الفضل في توجيه ولده منذ صباه إلى الطلب والتحصيل والرواية .

فبعدما حفظ القرآن وأوليات المعارف في بلده توجه إلى قرطبة وهو ابن ثماني عشر سنة وكانت وجهته الأولى لطلب العلم والأخذ عن

(1) انظر ترجمته في :

تذكرة الحفاظ 3 / 1024

وجذوة المقتبس ص 239 - 240

ومعجم البلدان 1 / 278

وفي الانساب 1 / 296 - 297

وتاريخ العلماء والرواة بالأندلس ص 290

شجرة النور الزكية ص 97

الفكر السامي 3 / 121 - 122

(2) تشكك قوم في مغربته وزعم آخرون أن أصله من الأندلس ورحل به أبوه إلى أصيلا : ياقوت في المعجم وعياض في المدارك والصالفاني .

شيوخها وعلمائها وقد كان ذلك سنة 342 هـ⁽¹⁾ حيث سمع من شيخها اللؤلؤي وأبي إبراهيم كما سمع أحمد بن حزم وابن الشاط الأنديسي والقاضي ابن السليم وابن الأحمر وابن عيسى ونظائرهم.

ثم توجه الى وادي الحجاره فأخذ من ابن مسرة الحجازي وسمع ببجاية من ابن مجلون، ثم رحل الى الشرق حوالي سنة 351 هـ. فلقى شيوخ افريقيا وأخذ عنهم كأبي العباس الأبياني التونسي وأبي العرب التميمي وعبد الله بن أبي زيد القيرواني الذي أخذ بدوره عنه⁽²⁾.

ثم رحل إلى مصر فسمع بها من القاضي أبي طاهر الدهلي وابن رشيق وحمزة الخافظ وأبي اسحاق بن شعبان ومحمد بن عبد الله النسابوري وغيرهم، وحج سنة 353 فلقى بمكة أبا بكر زيد المروزي وسمع منه البخاري كما أخذ عن أبي بكر الأجري، وبالمدينة أخذ عن قاضيه أبي مروان المالكي، ثم رحل الى بغداد فلقى بها الأبهري رئيس المالكية فأخذ كل منهما عن الآخر وسمع من الدارقطني كما سمع منه هو أيضاً وحدث عنه في كتابه في الرواة عن مالك كما سمع بها أيضاً من أحمد بن يوسف بن خلاد وأبي علي الصواف وأبي بكر الشافعي.

كما سمع بها عرضته الثانية في البخاري من أبي زيد المروزي ومن أبي أحمد الجرجاني وهما شيخاه في رواية البخاري وعليهما يعتمد.

وقد أطل المكثر والمقام في المشرق وأكثر الجمع والرواية والأخذ حتى نيفت رحلته على ثلاثة عشر عاما فكثير شيوخه واتسعت روايته وتبحر في علوم الحديث حتى عد في الرواة الأولين لصحيح البخاري.

كما تميزت رحلته بأن أغلب شيوخه أخذوا عنه كما أخذ عنهم وتدبج معهم مما يدل على جلاله قدره وسعة علمه⁽³⁾.

(3) ابن الفرضي.

(4) الأصيلي: ذكريات مشاهير رجال المغرب ص 11

(5) نفس المصدر ص 12

ثم عاد من رحلته الى الاندلس وتسايق الناس إليه والتفوا حوله طلبا لعلمه والرواية عنه والسماع منه فكثير تلاميذه، والآخذون عنه نذكر منهم: أبا عمران الفاسي وابن الحذاء والمهلب بن أبي صفرة وأخاه محمد وعيسى بن سعادة وأبا المطرف الانصاري وأبا محمد الطليطي وغيرهم كثير.

وسمع الحكم بعلمه وفضله فدعاه غير أنه لما وصل قرطبة توفي الحكم فأقام بها يحدث الناس صحيح البخاري حتى اشتهر أمره وطار صيته فقربه المنصور بن أبي عامر ونوه به وأجرى عليه الأرزاق وجعله من أهل الشورى وما زال يترقى عنده حتى أصبح من أهل الرئاسة والشفوف كما أكد ذلك أبو إسحاق الشيرازي.

ثم ولاء المنصور قضاء سرقسطة إلى مدة ثم أعاده الى قرطبة كسالف عهده رئيساً للعلماء وأهل الشورى⁽⁶⁾.

وقد ترك الإمام الأصيلي آثاراً علمية وكتباً مهمة نذكر منها على الخصوص: «كتاب الدلائل على امهات المسائل».

وهو في خلاف مالك وأبي حنيفة والشافعي.

وله أيضاً نوادر حديثية في خمسة أجزاء والانتصار ورسالة الرد على ما شذ فيه الاندلسيون ورسالة المواعيد المنتجة من الله تعالى في كتابه لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وهذه ذكرها ابن خير في فهرسته ورواها بسنده إلى الإمام الأصيلي⁽⁷⁾.

على أن أعظم أعماله العلمية هي روايته لصحيح البخاري في

(6) النبوغ المغربي 1 / 51

(7) ذكريات مشاهير رجال المغرب: الاصيلي ص 18 نقلا عن المدارك وفهرس ابن خير

اثناء حجه سنة 353 عن المروزي عن الفربري عن البخاري .

وهي رواية حظيت بعناية فائقة من المحدثين والحفاظ واعتبرت مرجعاً وأصلاً صحيحاً من أصول البخاري، اعتمد عليها الشراح والمعلقون كثيراً . وقد كان صهره وتلميذه المهلب بن أبي صفرة من أول الرواة عنه للصحيح هو وأخوه محمد وقد قام المهلب هذا بعمل شرح عظيم للصحيح واختصاره والتعليق عليه وإليه يرجع الفضل في انتشار الصحيح وحفظه وروايته بالأندلس .

قال أبو الأصبع بن سهل القاضي : « كان أبو القاسم وأبو محمد من كبار أصحاب الأصيلي وبأبي القاسم حيي كتاب البخاري بالأندلس لأنه قرىء عليه تفقهاً أيام حياته وشرحه اختصره وله في البخاري اختصار مشهور سماه « كتاب النصيح في اختصار الصحيح وعلق عليه تعليقاً في شرحه مفيداً »⁽⁸⁾ .

لقد كان الإمام الأصيلي جليل القدر فقيهاً متبصراً محدثاً محيطاً بعلم الحديث ومعانيه بصيراً برجاله حافظاً للمذهب المالكي لا نظير له في الاتقان للنقل والبصر في النقد والحفظ للأصول والحدق برأي أهل المدينة كما يعتبر رائد رواية صحيح البخاري وخاصة بالأندلس والمغرب .

ولقد تحدث عنه الدارقطني قال : « حدثني أبو محمد الأصيلي ولم أر مثله » وقال عنه عياض : « كان من حفاظ مذهب مالك ومن العالمين بالحديث وعلله ورجاله » .

وبلغ من علو كعبه في الرواية والحفظ أن أبا يحيى بن الأشبح لما ورد من المشرق وكان قد روى كتاب البخاري سئل إسماعه فقال :

« لا يراني الله أحدث به والأصيلي حي أبداً »⁽⁹⁾ فلما مات

(8) المصدر السابق ص 19

(9) المصدر السابق ص 13

الأصيلي أسعف : وروي أن أبا الوليد قال :

لما دخلت القيروان أتيت أبا محمد بن أبي زيد فقال لي : ما حاجتك ؟ قلت : الأخذ عنك .

فقال لي : ألم يقدم عليكم الأصيلي ؟ قلت : بلى

قال لي : تركت والله العلم وراءك ، فكيف حاله مع أهل بلده ؟ فأخبرته بظلمهم له .

فقال : جهلوا ما أتى به، وأتيت القابسي فجرى لي معه مثل ذلك

(8)

وقد ظل الإمام الأصيلي على حاله من الفضل والعلم والفتيا والرواية بقرطبة إلى أن توفاه الله سنة 392 وسنه ثمانية وستون عاماً ودفن بمقبرة الرصافة بقرطبة وصلى عليه القاضي أحمد بن عبد الله وكان آخر كلامه لما احتضر دعاء عظيم يقول فيه :

« اللهم إنك قد وعدت بالجزاء عن كل مصيبة ولا مصيبة علي أعظم من نفسي فأحسن جزائي عنها يا أرحم الراحمين » .

(10) المصدر السابق نفس الصفحة .

أبو عمران الفاسي

أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي⁽¹⁾ الفاسي نزيل القيروان وأصله من فاس وبيته بها يعرف ببني الحاج وإليه ينسب درب ابن أبي الحاج من طالعة فاس إلى الآن.

تفقه في القيروان على أبي الحسن القاسبي وبقرطبة على الإمام الأصيلي وسمع من أبي عثمان وعبد الوارث وأحمد بن قاسم وغيرهم . وقد رحل إلى المشرق وحج فسمع الصحيح من أبي ذر بمكة ثم إلى العراق فسمع من الفتح بن أبي الفوارس وأبي الحسن المستملي كما أخذ عن الباقلاني⁽²⁾

وأخذ القراءات بمصر عن أبي الحسن عبد الكريم وقد حصلت له بذلك رواية واسعة حتى قال القاضي عياض عنه في المدارك : « جمع من عوالي حديثه مائة ورقة » .

وقال عنه خاتم بن محمد :⁽³⁾

« كان أبو عمران من أحفظ الناس وأعلمهم . جمع حفظ المذهب المالكي إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة معانيه ، وكان يقرأ القرآن بالسبع ، ويجوده مع معرفته بالرجال وجرحهم وتعديلهم . »

(1) نسبة إلى غفجوم فخذة من قبيلة زناتة .

ترجم له الكتاني في الفهرس والحجوي في الفكر السامي وكنون في النبوغ وعياض في المدارك

(2) النبوغ 1 / 52 و 53

(3) النبوغ 1 / 52

أخذ الناس عنه من أقطار الأندلس والمغرب واستجاره من لم يلقيه وألف كتاب التعاليق على المدونة لم يكمل وخرج عوالي حديثه في نحو مائة ورقة .

وزاد محمد بن حاتم :

« ولم ألحق أحداً أوسع منه ولا أكثر رواية »

وكان من أئمة الفقه في الحديث وبه اشتهر الشهرة التامة حتى رحلت إليه طلبه العلم من البلاد وظهرت إمامته .

وكان لا يتكلم بشيء إلا كتب عنه . قليل الضحك حتى قيل ما رؤي ضاحكاً قط إلا مرة واحدة⁽⁴⁾

وكان الإمام الباقلاني يعجب بحفظه ويقول :

« لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبد الوهاب - وكان إذ ذاك

بالموصل - لاجتمع عندي علم مالك أنت تحفظه وهو ينظره . . . »⁽⁵⁾

وقد ظل بيته بفاس مسقط رأسه مفتوحاً في وجه قصاده ورواده إلى أن اضطر لمغادرة بلاده بسبب العاملين على فاس لمغراوة لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر⁽⁶⁾ حيث خرج إلى القيروان واستقر بها وحصلت له بها رئاسة العلم ونفوذ إلى أن توفي سنة 430 للهجرة ، وعمره لا يتجاوز خمساً وستين سنة وقد حضر جنازته (جميع) أهل القيروان يتصدرهم السلطان المغربي باديس⁽⁷⁾ .

ويذكر الحجوي في تاريخه لأفريقيا الشمالية وفي الفكر السامي أن أبا عمران الفاسي أشار على عبد الله بن ياسين بالتوجه إلى الصحراء الأمر الذي كان سبب قيام الدولة اللمتونية⁽⁸⁾

(4) فهرس الفهارس 1 / 111 (6) بيوتات فاس لابن الأحمر (8) الفكر السامي 1 / 41 و 42

(5) النبوغ 1 / 52 و 53 (7) جامع القرويين 1 / 157 و 158

ابن ابطال

أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي يعرف بابن اللحام الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه. ⁽¹⁾ أصله من قرطبة وأخرجته الفتنة إلى بلنسية. كان نبيلاً جليلاً متصرفاً ⁽²⁾.

أخذ عن أبي عمر الطلمنكي وطبقته، وروى عن أبي صفرة والقنار والقاضي يونس بن عبد الله وغيرهم ، كما أخذ عنه جماعة .

ألف تأليف جليلة منها : شرحه المعروف عن البخاري ⁽³⁾ ، وهو شرح كبير كثير الفائدة يقع في عدة أسفار وغالبه في فقه مالك. نقل عنه الكرمانى في شرحه ، وتوجد نسخة منه بخزانة القرويين تحت عدد 423 ، كما توجد نسخة منه أيضاً بخزانة الجامع الكبير بمكناس تحت رقم 33 ، ونسخة أخرى بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت عدد 485 وله الاعتصام في الحديث ⁽⁴⁾.

وكتاب في الزهد والرقائق ⁽⁵⁾.

توفي سنة 449 هجرية ⁽⁶⁾ الموافق 1057 ميلادية .

(1) انظر ترجمته في :

الروافى للصدفي 12 / 56

سير النبلاء للذهبي 11 / 159

الديباج لابن فرجون 203 و 204

الصلة لابن بشكوال 1 / 407

- معجم المؤلفين 7 / 87

كشف الظنون 110 و 516

(2) الفكر السامي 4 / 45

(3) القسطلاني 1 / 41 - تاريخ التراث العربي ص 312 - بروكلمان ملحق 1 / 33

(4) الاماع ص 115 (5) الفكر السامي 4 / 45 (6) الاماع ص 115 هامش

أبو الوليد الباجي

القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التميمي الباجي ⁽¹⁾ من أهل الأندلس أصله من بطليموس التي ولد بها سنة 303 هـ ثم انتقل إلى باجة الأندلس ورحل إلى المشرق سنة 426 هـ واستمرت رحلته ثلاث عشرة سنة، زار خلالها بغداد والموصل والشام والحجاز وغيرها .

أخذ عن أبي ذر الخطيب البغدادي وأخذ عنه هذا الأخير كما أخذ عنه الطرطوشي والجيانى والصدفي وغيرهم .

كان مقترراً عليه في الرزق في بدء حياته حتى لقد آجر نفسه ببغداد أيام إقامته فيها لحراسة درب هناك ثم فتح الله عليه فاتسع حاله وكثر رزقه ورجع إلى الأندلس بعد رحلته فأقبل عليه الناس وطارت شهرته فاشتغل بالاقراء والتأليف ثم ولي القضاء. قال عنه ابن العربي في القواصم :

« إن الله تدارك الأمة به وبالأصلي حيث رحلوا وفادوا وجلؤوا بلباب العلم فرشوا على القلوب الميتة وعطروا الأنفاس الذفرة » .

من تأليفه : الاستيفاء على الموطأ ، وكتاب المنتقى عليها

(1) ترجم له في : نفع الطب 1 / 359 - 364

الديباج المذهب ص 120

المغرب في حلى المغرب 1 / 404

وفيات الاعيان 2 / 142

فوات الوفيات 1 / 356

سير اعلام النبلاء مجلد 15 ل 199 - 204

واختصاره وله اختصار المدونة وشرحها وله كتاب في الخلافات ومختصر المختصر في مسائل المدونة وكتاب في التعديل والتجريح على صحيح البخاري وكتابان في الأصول .

وكان الباجي هو الذي تصدى لمناظرة ابن حزم الظاهري بعدما عجز أهل الأندلس عنه وتبعه كثير على رأيه فأفحمه .

وأُسفره المرابطون إلى المرية ليؤلف رؤساء الأندلس على نصرة الاسلام وليجمع كلمتهم مع جنود المرابطين .

وهو أحد رواة البخاري الكبار ⁽²⁾ فأكثر نسخ البخاري في المغرب :

أما رواية الباجي عن أبي ذر بسنده .

وأما رواية أبي علي الصديقي بسنده .

وقد توفي الباجي سنة 494 للهجرة ⁽³⁾ .



(2) الامام ص 121

(3) في المدارك انه توفي سنة 474

ميمون بن ياسين

أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني كان حليفاً لبني محمد إحدى قبائل لمتونة، أصله من صحراء المغرب سكن المرية في أول حياته ثم انتقل إلى اشبيلية في أواخر حياته .

رحل إلى المشرق للحج سنة 497 فسمع بمكة من أبي عبد الله الطبري صحيح مسلم ومن أبي مكتوم بن أبي ذر الهروي صحيح البخاري في أصل أبيه أبي ذر وابتاعه منه بمال جليل وحمله معه إلى المغرب ⁽¹⁾ وفي ذلك يقول أبو طاهر السلفي في كتاب الوجيز :

« كان ميمون بن ياسين من أمراء المرابطين رغب في السماع منه بمكة أي من أبي مكتوم الهروي - واستقدمه من سراة بني شبة وبها كان سكناه وسكنى أبيه أبي ذر من قبل فاشترى منه صحيح البخاري أصل أبيه الذي سمع فيه على أبي اسحاق المستملي وغيره بجملة كبيرة وسمعه عليه في عدة أشهر قبل وصول الحجيج » ⁽²⁾ .

وعاد ميمون من رحلته مملوءاً علماً ورواية فجلس للإقراء والحديث بالأندلس فأقبل عليه الناس يسمعون منه باشبيلية وغيرها ثم وصل مراكش وتاسقيموت وبها حدث وأقرأ وأسمع .

ومن روى عنه وحدث أبو اسحاق بن حبش وأبو القاسم بن بشكوال وأبو اسحاق بن فرقد وأبو بكر بن خير وأبو الحسن عبد

(1) الاعلام بمن حل مراكش وأسماء من الاعلام 7 / 309

(2) الوجيز في ذكر المجاز والمجيز لأبي طاهر السلفي

الرحمن بن محمد بن مسلمة وأبو الحسن مفرج بن سعادة وغيرهم كثير .

كان الأمير ميمون بن ياسين من رؤساء قومه محدثاً صحيح السماع ثقة معتنياً بالآثار مقتنياً للأصول فاضلاً سمحاً حسن اللقاء جميل العشرة كريم الاخلاق جليل المقدار عظيماً عند العامة والخاصة توفي باشبيلية سنة خمسائة وثلاثين⁽³⁾ .



القاضي عياض

أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي⁽¹⁾ عالم المغرب⁽²⁾ القاضي المحدث الحافظ⁽³⁾ ولد بسبته في النصف من شعبان عام ستة وسبعين وأربعمائة أصله من الاندلس ثم انتقل إلى فاس وكان له استقرار بالقيروان⁽⁴⁾ .

وكان عمرو بن جدّه الأعلى رجلاً فاضلاً صالحاً من أهل القرآن كثير الحج والغزو وحج إحدى عشرة حجة وغزا مع محمد بن أبي عامر المنصور ثم هاجر من فاس إلى سبته بعد دخول العبيديين إلى المغرب .

وكانت لعائلته نباهة وشأن وغنى حتى أن جدّه عمرو بن والد جد أبيه عندما انتقل إلى سبته اشترى أرضاً بالمنازة بنى في بعضها مسجداً وفي بعضها دياراً حبسها على المسجد المنسوب إليه حتى الآن⁽⁵⁾ .

(1) انظر ترجمته في :

التعريف بالقاضي عياض لولده محمد اذهار الرياض 1 / 23 - 29 / 3 / 16 - 21

معجم اصحاب الصدي في رقم 279 جذوة الاقتباس 277

الاحاطة لابن الخطيب رقم 177 لوح 180 / ب 183 ب

تذكرة الحافظ 4 / 96 - 99 شجرة النور الزكية 140 - 141

الديباج المذهب ص 168 فهرس النهار ص 2 / 183

سلوة الانفاس 1 / 151 الاعلام 1 / 81 - 118

الاستقصا 1 / 141 - 145

(2) تذكرة الحافظ

(3) فهرس النهار ص 2 / 183

(4) التعريف بالقاضي عياض ص 2

(5) تعريف ص 3 اختصار الاخبار

ص 36 - 37 بلغة الامنية ص 10

نشأ عياض في سبته على عفة وصيانة طالباً للعلم حريصاً على تعليمه حيث بدأ يحفظ القرآن والمبادئ الأولية ثم أخذ في التفقه في معانيه وشواهد وأحكامه وجميع أنواع علومه وكذا الحديث والفقه وبقية العلوم وقد أخذ ذلك عن مشيخة بلده مثل القاضي أبي عبد الله بن عيسى والخطيب أبي القاسم والفقيه أبي إسحاق بن الفاسي وغيرهم .

وفي سنة سبع وخمسة رحل إلى الاندلس طلباً للعلم والرواية فبدأ بقرطبة ولازم علماءها وأشياخها وسمع منهم وروى عنهم كابن عتاب وابن خمدين وابن الحاج وابن رشد وأبي الحسين بن السراج وأبي الحسن بن مغيث وسواهم ⁽⁶⁾ .

ثم انتقل إلى مرسية في أثناء اختفاء أبي علي الصدفي فظل بها ينتظر ظهوره وكانت بينهما مكاتبات ورسائل حتى إذا خرج أبو علي من محبته وجلس للناس أقبل عليه عياض ولازمه وسمع منه واختص به .

وقد لقي في رحلته إلى الاندلس جماعة من العلماء روى عنهم وسمع منهم وأجازوه منهم أبو علي الجياني وشريح والقاضي ابن سيرين وأبو زيد بن سهيل وغيرهم كما أجازهم علماء مصر والحجاز وأفريقية نذكر منهم أبا نصر النهاوندي وأبا عبد الله المازري وأبا بكر الطرطوشي وأبا عبد الله بن الخطاب وحيدر وسواهم كثير من شيوخه الذين نيفوا على المائة ⁽⁷⁾ .

ورجع إلى بلده سنة 508 وقد اتسعت روايته وبعد صيته وانتشر أمره فأقبل عليه الناس وأجلسوه للمناظرة عليه في المدونة ثم أصبح من

(6) التعريف بالقاضي عياض ص 7

الإمام مقدمة المحقق السيد صفر ص 32

(7) المصدر السابق ص 9

الغنية فهرس عياض .

أهل الشورى وولي قضاء سبته ثم نقل إلى غرناطة ومنها عاد قاضياً للمرة الثانية بسبته وقد سار في الناس سيرة حسنة وسلك فيهم طريقة محمودية وكان مشهوراً بالنزاهة معروفاً بالاستقامة قائماً بالحق مقيماً للحدود من ذلك ما روي أن الفتح بن خاقان الكاتب المشهور دخل عليه بالمحكمة فشم منه رائحة الخمر ورأى عليه علامات فغضب لذلك وأمر بتجريدته من ثيابه وإقامة الحد الشرعي عليه ولم تأخذه في ذلك لومة لائم أو صداقته له ⁽⁸⁾ .

ولما ظهر أمر الموحدين دخل في نظامهم وبادر إلى مبايعتهم والدخول في طاعتهم فأقره أميرهم على ما كان عليه وأجزل له العطايا والصلوات وبقي على حاله تلك إلى أن ثارت الفتنة فاعتزل القضاء وتفرغ للدرس والاسماع .

ثم رحل إلى فاس مدينة آبائه وأجداده التي لم ينسها أبداً وظل محتفظاً بذكرها ونزل بدار القاضي ابن الغرديس مكرماً محترماً حيث أقبل الناس على مجالسه ومحافله معجبين بمؤلفه وأسلوبه وبراعته ، وقد خلد الفاسيون هذه الزيارة ببناء مسجد بحومة الصاغة ما زال إلى الآن يحمل اسم القاضي عياض ⁽⁹⁾ .

ثم انصرف منها إلى الحضرة العلية بمراكش واجتمع بأمر المؤمنين واستعطفه واسترضاه حتى عفا عنه وقربه منه وأمره بلزوم مجلسه وبقي على حاله كذلك إلى أن توفي سنة 544 ودفن بباب ايلان رحمه الله ورضي عنه ⁽¹⁰⁾ .

لقد كان القاضي عياض إمام الحديث في وقته وأعرف الناس بعلومه

(8) النبوغ المغربي 1 / 89

(9) معجم اصحاب الصدفي ص 294 الجذوة 277

ازهار الرياض 1 / 220 - 224

(10) التعريف بالقاضي عياض ص 12 و 13

(11) تذكرة الحفاظ .

(11) حتى قال هو عن نفسه فيما نقله عنه ابن سعد لدى ترجمته (12) « ما وقفت قط على خبر أو اثر إلا وعندي اسناده » ويكفيه شرفاً وفخراً أنه من أوائل رواة البخاري المغاربة وناهيك بنسخته من صحيح البخاري الشهيرة بنسخة القاضي عياض وهي من روايته عن أبي علي الصديقي وقد كانت معروفة بالمغرب خلال القرن الثاني عشر الهجري لدى المحدث المغربي أبي العلاء إدريس بن محمد العراقي المتوفى سنة 1183 هـ - 1769 (13).

وقد بلغ في الحديث وعلومه شأواً ومقاماً لم يدركه سواه لمعرفة الواسعة بفنونه وعلومه وتبصره برجاله وعلمه وتميزه لصحيحه من سقيمه وعنايته الفائقة بتقييد آثاره والاطلاع على كتبه مع مهارة فائقة في سائر العلوم والفنون وفي ذلك يقول ابن الأبار .

« وكان لا يدرك شأنه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الآثار وخدمة العلم مع حسن التفنن والتصرف الكامل في فهم معانيه إلى اضطلاع به بالادب وتحقيقه بالنظم والنثر ومهارته بالفقه وبالجملة فكان جمال العصر ومفخر الأفق وينبوع المعرفة ومعدن الافادة وإذا عدت رجالات المغرب فضلاً عن الأندلس حسب فيهم صدرا » (14).

ولقد كانت أوقات القاضي عياض موزعة على ثلاثة أعمال رئيسية القضاء والتأليف والإقراء .

ولذلك اشتهر بغزارة الكتابة والتأليف حتى نيفت كتبه على

(12) النجم الناقب

(13) التحفة القادرية مخطوط الخزانة العامة رقم 2321 ك المجلد الأول الباب السابع . فهرس النهارس

368 / 2 .

(14) معجم اصحاب الصديقي

العشرين بين مطبوع ومخطوط وبين موجود ومفقود يدور أغلبها حول ثلاثة علوم : الحديث والفقه والتاريخ، والطابع العام لكتبه جميعاً هو طابع الرواية التي اتسع عياض فيها، واختص بها واصبح بفضلها من اهل الصدارة في المذهب المالكي، وجعلته على رأس قائمة المحدثين المغاربة الكبار ونذكر من بين تأليفه (15) :

- مشارق الانوار على صحيح الآثار في ستة أجزاء ضخمة وهو مطبوع .

- إكمال المعلم في شرح مسلم في تسعة وعشرين جزءاً (16) .

- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ، وقد طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية المغربية سنة 1395 - 1975 بعناية وتحقيق ثلاثة من العلماء .

- والألماع في ضبط الرواية وتقييد السماع وهو مطبوع (17)

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى في ستة أجزاء وقد طبع قديماً مشروحاً وبدون شرح .

- كتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة في عشرة أجزاء . وهو مخطوط (18) .

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك في خمسة أسفار وتقوم الآن وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب بطبعه وقد ظهر منه حتى الآن سبعة أجزاء (19) .

(15) التعريف بالقاضي عياض ص 116 إلى 118

فهرس النهارس 2 / 185 / 187

(16) يوجد مخطوطاً بالخزانة الملكية .

(17) طبع بتحقيق السيد احمد صقر عن دار التراث بمصر والمكتبة العتيقة بنونس سنة 1389 - 1970

تحت عنوان « الألماع الى معرفة الرواية والسماع »

(18) يوجد مخطوطاً بخزانة الفرويين وبالخزانة العامة تحت رقم 1248 وبالخزانة الملكية تحت رقم 534

(19) كما طبع بلبان طبعة لا تخلو من اخطاء

- الاعلام بحدود قواعد الاسلام في جزء واحد وقد طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

- الغنية. فهرس شيوخه وهو مخطوط⁽²⁰⁾ .

- المعجم في شيوخ ابن سكرة في سفر⁽²¹⁾ وهو مفقود - اجوبة القرطبيين

(22)

وكتاب خطبه في سفر ونظم البرهان على صحة جزم الاوان ومسألة الأهل المشترط بينهم التزاور وهذه كلها مفقودة إلى الآن .

وهناك كتب أخرى لم يكملها القاضي عياض وهي كما ذكرها ولده في كتاب التعريف به :

المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان ، والفنون الستة في اخبار سبته وغنية الكاتب . وبغية الطالب في الصدور والترسيل ، والأجوبة المجربة على الاسئلة المتخيرة ، وسرا سراة في آداب القضاة وهذه كلها مفقودة إلى الآن⁽²³⁾ .

وقد أضاف الشيخ عبد الحي الكتاني إلى هذه القائمة التي ذكرها ولد القاضي عياض كتابين آخرين غير ما ذكر وهما :

- أخبار العلويين⁽²⁴⁾ ، وجامع التاريخ جمع فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب واستوعب أخبار سبته وعلمائها⁽²⁵⁾ .

(20) يوجد بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1732 د كما توجد مصورته بمكتبي .

(21) فهرس الفهارس 2 / 186

(22) توجد مخطوطة بالخزانة الملكية رقم 4042

وسماه صاحب فهرس الفهارس « اخبار القرطبيين » 2 / 186

(23) التعريف بالقاضي عياض ص 117 و 118

(24) فهرس الفهارس 2 / 186

(25) فهرس الفهارس 2 / 186 نقلا عن تذكرة الحفاظ للذهبي

من أجل ذلك عد القاضي عياض في طليعة الرعيل الأول من علماء المغرب الذين طار ذكرهم كل مطار على اختلاف الأجيال والأعصار حتى قيل لولا عياض لما ذكر المغرب وشاع ذلك في كتبهم ودار على ألسنتهم في مجال التباهي والافتخار⁽²⁶⁾



(26) التعريف بالقاضي عياض مقدمة كتبها محقق كتاب الالماع السيد احمد صفر ص 3.

ابن القطان

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن ابراهيم
الكتامي الحميري الفاسي الشهير بابن القطان ⁽¹⁾ ، المحدث الراوية
المحقق العلامة النظار .

اتصل بالشيخ ولازم المحدثين وسمع منهم وأخذ عنهم كأبي
عبد الله بن الفخار وابن البقال وأبي ذر الخشني وأبي الحسن بن
النقرات وأبي عبد الله التجيبي وأبي البقاء يعيش بن القديم وغيرهم
⁽²⁾ .

سكن مراكش حيث عينه المنصور لقراءة الحديث بين يديه وعين
قاضياً بسجلهامة .

نبغ في أغلب العلوم وتفنن فيها غير أنه اشتهر بمعرفته لعلوم
الحديث وحفظه لأسماء الرجال وعنايته بصناعة الحديث عاكفاً على
خدمته بصيراً بطرقه ناقداً مميزاً لصحيحه من سقيمة وهو أول شخصية
مغربية ركزت الدراسات الحديثية على الأساليب والمناهج المتبعة في
الشرق مع نوع من الاصالة والجدّة ⁽³⁾ .

(1) انظر ترجمته في :

سير النبلاء 13 / 196

التكملة 686 و 687

تذكرة الحفاظ 4 / 192 ، 193

نيل الابتهاج 200 ، 201

إيضاح المكنون 1 / 52 ، 2 / 657

دليل مؤرخ المغرب 184 ، 324 و 325

(2) شجرة النور الزكية ص 179

(3) الموسوعة المغربية 2 / 91

ولذلك اشتهر أمره وذاع ذكره وقصده العلماء والطلاب فأخذوا
عنه وانتفعوا به ونال دنيا عريضة بخدمة السلطان ومن كتب إليه ولقيه
أبو جعفر بن مضاء وأبو محمد التادلي وابن الفرس وأبو عبد الله بن
زرقون وجماعة ⁽⁴⁾ .

وقد خلف آثاراً مهمة وكتباً نفيسة منها :

كتاب جمع الحديث الصحيح محذوف السند كمل منه كتاب
الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة في نحو عشرة مجلدات .

كتاب الوهم والايهام الواقعيين في كتاب الاحكام لعبد الحق
الاشبيلي .

ويوجد المجلد الأول منه بخزانة القرويين ل 80 / 193 والبستان في
أحكام المنان في مجلدين .

شيوخ الدارقطني في مجلد .

تجريد من ذكر الخطيب في تاريخه من رجال الحديث بحكاية أو
شعروالعلل في الكلام على أحاديث السنن لأبي داود . ⁽⁵⁾ .

ومختصر النظر في أحكام النظر .

والنزع في القياس في أبطال القياس ⁽⁶⁾ .

وله برنامج مفيد في مشيخته وغيرها ⁽⁷⁾ .

وقد توفي قاضياً بسجلهامة سنة ثمان وعشرين وستائة للهجرة
الموافق سنة 1231 م .

(4) شجرة النور الزكية ص 179

(5) الموسوعة المغربية 2 / 92

(6) النبوغ المغربي 1 / 149

(7) شجرة النور الزكية ص 179

ابن رشيد

محب الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري السبتي⁽¹⁾ فخر فاس وحافظها ومسندها كبير مشيخة المغرب وشيخ المحدثين الرحالة .

ولد بسبته سنة 657 هـ وبها نشأ⁽²⁾ وتربى ودرس وتفقه ثم رحل إلى الأندلس حوالي سنة 692 هـ فأُسندت إليه الخطابة والامامة بمسجد غرناطة الاعظم وبعد قضاء مدة بها عاد إلى فاس التي احتضنته ومنحته الشهرة والمجد وأولته الرياسة والمشيخة .

ثم رحل فيما بعد إلى المشرق فحج وروى وسمع وأخذ بمصر والشام والحجاز عن طائفة من مشاهير شيوخها ومحدثيها منهم الحافظ شرف الدين الدمياطي وابن عساكر والقطب القسطلاني وغيرهم .

(1) انظر ترجمته في :

الدرر الكامنة 4 / 111

الوافي 4 / 284 - 286

بغية الوعاة 85

الديباج 310 - 311

البدر الطالع 2 / 234

كشف الظنون 209 ، 551 ، 836 ، 1297 ، 1813

فهرس الفهارس 1 / 332 ، 333

ابن رشيد : كنون

دليل مؤرخ المغرب 345

ايضاح المكنون 1 / 550 - 553

معجم المؤلفين 11 / 17

(2) النبوغ المغربي 1 / 602

الاعلام 2 / 250

ثم عاد من رحلته إلى فاس واستقر بها وألف رحلته الشهيرة وبقي بها مكرماً معظماً يعلم ويؤلف ويفيد إلى أن توفي سنة 721 هـ الموافق 1321 .

كان ابن رشيد كما وصفه ابن الخطيب : « كثير السماع عالي الاسناد صحيح النقل تام العناية بصناعة الحديث قيماً عليها بصيراً بها محققاً فيها ذاكراً للرجال »⁽³⁾ .

« كما كان أوسع أهل عصره رواية ، وأثبتهم دراية بها انفراد بجمعه في رحلته من أسانيد مشرقية ومغربية وبما تضمنه كتابه ملء العيبة من سماعات واجازات وتحريرات وتصويبات » .

كما وصفه الاستاذ الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة في مقدمته لإفادة النصيح⁽⁴⁾ .

للمترجم مؤلفات جلية وكتب كثيرة مفيدة منها :

الرحلة الكبرى المسماة : « ملء العيبة بما جمع في طول الغيبة في الوجهة الوجيهة بمصر والشام ومكة وطيبة » وهي في ست مجلدات . وله أيضاً « إيضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب » .

وكتاب ترجمان التراجم في إبداء مناسبات تراجم صحيح البخاري .

والسنن الأئين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن⁽⁵⁾ . يوجد بالأسكوريال تحت عدد 1806 .

(3) فهرس الفهارس 1 / 332

(4) مقدمة المحقق لإفادة النصيح حرف « كا »

(5) النبوغ المغربي 1 / 215

الموسوعة المغربية ع 1 ص 107

وافادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح .

تحقيق الدكتور الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة مفتي الديار التونسية ، وقد طبعته الدار التونسية للنشر .

وله فهرست مهمة جمعت أسانيده ومروياته وشيوخه ^(٦) .

وقد توفي المترجم بفاس في 23 محرم 721 الموافق 22 فبراير 1321 ، ودفن بمطرح الحلة من القباب .



(6) فهرس الفهارس 1 / 333

زروق

أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق ^(١) والملقب (بمحتسب الأولياء والعلماء) ⁽²⁾ .

ولد سنة 846 هـ وتوفي والده عند ولادته بقليل فكفلته جدته وكانت فقيهة أدبية فسهرت على تربيته وأحسنّت توجيهه وتهذيبه .

وقد أقبل على التعليم والعلماء ولازمهم منذ نعومة أظفاره فبعد أن أخذ عن شيوخ بلده رحل إلى الشرق فروى وسمع وأخذ عن المحدثين والعلماء أمثال الحافظ السخاوي والديمي والثعالبي والمشدالي والرصاع وغيرهم ⁽³⁾ .

ثم عاد إلى المغرب وقد علا إسناداه وأمتلا جرابه واتسعت مداركه

(1) ترجم له في :

فهرس المؤلفين بالظاهرية

البتان 45 و 50

نيل الابتهاج 84 - 87

سلوة الانفاس 3 / 183 - 184

طبقات الشاذلية الكبرى 123 - 126

كشف الظنون 333 ، 661 ، 662

ايضاح المكنون 1 / 97 - 370 - 375

2 / 18 - 124 - 175 - 242

معجم المطبوعات 386

معجم المؤلفين 1 / 155

(2) النبوغ المغربي 1 / 208

(3) فهرس الفهارس 1 / 342

وارتفع صيته وانتشر ذكره حوله العلماء والطلاب يتعلمون منه ويروون كالقسطلاني واللقاني والخطاب وغيرهم .

كان الشيخ زروق عالي الاسناد عارفاً بالحديث رحالة صوفياً فقيهاً متمكناً عرف بالتحريير والتحقيق والتدقيق فيما يقرئ ويكتب .

وقد خلف آثاراً مهمة منها :

حاشية على صحيح البخاري ⁽⁴⁾ في عشرين كراسة اقتصر فيها على ضبط الالفاظ وشرحها ، وقد طبعت مع متن البخاري في خمسة أجزاء باشراف شيخ الازهر .

والنصيحة الكافية .

وقواعد التصوف .

وعدة المريد الصادق .

وتسعة وعشرون شرحاً على الحكم العطائية ⁽⁵⁾ .

والجنة للمعتصم من البدع بالسنة .

وله فهرست مهمة ⁽⁶⁾ إلى غير ذلك من الكتب المهمة والآثار النفيسة بما يطول ذكره هنا .

وتوفي المترجم له سنة 899 الموافق 1493 بمسراته - طرابلس الغرب - وقبره مشهور هناك إلى الآن .

(4) يوجد منها جزء بمكتبة الكتاني بالرباط

(5) شجرة النور الزكية ص 268

(6) درة الحجال لابن القاضي

ابن غازي

أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي ⁽¹⁾ المحدث الفقيه الفرضي عالم المغرب وراويته الشهير .

ولد بمكناس سنة 858 وبها نشأ ثم سافر إلى فاس للاخذ عن علمائها وشيوخها والكرع من حياض جامعتها حتى إذا أخذ نصيبه من العلوم والرواية عاد إلى بلده مكناس فأقام بها مدة بين أهله وعشيرته ثم انتقل إلى فاس ليستقر بها نهائياً يعلم ويقرئ ويسمع ويفيد ويستفيد حيث قصده التلاميذ والطلاب وأهل العلم والمعرفة من كل حذب وصوب يروون عنه ويسمعون منه فاشتهر أمره وعم نفعه وكثر الاقبال عليه .

واستجاز مكاتبه لمصر من الحافظين السخاوي والديمي ومن تلمسان من ابن مرزوق الكفيف .

لقد كان ابن غازي ماهراً في أغلب العلوم والفنون متمكناً من الأصليين التفسير والحديث غير أنه اشتهر بإقباله على سماع واسماع

(1) ترجم له في : الدوحة ص 36

السلوة 2 / 73

الاعلام 6 / 232

ذكريات مشاهير رجال المغرب ع 12

- الجدوة ص 203 - النيل 359

فهرس الفهارس 1 / 210 و 2 / 256 و 257

مؤرخو الشرفاء 4 / 22 - 230

الصحيح وخاصة صحيح البخاري الذي ثابر على إقرائه واسمائه وخاصة في شهر رمضان « إذ هو الذي أبتدأ سرده به ولازمه في رمضان » . . . كما أكد ذلك ابن عبد السلام الناصري في المزايما والذي تكلم على عادة جده أبي عبد الله بن ناصر من سرد البخاري في رمضان على سنة ابن غازي رحمه الله ⁽²⁾ .

وما زال الناس الى الآن في أغلب مدن المغرب وقراه يعتنون بقراءة صحيح البخاري في رمضان على سنة ابن غازي وخاصة في فاس ومكناس وزرهون وسلا ومراكش وغيرها .
ترك آثاراً نفيسة وكتباً فريدة أهمها :

تعليق على صحيح البخاري في نحو ثمانية كراريس سماه : إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب جعله تكملة لتنقيح الزركشي .
توجد أجزاء منه في الخزنة العامة والخزانة الملكية والخزانة الأحمدية بفاس .

حاشية على البخاري في أربعة كراريس ⁽³⁾

فهرسته المسماة التعلل برسم الاسناد بعد ذهاب أهل المنزل والنادر ⁽⁴⁾ ، في نحو سبع كراريس ترجم فيها الشيوخ الذين أجازوه .
الكليات في المسائل الجارية عليها الاحكام في الفقه المالكي ⁽⁵⁾ ،
وحل مشكل كلام ابن عرفة في مختصرة في ثلاثة أسفار .

(2) فهرس الفهارس 2 / 257 .

(3) فهرس الفهارس 2 / 257 - الدوحة ص 36 - الجذوة 203 - السلوة 2 / 73 - الاتحاف 4 / 9

(4) توجد بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 413 / 2008 د م = 471 - 484 وفي الخزنة الملكية

7247 / رقم 5820 / 1203 وفي الاسكوريال 1725

(5) الموسوعة المغربية 2 / 73

الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون إلى غير ذلك من كتبه وآثاره .

وقد توفي المترجم بفاس سنة 919 / 1513 ، ودفن بباب الحمراء وقبره بها معروف إلى الآن رحمه الله ورضي عنه .



المنجور

أبو العباس أحمد بن علي بن الأمين أبي زيد عبد الرحمن المنجور⁽¹⁾ إمام المحققين وحافظ المغرب علامة فاس ومسندها ونسابتها .

روى عن اليستيني وسقين العاصمي وعلي بن هارون وعبد الواحد النشريسي والزقاق وغيرهم .

كان عارفاً بالرجال والحديث والفقه والعربية وغيرها وتفرّد في زمانه بمعرفة تاريخ الملوك والسير والعلماء طبقاتهم وأيامهم .

وبالنسبة للحديث كان أحفظ أهل زمانه وكانت له معرفة برجال الحديث⁽²⁾ وكان شديداً في اتباع السنة في جميع أحواله حتى كانت سيرته مثلاً حياً لما كانت عليه سيرة الرسول في مأكله ومشربه وملبسه⁽³⁾ .

وتفرّد بالإمامة في الحديث وعلو السند فاقبل عليه الخاص والعام وقصدته المشايخ والعلماء حتى كان على فهرسته وفهرست ابن غازي مدار أسانيد أهل المغرب وهما البرزخ العظيم بين المغاربة والأندلسيين والمغاربة والمشاركة⁽⁴⁾ .

(1) انظر ترجمته في :

دوحة ابن عسكر 59

روضة الاس للمقري 285 - 286

تنبيه الكلاي 15 - 16

طبقات الحضيكي 1 / 32

الاستقصا 5 / 191

شجرة النور الزكية 287 رقم 1095

مؤرخو الشفاء 88 - 92

(2) درة الحجال

(3) طبقات الحضيكي

(4) فهرس الفهارس 2 / 8

وقد ألف فهرساً باسم السلطان أحمد المنصور السعدي أجازته فيها بما أخذه عن شيوخه من علوم وفنون وأتى بترجمة مشايخه موالدهم ووفياتهم وأنسابهم وأشياخهم وما قرأوا عليهم رواية وما أخذوه عنهم دراسة ثم أتى فيها بتعداد مؤلفاته وكانت بتاريخ 989 هـ .

وقد ذكر ابن القاضي في الجذوة أن له فهرسة أخرى غير الأولى .

ومن تأليفه: نظم الفوائد والكلام وشرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب في الفقه . وله أشعار رائقة⁽⁵⁾ وقد توفي بفاس سنة 995 للهجرة .

(5) الفكر السامي 4 / 104

ابن زكري

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي ⁽¹⁾ .

بدأ حياته ممتهاً بالدباغة محترفاً لها غير أنه كان بالليل يغشى مجالس العلم ويواظب عليها وكان له شيخ يحبه ويتفقدته ، وقد تفقده مرة لتأخره فلما سأله أخبره أنه تأخر في عمله بالدباغة فأمره ألا يعود إليها فتفرغ لطلب العلم والتفقه في الدين ففتح الله عليه ونبغ في أغلب العلوم حتى أصبح مشاركاً مدققاً علامة محققاً .

وقد أعانه على ذلك ثروته الطائلة وكرمه الكبير وحببه للصدقة والاحسان وصنائع المعروف بين الناس .

له تأليف حسان وخاصة : حواشيه الممتازة حول صحيح البخاري ⁽²⁾ في مجلدين مخطوطين توجد في الخزانة العامة بالرباط تحت عدد 2489 د 241 / 244 ونسخة في الخزانة الملكية تحت عدد 7876 .

وقد طبعت بفاس سنة 1367 في خمسة أجزاء مع تكملة كنون .
وشرح النصيحة الزروقية .

(1) انظر ترجمته في :

الاستقصا 4 / 127
سلوة الانفاس 1 / 158 - 161
(2) النشر 2 / 140

الاستقصا 4 / 28
بروكلمان ملحق : 2 / 692
السلوة 10 / 155
التراتب الادارية 1 / 15
فهرس التيمورية 2 / 147
فهرس المكتبة المصرية 7 / 8175
بروكلمان ملحق 2 / 692
فهرس المؤلفين 10 / 140

والهمزية التي عارض بها البوصيري وشرحها في جزأين .
وكتاب النظرية العنصرية سماه « الفوائد المتبعة في العوائد
المبتدعة » .

وقد أقبل الناس على مجالسه وشغفوا بكتبه فأثنوا عليه وأحبوه
واعتنوا بكتبه ومما مدح به المترجم هذه القصيدة للعلوي شاعر شنجيط :
وأنت ابن زكري إمام محقق تفردت في العليا بدون شبيه
إذا غصت في بحث خلصت بדרه وخليت عن سفاسفه ورديه
يمدك في اتقان علم تبته قياس أصولي ونص فقيه
وقاك الذي أبداك كالنجم يتقى به ألغى من يبغى الهدى ويعيه
وقد توفي المترجم سنة 1144 هـ الموافق 1731 ⁽³⁾ .

(3) النبوغ المغربي 1 / 288 و 289

العراقي الحافظ

أبو العلاء إدريس بن محمد بن حمدون العراقي الحسيني الفاسي⁽¹⁾ ولد سنة 1120 وتعلم المبادئ الأولية ثم أقبل على الأصول وخاصة علم الحديث الذي أولع به في صغره ونبع فيه منذ نعومة أظفاره ولازم الشيوخ ورحل إلى العلماء من أجل علو السنة وكثرة الرواية ومن أشهر شيوخه أبو العباس أحمد بن مبارك اللمطي وابن زكري وابن سليمان. كان إماماً في علم الحديث محققاً فيه حتى انفرد بذلك في عصره واشتهر لقب سيوطي زمانه واعتبره أبو حفص عمر بن عبد الله الفاسي أحفظ من ابن حجر⁽²⁾.

وحدث ذات مرة أن كان الشيخ ابن مبارك يدرس كبرى الشيخ السنوسي فجري ذكره لبعض الأحاديث فسأل العراقي عمن خرجها فذكر له على البديهة ستة طرق فقال: «لله درك لقد تعب ابن حجر ولم يخرج له إلا طريقتين».

(1) ترجم له في:

الأنساب ص 9

فهرس الفهارس 2 / 199 - 205

المزاييا مخطوط

السلوة 1 / 142

النبوغ 1 / 278 و 293 - 279

الفكر السامي 4 / 124

دليل مؤرخ المغرب 1 / 81 و 2 / 191 - 319

مؤرخو الشرفاء ص 341 وهامش 3

(2) فهرس الفهارس 2 / 200

وقد كان ممن حاز قصب السبق في علم الحديث حفظاً ورواية ودراية ووصل في ذلك إلى غاية الغاية كما قال عنه أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس ولقب بحافظ المغرب كله كما كان معظماً محبوباً محترماً مهيباً محبباً للسنن الميتة⁽³⁾ واعتبره الزبيدي حافظ العصر.

وقد تفرغ لتدريس كتب الحديث واقرائها وخاصة صحيح البخاري الذي كان يتقنه حفظاً وضبطاً رواية ودراية، وكانت قراءته له ولبقية كتب الحديث قراءة تحقيق وضبط واتقان واستدراك، كما هو شأنه عندما قرأ الجامع الكبير للسيوطي حيث استدرك عليه نحو عشرة آلاف حديث قيدها كلها في طرر نسخته وغير ذلك كثير بالنسبة لكتب السنة والتفسير وغيرها فإنه كان يستدرك ويعقب على كل ما يقرأ.

وقد رزق حافظه واعية لم يرزقها أحد من معاصريه من كثرة فهمه ومطالعتة للكتب في مختلف العلوم والفنون وخاصة كتب التفسير والحديث التي كان يستحضر أغلبها ويعرفها كعرفته لأصابع يده.

ولذلك أقبلت الناس عليه من كل حذب وصوب تروى عنه وتسمع منه حتى كثر قصاده وطلابه غير أنه لم يكن في تلاميذه أشهر من ابن عبد السلام الناصري الذي كان أكبرهم سعة رواية وعلو إسناد وطول بحث وتنقيب وجمع ولقاء أهل الفن⁽⁴⁾.

له آثار كثيرة منها:

شرح على شمائل الترمذي.

شرح الثلث الأخير من الشمارق للمصغاني.

شرح إحياء الميت للسيوطي.

(3) كسنة القبض والرفع في المواطن الثلاثة.

(4) فهرس الفهارس 2 / 203

تخريج أحاديث الشهاب القضاعي .

وتكميل مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للسيوطي .

والدرر اللوامع في الكلام على أحاديث جمع الجوامع .

وفتح البصير في التعريف بالرجال المخرج لهم في الجامع الكبير⁽⁵⁾

وله فهرس جمع فيها نصوص إجازاته من مشايخه إلى غير ذلك من

الاختصارات والتخریجات والاستدراكات والأجوبة والطرر

والهوامش التي لوجعت لجاءت في مجلدات .

توفي المترجم بفاس سنة 1183 ودفن بالزاوية الصقلية بالسبع

لويات .

الحضيكي

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي الحضيكي نزيل
زاوية آسي بسوس ولد سنة 1118 وتوفي سنة 1189 للهجرة .

رحل لطلب العلم شرقاً وغرباً وكاتب من لم يستطع لقياهم
للأخذ عنهم حتى اتسعت روايته وارتفع سنده وعلا ذكره وأصبح راوية
سوس ومدار الاسناد فيها .

كان عديم النظير في زمانه ورعاً ونزاهةً وعلماً ونباهةً ونبغ في علوم
كثيرة أهمها السير والحديث والتاريخ كما كان شديد الاتباع للسنة محكماً
لها في مأكله ومشربه وملبسه وجميع حياته مثابراً على التدريس محباً للطلبة
مقبلاً على الكتب فهماً في قراءتها ومطالعتها وخاصة كتب الحديث قواماً
على البخاري وغيره من كتب الحديث كما حدث عنه تلميذه الأسفركيسي .
له شرح على البخاري يوجد المجلد الأول منه بمراكش كما ذكر الشيخ
عبد الحي الكتاني وحاشية على سيرة الكلاعي .

وشرح على الهمزية وشرح على الشفا وعلى الطرفة في الاصطلاح،
واختصر الاصابة وله طبقات علماء سوس والرحلة الحجازية وله فهرس
هام⁽²⁾ . كان عالي الاسناد واسع الرواية محدثاً كبيراً روى عامة عن
الشهاب أحمد بن مصطفى الصباغ السكندري وأحمد العماري وأبي
الحسن الصعيدي وأبي العباس أحمد الغربي الرباطي وأحمد بن عبد
العزیز الهلالي وأبي العلاء إندريس العراقي وأبي عبد الله جسوس وأبي
محمد صالح السجلماسي وأبي العباس أحمد الورزازي وغيرهم .

(1) النبوغ / 1 - 300 - الاعلام بمن حل بمراكش واغيات من الاعلام / 6 / 85

(2) فهرس الفهارس / 1 / 260 و 261

(5) النبوغ / 1 / 293

فهرس الفهارس / 2 / 199

الفكر السامي / 4 / 124

التاودي بن سودة

أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن سودة المري الفاسي القرشي شيخ الجماعة وإمام فقهاء المغرب الإمام القدوة العمدة الناصح الصالح⁽¹⁾.

ولد سنة 1111 هـ وأخذ عن شيوخ وقته. منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جلون وأبو العباس أحمد بن علي الوصاوي وأبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي وأبو البقاء يعيش بن الرغاي الشاوي الفاسي وأبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس ومحمد بن عبد السلام بناني وجماعة⁽²⁾ وحج سنة إحدى وتسعين ومائة وألف فاجتمع بالمحدثين والشيخ فسمع وأسمع وروى وأخذ ودبج وأقرأ الموطأ بالأزهر الشريف، كما سمع عليه الكثير أوائل الكتب الستة والشئائل والحكم وغيرها.

وكان ممن لقيهم وأجازهم واستجازهم الشيخ السمان والشيخ أحمد الملوي والشيخ الأمير⁽³⁾ والشيخ مرتضى الزبيدي الحسيني الذي

(1) ترجم له في: السلوة - الاستقضا - الدرر البهية - شجرة النور الزكية .
بروكلمان ملحق 2 : 98 و 686 و 691

الاعلام المراكشي 5 / 134 - 140

مؤرخو الشرفاء 332 - 334

النويع المغربي 1 / 293 - 296

فهرس الفهارس 1 / 185 - 190

(2) الاعلام 5 / 134 و 135

شجرة النور الزكية 372

(3) شجرة النور الزكية 373

قال عنه في ألفيته :

ومنهم محمد بن الطالب التاودي العدل ذو المواهب
رئيس فاس كاشف الغيوم وعالم المنطوق والمفهوم
إليه في بلاده يشار عليه في المعارف المدار
صحبه في مصر في وفادته فجاد بالكثير من إفادته
أجازني بكل ما يرويه من كل ما يفيد أو يمليه

وقد تخصص المترجم في إقراء الكتب الستة وخاصة صحيح البخاري الذي ثابر على إقراءه واسماعه حتى جاوزت ختماته الأربعين .
« ولم يكن يدعه وخاصة في شهر رمضان . يفتتحه أول يوم منه ويختمه آخره »⁽⁴⁾.

« كما كان مجتهداً في العبادة حسن الخلق محباً لآل البيت شديد الاعتناء بأمور الناس رقيق القلب كثير البكاء »⁽⁵⁾.

فداع صيته وانتشر ذكره وعظم مقامه وعلا سنده واتسعت روايته حتى أصبح سنده مدار أسانيد أهل المغرب .

قال عنه أبو عبد الله الرهوني في أوضح المسالك :

« حاز رئاسة فاس والمغرب كله فلا اعلم الآن أحداً ممن ينتمي إلى العلم بالمغرب إلا وله عليه منة التعليم إما بواسطة أو بغير واسطة أو بهما معاً » .

واعتبره الشيخ الأمير المصري في فهرسه « هلال المغرب وبركته وحامل فتواه وقودته » .

(4) فهرس الفهارس 1 / 186

(5) الاعلام 5 / 135

وفهرس كبرى ذكر فيها من لقيه من الصالحين⁽⁶⁾ .
وقد توفي المترجم بفاس بعد أن جاوز عمره التسعين وذلك سنة
1209 للهجرة .



(6) فهرس الفهارس 1 / 187 و 188
الاعلام 5 / 135 و 136
الموسوعة المغربية 2 / 14 و 15

وقد أخذ عنه جماعة كبيرة منهم محمد بن عبد السلام بن ناصر
الدرعي وأبو زيد الحائك والشيخ محمد الجنوي والشيخ الطيب بن كيران
والشيخ الرهوني والشيخ محمد الورزازي وأبو العلاء العراقي وأبو الربيع
سليمان الحوات وأبو العباس حمدون بن الحاج وغيرهم .

ترك آثاراً جلية وتآليف محررة فريدة منها :

حاشية على صحيح البخاري في أربعة أجزاء سماها :

« زاد المجد الساري لمطالع البخاري » وقد طبعت بفاس سنة
1328 - 1910 .

وتوجد نسخ منها بالخزانة الملكية والخزانة العامة وبخزانة
القرويين .

تعليق على صحيح مسلم .

حاشية على مسند أبي داود .

شرح مشارق الانوار للصغاني .

تعليق على شمائل الترمذي .

شرح الأربعين النووية ويوجد بالخزانة الملكية تحت عدد 2989 /
6721 / 2026 طبع بفاس .

مناسك الحج

فهرسته الصغرى جمع فيها أشياخه المغاربة والمشاركة ونصوص
إجازاتهم له .

حمدون بن الحاج

أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن الحاج السلمي المرداسي⁽¹⁾.

ولد بفاس سنة 1174 هـ وبها نشأ وتربى وتعلم بجامعة القرويين ولقد تقلد وظائف مهمة منها : الحسبة بفاس وولاية المظالم بناحية الغرب، واشتهر بتشدده في أداء الصلاة في وقتها وحمل الناس عليها باعتبارها أهم الأمور ولذا كان يخرج الناس من دكاكينهم لأدائها.

كان فقيهاً مفسراً محدثاً أدبياً شاعراً بارعاً محبوباً معظماً وقد لقي الخطوة الكبيرة والرعاية الفائقة في البلاط السلياني حيث كان أقرب المقربين إلى السلطان سليمان العلوي.

وقد اشتغل بالتدريس وأقبل على إلقاء كتب الحديث وفي مقدمتها الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري وتخرج على يده خلق كثير وانتفع به عالم لا يحصى.

وقد كان يستحضر أحاديث الصحيحين وجل كتب السنة لا يغرب عنه من صحيح البخاري شيء لغة وسنداً وامتناً وشرحاً وقد ضمن تعليقه على البخاري كل ذلك.

(1) انظر ترجمته في :

النبوغ 1 / 296 - 297 / 2 / 217 - 282 - 287
دليل المؤرخ المغربي 1 / 215 / 2 / 349 ، 390 ، 421 ، 422
الرحالة المغاربة دعوة الحق ج 4 ص 25
بروكلمان ملحق 1 : 264 ، 518 : 2 : 884
مؤرخو الشرفاء 342 هامش 5

له آثار نفيسة ومؤلفات فريدة نذكر منها :

نظم مقدمة ابن حجر وشرحه سماه نفحة المسك الداري لقاريء صحيح البخاري⁽²⁾ وقد طبع بمدينة فاس سنة 1329، ورسالة في لفظة قال الواردة في أثناء إسناد الحديث⁽³⁾. وحاشية على تفسير أبي السعود ومتبوعه البيضاوي وحاشية على مختصر السعد وتقييد على آية «ولو نشاء جعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون»⁽⁴⁾ وقصيدة في السيرة وشرحها في خمسة أجزاء⁽⁵⁾ وديوان شعر مع شرحه.

توفي المترجم بفاس سنة 1232 هـ.

(2) يوجد بالخزانة الملكية تحت عدد 6604 و 4616

(3) توجد بالخزانة العامة تحت عدد 1755 د والخزانة الملكية 6628

(4) يوجد بالخزانة الملكية تحت عدد 7246

(5) النبوغ 1 / 296

وقد حفظت لنا المكتبة العلمية المغربية عدة افتتاحيات له وختمات درسنا بعضهما في محله ونذكر بعض أسماء هذه الافتتاحيات والختمات منها :

إفتتاح صحيح البخاري سماه شرح أول ترجمة من صحيح البخاري .

يوجد بالخزانة الملكية تحت عدد 1746 د ، وبمكتبتي توجد مصورة عن هذا الافتتاح .
ختمة البخاري المسماة :

نوافح الورد والعنبر والمسك الداري لشرح آخر ترجمة صحيح الإمام البخاري وتوجد بالخزانة الملكية ضمن مجموع تحت عدد 892 د وبمكتبتي توجد مصورة عن هذه الختمة .

وقد توفي المترجم له سنة الف ومائتين وأربع وخمسين للهجرة .

الكوهن

أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن أبي جينة الكوهن الفاسي .

نشأ وتربى بفاس وبها تعلم ودرس وأخذ ثم رحل إلى الشرق للحج فاتصل بالشيوخ والمحدثين وسمع منهم وروى عنهم فاستجاز الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج مفتي مكة فأجازه ولقي الشيخ الحافظ أبا عبد الله السنوسي فأخذ عنه وأجازه .

كان علامة محدثاً صوفياً بارعاً متفرغاً للحديث مقبلاً على كتبه وخاصة صحيح البخاري حيث شرح فاتحته وخاتمة وله فهرس يسمى (امداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والاسناد) ترجم فيها شيوخه ثم ساق حديث الأولية واسناد الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والدارمي والشمال والشفاء والاكتفاء وغيرها .

كما ذكر فيه سند حديث المصافحة واسناد التفسير والفقه والأصليين والنحو والمنطق والعروض والتصوف وكذا إسناذه إلى دليل الخيرات ⁽¹⁾ .

وقد تفرغ الشيخ الكوهن لتدريس كتب الحديث وروايتها ونشرها وخاصة صحيح البخاري الذي لازم اسماءه واقراءه حتى ختمه مرات وكرات ، وكان يعقد عند كل افتتاح مجلساً علمياً رائعاً يفتح دراسته فيه بعرض قيم كما يعقد مجلساً آخر عند كل اختتام .

(1) فهرس الفهارس 1 / 368 / 369 .

كنون

هو أبو عبد الله محمد بن المدني بن علي بن عبد الله كنون الفاسي. أصله من بني مستارة⁽¹⁾.

شيخ الجماعة الفقيه العلامة المشارك المحقق ولد بفاس وبها نشأ وتعلم أخذ عن عبد الرحمن الحجرتي وشيخه أبي عبد الله الحمومي وأبي العباس أحمد المريني وأبي محمد الوليد العراقي وأبي محمد عبد السلام بو غالب والقاضي ابن الحاج⁽²⁾.

وما لبث أن ظهر نبوغه وذاع ذكره وعم نفعه بسبب إقبال الناس عليه للأخذ والرواية والسماع فحضر مجلسه الخاص والعام وعندما ورد على فاس الشيخ محمد صالح الرضوي البخاري حضر مجلسه وجازه.

وصفه صاحب الفكر السامي بقوله :

« هذا الشيخ من أكبر المتعلمين في العلوم الشرعية الورعين المعلنين بالمعروف والنهي عن المنكر وخاتمهم في المغرب شيخ شيوخنا وشيخ شيوخ جل المغرب رأس علمائه في القرن الثالث عشر بلا منازع ، كان فقيهاً محدثاً نحويّاً لغويّاً معقولياً مشاركاً محققاً نزيهاً . »⁽³⁾

الاستقصاء 9 / 178

النبوغ المغربي 1 / 297 - 299 وفهرس النهارس 1 / 375 - 376

الفكر السامي 4 / 136 - 137 المعسول 1 / 218 - 220

دليل مؤرخ المغرب 1 / 94 و 208 مؤرخو الشرفاء 373 - 374

(2) فهرس النهارس 1 / 375

(3) الفكر السامي

واعتبره الشيخ عبد الحي الكتاني « آخر من أقام ناموس العلم بالمغرب وظهر بمظهر الجلال والعظمة من أهله »⁽⁴⁾.

ترك آثاراً كثيرة وكتباً مفيدة منها :

تكميل ما يخص من حاشية ابن زكري على الصحيح. شرح سيرة ابن فارس في السيرة .

الدرر المستنيرة بشرح حديث لا عدوى ولا طيرة⁽⁵⁾ .

تعليق على الموطأ في سفرين مطبوع .

وله فهرس ذكر فيه أشياخه في نحو كراسين .

توفي المترجم له ليلة الجمعة فاتح ذي الحجة عام 1302 هـ .

(4) فهرس النهارس 1 / 376

(5) النبوغ 1 / 295 .

الفقيه المقرئ عبد الرحمن بن موسى^(٢) .
وقد بقي المترجم مقبلاً على التدريس والاقراء وخاصة صحيح
البخاري بالضريح السائحي بالرباط إلى أن توفي سنة 1328 هجرية .

ابن موسى

أحمد بن محمد بن موسى السلاوي الحسناوي من همساوة وهي
فخذ من بني حسن ولد حوالي سنة 1280 ، وقد أقبل على العلم منذ
نعومة أظفاره ولازم الشيوخ والعلماء وأكثر الأخذ عنهم .

من أشهر شيوخه : المكي بن محمد الصبيحي ، والشيخ أحمد
الناصري ، وعبد الله بن خضراء والحاج علي عواد إلا أن شيخه الذي
تفرد به وأكثر ملازمته وصحبته هو أبو المواهب الشيخ العربي بن السائح
الذي كان سارده الوحيد في صحيح البخاري بالمسجد السائحي حيث
ظل مواظباً على ذلك ملازماً له إلى أن مات الشيخ فخلفه في قراءته كل
عام بضريح^(١) .

عمل المترجم بفاس بدار عدیل ومراكش وتطوان وآسفي والرباط
وغيرها . كان فقيهاً مشاركاً محدثاً حافظاً متفرغاً للتدريس والإقراء
وخاصة صحيح البخاري الذي لازم اسماعه وقراءته سواء بفاس بجامع
القرويين وبمراكش بالزاوية التيجانية أو بالرباط بالضريح السائحي
حيث خلف شيخه في دروسه في الصحيح إلى أن توفي رحمه الله .

له ختمات متعددة وتقاييد حسنة ممتازة واملاءات عجيبة وكانت
العادة أن تهدى له صلة جديدة من طرف زوجة الشيخ عند كل ختمة من
ختماته الشهيرة حول صحيح البخاري والتي تحتفظ لنا المكتبة العلمية
بختمتين نفيستين. الأولى توجد بالخرانة الملكية والثانية عند ولد المؤلف

أبو شعيب الدكالي

هو أبو مدين شعيب بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الدكالي الصديقي⁽¹⁾ محدث المغرب وراويته خادم السنة الشيخ الوزير والعلامة الكبير .

ولد في بيت علم وفضل وصلاح في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام خمسة وتسعين ومائتين وألف هجرية الموافق 20 أكتوبر 1878 .

بدأ تعلمه بحفظ القرآن حتى إذا اتقنه تعلم القراءات السبع على شيخه أبي العباس محمد بن المعاشي ثم أخذ العلم عن شيوخ بلده ووقته منهم عمه محمد بن عبد العزيز وولد عم أبيه عبد الرحمن بن الفقيه الصديقي والظاهر بن قدور بن الغربي الدكالي وغيرهم .

وقد وقعت له حادثة وهو ما زال صغيراً إذ كان عمره لا يتعدى الثالثة عشرة حيث أعلن عن امتحان لحفظ المختصر بمراكش فتقدم إليه من جملة המתحدين فحاز قصب السبق وفاز عليهم فوزاً عظيماً ولترك الشيخ يتحدث بنفسه عن هذا الحادث الذي أثار الانتباه إليه قال :⁽²⁾

لما كانت سنة ثمان وثلاثمائة وألف 1308 دعا السلطان مولاي الحسن الأول من يحفظ مختصر خليل لأجل الاختيار فحضرت كغيري

(1) ترجم له في : معجم الشيوخ 2/ 141 - جامع القرويين المجلد الثالث المحدث الحافظ - شيوخنا الوزير الاستاذ جعفر الناصري بحث مخطوط للشيخ محمد الفاضل بن عاشور .

(2) من ترجمة الشيخ بقلمه نقلاً عن بحث قيم للاستاذ جعفر الناصري ص 2 .

لمراكش واختبر الجميع فوجدت أحفظهم بين يدي الفقيه الوزير المرحوم سيدي علي المسفيوي ثم قال لي : هل تحفظ القرآن ؟ فقلت : نعم بالروايات السبع فأحضر من يعرفها وأمرني بالقراءة فقرأت .

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن بالقراءات فظن الوزير المذكور أنني عنيت بذلك وإن الرحمن علمني من الصغر .

وبعد اطلاع علم السلطان مولاي الحسن أمر بادخالي عليه فدخلت فقال لي : اعرب « الرمان حلو حامض » فأعربت فقال لي : أنت فقيه ولست بنحوي فقلت : أنا أعلم بالنحو مني بالفقه ولكنه بمنزلة قول الشاعر :

يداك يد في الوري خيرا وأخرى لأعدائها غائظة

فتعنت علي بعض الحاضرين ، وقال : زد إيضاحاً لسيدنا فقلت وقصده هو بمنزلة : « والذين كذبوا بآياتنا صم بكم في الظلمات » فضحك السلطان كثيراً وأمر لي بصلتين وكسوتين ولا يزال توقيعه بهما عندنا ونصه :

(يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه وكبر فنه) .

ثم خرج إلى الريف للتعلم والرواية وفي سنة 1314 رحل إلى مصر والتحق بجامعة الأزهرية، فلازم مشايخها وعلماءها وأخذ عنهم، وسمع منهم أمثال الشيخ علي البولاقي والشيخ علي الصالحى والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ الطيمومي والشيخ سليم البشري والشيخ بخيت والشيخ محمد محمود الشنقيطي وغيرهم .

ثم رحل إلى مكة وجاور بها واتصل بعلمائها ومحدثيها ووفود أهل الله بها وسمع منهم وروى عنهم وأجازوه جميعاً .

وفي سنة 1327 - 1910 عاد الى المغرب واستدعاه السلطان عبد الحفيظ إلى فاس حيث قرّبه منه وأدناه ورفع مكانته وأعلاه وأسند إليه رئاسة الدروس الحديثة بحضرته فتصدى لنشر العلم بجامعة القرويين، فأقبلت الناس عليه من كل حذب وصوب وذاع ذكره واشتهر امره وعم نفعه فولاه السلطان قضاء مراكش وأمره بالالتحاق بها فانتقل إليها ونقل نشاطه العلمي إلى جامعها اليوسفية حيث التف حوله علماءها وطلبتها وبقي كذلك إلى أن بويع للمولى يوسف فأُسند إليه وزارة العدل ورئاسة مجلس الاستئناف الشرعي، وأمر استئناف الدروس الحديثة بحضرته وأسند رئاستها إليه ثم ولاه شؤون المعارف الإسلامية وشؤون القرويين والوظائف الدينية تكريماً للشيخ وتقديراً لعلمه وكفاءته (3).

لقد ظل الشيخ منذ عودته إلى المغرب فارس حلبات الدرس وحلقات العلم التي انتقل إليها أو حل بها خلال جميع الوظائف التي اشتغل فيها فلم يكن يدع طلبته قط ولم يتأخر عن دروسه اليومية طوال مدة وظائفه ومهامه رئيساً لمجالس السلطان الحديثة بفاس وقاضياً بمراكش ووزيراً لعدة وزارات إلى أن لقي ربه .

ففي فاس عرفته رحاب القرويين وحلقاتها العلمية مفسراً محدثاً علامة داعية لم يفتر نشاطه العلمي لحظة منذ دخلها إلى أن انتقل منها حيث أقرأ صحيح البخاري والمقامات الحريرية وغيرها من العلوم والفنون (4).

وفي مراكش بمجرد وصوله إليها وحلوله بها افتتح دروسه العلمية بجامعتها اليوسفية يعلم ويسمع ويحدث ويروي إلى أن غادرها .

(3) شيخنا الشيخ الوزير أبو شعيب الدكالي : بحث مخطوط للاستاذ جعفر الناصري ص 8 وما بعدها .

(4) معجم الشيوخ 2 / 143

وفي الرباط لم يكد يستقر بها حتى استأنف دروسه التفسيرية والحديثية وغيرها ، فافتتح صحيح البخاري بالزاوية الناصرية بين العشائين إلى أن ختمه في يوم مشهود بتاريخ 4 جمادى الأولى 1338 - 1919 ، وكذا موطأ مالك بالجامع الأعظم أول النهار (5) .

كما أقرأ بمساجدها وأضرحتها بمسجد القبة وضريح سيدي فاتح بقية الكتب الستة ومسند أحمد والشافعي كما أقرأ صحيح مسلم وجامع الترمذي ومسند ابن ماجة الذي ختمه ختمة خالدة سنة 1344 - 1925 ، (6) .

كما أقرأ بها أغلب العلوم والفنون وخاصة علوم العربية من ألفية وبلاغة ومعلقات ومصطلح الحديث والاصول ومختصر خليل وغيرها .

وكان من عادته عند ختم كل كتاب أن يقيم لطلبته احتفالاً إما بمنزلة أو بإحدى متزهات الرباط يحضره طلبته والعلماء والأدباء .

لقد كانت دروس الشيخ علمية نموذجية حية وخاصة الحديثية منها فقد كان يبتدئ درسه بذكر سنده واتصاله برواة الحديث موضوع درسه ثم يأتي بترجمة رجاله وتعريفهم متكلماً على الحديث من الناحية الاصطلاحية من حيث الاتصال والانقطاع واختلاف اللفظ والرواية ثم يقوم بتحليله وشرحه ذاكرة ما يتعلق به من حوادث وأخبار وما يشهد له من آيات قرآنية ومورد الحكم الشرعي الذي تضمنه ومن أخذ به من الأئمة ، وإن كان أخذ به مالك توسع في الموضوع وبين وجهة ما أخذه ونظره عليه وكثيراً ما يوقع بكلام خليل ويستشهد به ثم يختم درسه بما استعاده منه وما استنبط من فوائد ولطائف ومعاني وغيرها مما يبرز حفظه

(5) المحدث الحافظ ص 91

(6) معجم الشيوخ 2 / 143 و 144

المحدث الحافظ ص 87 وما بعدها

ومشاركته وتحصيله وعمق إداركه وبلاغة تعبيره وحسن فهمه⁽⁷⁾.

كما سعى الشيخ إلى ربط وتوثيق الصلات الثقافية والعلائق العلمية التي كانت قائمة بين تونس والمغرب فقد قام بزيارة القطر التونسي زيارتين مشهورتين الأولى سنة 1346 / 1927 اجتمع فيها بمشاهير علمائها ومشايخها وجرت له معهم الأحاديث العلمية وتبادل معهم الانظار العالية وأجاز الذين استجازوه أمثال شيخ الاسلام أحمد بريم والشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومحمد بن يوسف وبلحسن النجار ومحمد العزيز جعيط ومحمد بن القاضي وغيرهم .

كما ألقى الشيخ بطلب من شيوخ الزيتونة وطلبتها درساً حديثاً فريداً كان سارده فيه شيخ الاسلام أحمد بريم .

وكانت رحلته الثانية سنة 1350 / 1931 رئيساً للوفد المغربي في مؤتمر اللغة والآداب والفنون حيث ألقى محاضرة في موضوع « اللغة العربية وتطوراتها »⁽⁸⁾.

ولقد كان الشيخ شعيب منقطع النظر عديم القرين في الحفظ والاستحضار وحسن الاملاء وقوة العارضة يكسوه جلال العلم وتعلوه هيبة الرئاسة إذا حدث أغرب وإذا أنس أطرب جواداً بعلمه ومائدته وماله كما وصفه تلميذه الأستاذ جعفر الناصري .

وقد عرف بجمعه لما يعز جمعه من قوة الحفظ ودقيق الفهم ومحكم التقرير كما وصفه شيخنا المرحوم الفاضل ابن عاشور⁽⁹⁾.

وكان إماماً في علوم الحديث والسنة وفقه معاني الآثار والخلاف

(7) الشيخ الوزير بحث الاستاذ جعفر الناصر ص 5 .

(8) من بحث قيم عن المترجم للشيخ الفاضل ابن عاشور ص 6 و 7 و 11 .

(9) من بحثه القيم عن المترجم ص 1 .

العالي والنازل ومعرفة أنظار أئمة المذاهب ووجوه أقوالها مع حفظ المتن والجمع بين الروايات ومعرفة المخرجين والمتابعين وأنساب الرواة وتراجهم متظاهراً بالعمل بالحديث والتمذهب به قولاً وعملاً داعية إليه ناصراً له متبحراً في علوم القرآن قراءاته واعرابه ناسخه ومنسوخه وأحكامه ومعانيه ووجود بلاغته وأنواع تفسيره متقناً لعلم القراءات عارفاً بوجوهها متمكناً في العلوم العربية بأنواعها حاذقاً بفنونها عارفاً بالأصول الصحيحة . . كما وصفه الفاسي في معجمه⁽¹⁰⁾.

لقد كان المترجم دائرة معارف حية متنقلة مفيدة ومدرسة علمية متميزة دائمة شملت المغرب كله مدنه وحواضره وبواديه وقراه كما شملت الحرمين الشريفين ومصر وتونس وسائر البلاد التي زارها وانتقل إليها .

وقد كرع من حياض هذه المدرسة العشرات من الشيوخ والطلاب وتعلم في رحابها وحلقاتها الآلاف وللأسف الشديد أن الشيخ لم يكن مولعاً بالكتابة والتحجير بل كان همه ونشاطه محصوراً في اللقاء والاملاء والمناقشة والحوار ولذلك لم يخلف صحفاً مكتوبة بل خلف آثاراً حية مفيدة تمثلت في طلبته وتلاميذه وما أنجبته مدرسته من علماء وشيوخ يفتخر بهم تاريخ الفكر المغربي والاسلامي والذين انبثوا في سائر البلاد المغربية يفيدون ويعلمون ويهدون ويرشدون قضاة وعلماء وكتاباً تخرج بهم واستفاد منهم بدورهم مئات العلماء والطلاب .

ويكفي المدرسة الشعبية أن من بين خريجها ونبغائها عالين جليلين كان لهما الدور الأكبر والأثر الأشهر في تاريخ التعليم والفكر المغربي هما المحدث الجليل الشيخ المدني بن الحسني والعلامة الشهير محمد بن عبد السلام السائح ، فإنهما نعم النموذج الحي والمثل الأرفع

(10) معجم الشيوخ 2 / 142

لآثار الشيخ وجهاده العلمي ومدرسته العلمية الخالدة (11) .

وما زال المترجم يواصل نشاطه ويتابع دروسه حتى إذا استكمل عمله وبلغ من الدنيا أمله واستوفى أجله لقي ربه يوم الجمعة 7 جمادى الأولى عام 1356 الموافق 16 - 7 - 1937 ودفن بزاوية مولاي المكي بالرباط رحمه الله ورضي عنه .

السائح

محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد السائح العلامة الكبير والباحث الشهير .

ولد بمدينة الرباط في ثاني عشر ربيع الأول 1309 الموافق 1891، ويرجع أصله إلى الجزيرة الخضراء من الأندلس التي هاجر أجداده منها إلى عدوة الرباط ، وقد كانوا يعرفون بآل العماني ثم شهرُوا بالسائح لكون جده انخرط في الجندية التركية بالجزائر وسافر إلى استنبول حيث انقطع خبره طويلاً فسمي لذلك بالسائح (1) .

بدأ تعليمه الأوّل بالكتاب حيث حفظ القرآن وأمهات المتون على شيخه عبد السلام كليطو والمهدي الصحراوي .

وانتقل منه إلى الأخذ عن الشيوخ الكبار وملازمتهم حيث درس عليهم أغلب العلوم والفنون من فقه وتوحيد وأصول ومنطق وتفسير وحديث وغيرها ، وقد كان أبرز شيوخه وأساتذته محمد بن العياشي وأحمد بن الفقيه الجريري وأحمد بن موسى السلوي والمكي البطاوري والشيخ أبو شعيب الدكالي ، وهذا الأخير هو عمده وأستاذه الذي تخرج به ولازمه طويلاً الملازمة وتأثر به (2) .

ثم رحل إلى فاس وانتظم في سلك طلبة جامعتها القروية

(1) فهرس الاتصال بالرجال للمترجم

مقدمة الفتح لبوجداد ص 194

(2) الشيخ المبدع ص 10 و 11

(11) لقد قام تلاميذ الشيخ ومحبوه بالتعريف به ومدرسته وكتبوه بحوثاً قيمة لولده الاستاذ عبد الرحمن وما زالت تحت يده تنتظر النشر والطبع وهو دين في عنقه لا يعفيه منه الا الوفاء .
« الشيخ أبو شعيب الدكالي » كما عرفته لوالدي الشيخ ابراهيم الكتاني .

فأخذ عن علمائها ومشايخها أمثال أبي العباس أحمد بن الخطاط الزكاري ومحمد بن إدريس القادري وأبي العباس المهدي الوزاني الذين أجازوه جميعاً .

وقد بدأ حياته العلمية أستاذاً بالمدرسة اليوسفية فمعهده الدروس العليا، وكلف سنة 1340 بتحديد سمت القبلة للمسجد الإسلامي بباريس، ثم تدرج في سلك القضاء بالجديدة وشراكة وفاس بالمحكمة العليا ومجلس الاستئناف الشرعي الأعلى .

وقد تصدر للتدريس وهو في مقتبل عمره فبدأ بإقراء المبادئ الأولى من أجرومية ونحو ومختصر خليل وغيرها ثم تصدى لإقراء الأربعين النووية وموطأ مالك بالزاوية القاسمية بالرباط بين العشاءين ، كما كان يدرس الشفا لعياض خلال شهر ربيع الأول وهمزية البوصيري بالزاوية القادرية (3) ، ثم تفرغ لإقراء سنن أبي داود بالعاصمة العلمية أثناء توليه القضاء بشراكة سنة 1352 في دروس منتظمة متصلة .

ثم انتقل منه الى قراءة صحيح البخاري بانتظام بين العشاءين طوال خمسة أيام من كل أسبوع من السبت إلى الأربعاء وذلك بجامعة القرويين ، وكان مجلسه الحديثي عند البلاط الأول بالكرسي الواقع بمكة الداخل من باب الجنائز ، وقد بدأ دراسته من أول صحيح البخاري واستمر فيه الى باب الوضوء (4) .

وكانت دراسته واقرأؤه لصحيح البخاري قراءة تحقيق وتدقيق وكان أسلوبه في درسه الحديثي متأثراً بطريقة وأسلوب شيخه الدكالي ، فقد كان يبتدىء درسه بعد شرح ترجمة الباب بتعريف وجيز لرواة الحديث

(3) الشيخ المبدع ص 30

(4) محمد السائح في منهجية تدريسه للحديث - مقال للاستاذ المنوني دعوة الحق ص 108 - ع 5 السنة

ذاكراً قواعد المصطلح مستدلاً بشواهد من ألفية العراقي وألفية السيوطي .

ثم ينتقل إلى شرح الحديث مبرزاً اختلاف الشراح رواية واعراباً وتفسيراً مرجحاً الاتجاه الذي يختاره من رأي الشراح ثم يبين ما يحتوي عليه المتن من نكت بلاغية أو بديعية ثم يقارنه ويستشهد له بإنشادات غالباً ما تكون أندلسية مستنبطاً من الحديث ما توصل إليه فكره وفهمه وادراكه العميق محلاً ذلك وفق قواعد أصول الفقه ومدققاً فيها مطيلاً حسب ميله إليها وتخصصه فيها مستنداً ذلك من مراجعها ومصادرها وخاصة الموافقات والاعتصام الشاطبيين .

وكثيراً ما يشير إلى ما تدل عليه الأحاديث أو تومىء إليه من قواعد إجتماعية وما تدعو إليه من فضائل ومزايا مطبقاً ذلك حسب مقتضى الحال على المكتشفات الحديثة وما وصل إليه التطور العلمي ، وأحياناً يخلل دروسه الحديثية بتفسير آي من القرآن الكريم كل ذلك في أسلوب سهلس وعبارة رشيقة رصينة والقاء جيد متمهل يروق السامع والمتلقي والمستفيد جميعاً (5) .

لقد كان الشيخ السائح حركة دائبة ومدرسة علمية متنقلة ، يعقد حلقات الدرس ويلتزم تلاميذه وطلابه أينما حل وارتحل ، يعلم ويفيد ويقرئ ويسمع ولا يفتر عن ذلك لحظة ولا يصرفه عن نشاطه العلمي واتصاله بالطلاب وظيف ولا شغل ولا مهمات رسمية، شغوفاً بالحوار والمناظرة دائباً على الكتابة والتأليف مما أغنى الخزانة المغربية بإنتاجه القيم المتنوع في شتى العلوم والفنون والذي امتاز بأسلوب البحث والتقصي والتحقيق والمقارنة بفضل اطلاعه الواسع ومشاركته الكثيرة في المؤتمرات

(5) المصدر السابق ص 109

العلمية والندوات واحتكاكه بالمستشرقين ومعرفته للغة الفرنسية مما وسع آفاقه وأغنى بحوثه وكتاباته .

ونذكر من بين مؤلفاته وكتاباته :

تحقيق الأمانة مما لاح لي من حديث إننا أمة أمية .

المطبعة الوطنية بالرباط 1351 - 1932.

منهل الوارد في تفضيل الوارد .

الشرف المروم بأحاديث فتح مدينة الروم .

المفهوم والمنطوق مما ظهر من العيوب التي أنبأنا بها الصادق المصدوق .

تفسير السور الختامية من القرآن الكريم .

التنبيه إلى أحكام التشبيه .

سوق المهر إلى قافية ابن عمرو .

شرح أرجوزة في المديح النبوي لمحمد بن محمد التهامي بن عمرو .

المطبعة الاقتصادية 1357 - 1938

شرح قافية ابن الونان .

لسان القسطاس في تاريخ مدينة فاس .

الغصن المهصور بمدينة المنصور .

الرحلة الحجازية .

الاتصال بالرجال وهي فهرس أشياخه .

كما للمترجم أبحاث قيمة نشر بعضها بمجلة « دعوة الحق » نذكر منها :

- العلوم في الحديث النبوي ع 9 - 10 س 11 ص 10 إلى 14 .

- مشاهد القيامة في الحديث ع 1 - س 12 ص 32 - 34 .

- تكوين الجنين في القرآن والحديث ع 9 - 10 س 13 ص 14 - 15 .

وقد توفي المترجم في يوم الاثنين 16 ذي القعدة 1367 الموافق 20

- 9 - 1948 . ودفن بالزاوية الوزانية بالرباط .

المدني بن الحسين

محمد المدني بن الغازي بن الحسين الرباطي العلامة المحدث
المشارك المحقق .

ولد في بيت علم وصلاح وطهر في الثاني عشر من ربيع الأول سنة
1307 الموافق 1890 وكان والده فقيهاً صالحاً غير أنه توفي في السنة
الأولى لولادته فكفله جده لأمه الأمين عبد السلام التازي وسهر على
تربيته وتوجيهه ورعايته .

وتعلم المترجم أولاً في الكتاب فحفظ القرآن وأهم المتون
والمبادئ الأولية على شيخه وعمدته أبي زيد عبد الرحمن بریطل وكان
جده يصحبه معه في رحلاته وأسفاره الكثيرة حيث استفاد كثيراً والتقى
بمجموعة كبيرة من العلماء والشيوخ .

ثم أخذ في تلقي العلوم والفنون على شيوخ وقته وعلماء بلده وكان
أبرز من أخذ عنهم ولازمهم واستفاد منهم الشيخ أبو حامد محمد المكي
البطاوري والجيلالي بن ابراهيم وأحمد بن قاسم جسوس وأحمد بن موسى
السلوي والشيخ شعيب الدكالي وهو عمدته في أغلب العلوم والفنون
إذ أنه لازمه وحضر مجالسه أكثر من عشرين سنة وأجازته وقربه منه وأدناه
(١) كما أجازته المشايخ الأجلة عبد الحي الكتاني والمهدي متجنونس
والمهدي الوزاني وبدر الدين المغربي وغيرهم .

(١) الحافظ الواعية ص 15

وقد ظهر نبوغ الشيخ مبكراً فذاع صيته وانتشر ذكره وأخذ الناس
يقصدون مجالسه العلمية منذ جلس للدرس والتعليم وقد أسهم في
تأسيس مدرسة حرة ، وقام بوضع برامجها ومناهجها وانتدب عضواً في
المؤتمر العلمي بالصدارة لاصلاح التعليم وأساليبه في المدارس سنة
1341 / 1922 .

وقد قضى المترجم حياته قاضياً عضواً بمجلس الاستئناف الشرعي
فمستشاراً ثم رئيساً له لمدة مديدة ثم قاضياً للقصر الملكي ورئيساً لهيئة
امتحانات القرويين .

تصدر للتدريس والاقراء وهو في ريعان شبابه ومقبل عمره حيث
هرع الناس وخاصة طلاب العلم الى مجالسه للأخذ عنه والتعلم منه
إذ بدأ يقرأ ألفية ابن مالك والاجرومية والصرف والبيان ثم الاصول
بورقات امام الحرمين ومرتقى الوصول والتوحيد والفقه والسيره ثم انتقل
منها الى إقراء مصطلح الحديث باليقونية والحديث وشماثل الترمذي
والأربعين النووية وموطأ مالك وكان يفتح درسه بذكر سنده إليها .

ثم بدأ قراءة صحيح البخاري مقتصراً على السرد عدا يومي
الافتتاح والاختتام حيث كان يعقد لهما مجلساً علمياً خاصاً يملئ فيه درسه
حول أول حديث في البخاري وكذا يوم اختتامه وذلك في يومين
مشهودين يحضرهما علماء العدوتين وطلبته وذلك بضريح سيدي العربي
ابن السائح .^(٢)

ثم انتقل الى قراءة صحيح البخاري قراءة منتظمة مع طلبته قراءة
استيعاب وتحقيق وتدقيق من أوله إلى آخره يفتتحه بعقد مجلس علمي
حافل يملئ فيه افتتاحاً عظيماً يظهر عبقرية وعمقه وأصاله علمه وادراكه

(٢) المصدر السابق ص 53 و 54

كما يملئ عند الاختتام في مجلس حافل أيضاً ختمة علمية ممتازة ومن حسن الحظ أنه تعود تحرير افتتاحياته وختماته والتي ما زالت تحتفظ بهما الخزانة الملكية⁽³⁾.

كما كان يهتم ويواظب في شهر ربيع الأول من كل سنة على إلقاء همزية البوصيري ويختمها في مجلس حافل وكذا البردة وقصيدة بانت سعاد ولامية البوصيري وغيرها مما يتعلق بالسيرة .

وكانت دروسه تملأ مساجد الرباط وغيرها من مساجد مدن المملكة وأضرحتها حيثما حلّ وارتحل ، ففي الرباط أقرأ في الجامع الكبير والسدة والقبّة والنخلة والزاوية المعطوية وغيرها .

وفي مراكش أقرأ في جامعي المواسين وابن يوسف .
وفي طنجة أقرأ في الجامع الكبير .

وكان درسه نموذجياً يعتمد على طريقة الاملاء والحفظ والاستيعاب في أسلوب جزل سهل ممتاز يقوم على السجع والبلاغة ويمتاز بالبيان والسلاسة ، والتحقيق والتدقيق في جمل أنيقة وعبارات سليمة رائقة تتخلله النكت البليغة والاشارات الأدبية الرقيقة واللمحات الذكية الرشيقة .

لقد أمضى الشيخ حياته في التعليم والإفادة والتوجيه وكان شأنه شأن أستاذه الدكالي محافظاً على دروسه اليومية ملازماً لها شديد الملازمة لا تعطله عنها وظيفة ولا يشغله عنها شاغل فتكون على يده جيل من الأساتذة والعلماء وتخرج به مئات بل آلاف من النبغاء .

كما ترك آثاراً جلييلة وكتباً قيمة في شتى العلوم والفنون ما زالت كلها مخطوطة تنتظر يداً حانية وهمة عالية تمتد إليها وتنقذها من النسيان،

(3) وقد درسنا بعضها في فصل لاحق وتوجد بخزانتي مصورة عنها .

وتخرجها إلى النور كي يستفيد منها شبابنا ويطلعون على صفحات مشرقة ممتعة من تراث عالمنا الجليل وشيخنا الكبير نذكر منها⁽⁴⁾ :

- الفتح القدسي على قافية الأوسي .
 - تحرير على طالعة رسالة القيرواني .
 - الفوائد اللطيفة في ذكر كتب السنة الشريفة . نظم فيه الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني .
 - أريج الزهر في تخريج أحاديث المختصر .
 - دليل السائل إلى أجوبة المسائل .
 - شرح مختصر أبي الضياء خليل الفقهاء .
 - فتح الهادي بختم لامية المجراد .
 - الروض المنمنم بختم السلم .
 - سبائك اللجين بختم ورقات الحرمين .
 - منح النيحة في شرح النصيحة وهو شرح نصيحة سيدي محمد بن جعفر الكتاني في مجلدات .
 - حلية الراقي بختم ألفية العراقي .
 - التمهيد لأحاديث التلخيص .
 - إفتتاحياته لصحيح البخاري الأربع واحدة منها سماها : الميدان الفسيح من بسملة الصحيح .
 - الفوائد الإبداعية من وصية البخاري الرباعية .
 - المورد المعين في ختم الأربعين .
- وقد توفي المترجم سنة 1378 ودفن بضريح سيدي علي بن حمدوش بالرباط .

(4) الحافظ الواعية ص 61 وما بعدها

الرحالي الفاروق

أبو عبد الله الرحالي فاروق بن رحال بن العربي بن الجيلالي بن عبد الخالق الجمومي السرخيني العلامة المحدث العميد .

والرحالي الأسم الخاص وهو على صورة النسب وعلة ذلك أن رجلاً من أولاد رجال الكوش المشهور ضريحه بناحية مراكش انتزع عن قومه وأوى إلى عشيرة المترجم وعد من أحلافهم فغلب عليه الرحالي فلما ولد المترجم أبى والده إلا أن يسميه باسم الرحالي وينقل ذلك النسب ويجعله علماً عليه لما لمح في المسمى من المرؤة والنباهة والفضل والقناعة⁽¹⁾

اشتهر والده بمصاحبة أهل الفضل والمعرفة وبحب الخير والسعي في المصلحة العامة فكان يوزع الطعام على الفقراء ويرعاهم بنفسه، وأقام ببلده مدرسة تجمع بين قراءة القرآن ودراسة العلم رغم أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولذلك كان محبوباً ومقصوداً يختلف إليه الناس في منازعهم ومنازعاتهم ويلجأون إليه للفصل فيما بينهم وقضاء حاجاتهم ورغباتهم ، وكذلك كان جده رجلاً خيراً صالحاً فاضلاً ويحكى أنه سأل الله تعالى أن يقبض روحه قبل دخول الفرنسيين فمات قبل الحماية بسنة .

ولد المترجم أواخر عام عشرين وثلاثمائة وألف وتربى في كنف والده ورعايته ونشأ تحت إشرافه وكفالاته فابتدأ تعليمه بالكتاب القرآني حيث

(1) من ترجمة الشيخ بقلمه ص 2

حفظ القرآن بقراءة ورش على شيخه أحمد بن المختار الرحالي حتى إذا أتقنها حرفاً ورسماً أخذ عنه بقية القراءات السبع تبعاً ورواها عنه قراءة وسماً فلما أتقنها احتفل لذلك والده أيما احتفال وأشار عليه شيخه أن يوجهه لاستكمال العلم والتفقه في الدين فاستدعى له بعض العلماء من مراكش منهم العلامة محمد أجسيم السوسي فلأزمه مدة ثلاثة أعوام حفظ فيها كثيراً من المتون ودرس عليه عدة فنون .

ثم رحل إلى مراكش والتحق بجامعةها اليوسفية واستخلص لنفسه بعض علمائها واصطفى للأخذ بيده بعض صلحائها وفي مقدمتهم أبو شعيب الشاوي المعروف بابن الرامي الذي يعتبر شيخه وعمده الذي لأزمه وتخرج به ومحمد بن عمر المسفيوي والحاج عبد السلام بن المعطي السرخيني ومحمد بن أبي بكر السرخيني ومحمد بن التاودي السرخيني والحاج العربي الرحاني البربوشي أخذ عنه المختصر بالخرشي وأبو شعيب الدكالي أخذ عنه الحديث بمراكش والرباط .

وبعدما قضى برحاب جامعة مراكش سبعة أعوام يكرع من حياضها ويستقي العلوم من ينابيعها ويروي عن رجالها انتقل إلى جامعة القرويين بفاس وأقبل على دروسها ولازم شيوخها وعلماءها وفي مقدمتهم شيخ الجماعة أحمد بن الجيلالي والحافظ عبد الرحمن بن القرشي والمحقق الراضي بن سنان وسيدي الحسين العراقي والعلامة محمد بن الحاج السلمي الذي اشتدت صلته به فألفه وقربه إليه وأكثر من التردد عليه. أخذ عنه المختصر الخليلي بجبل شروحه والموطأ بجامع الشرفاء⁽²⁾ .

فلما قضى بجامعة القرويين وطره وأتم غرضه وقصده عاد إلى مسقط رأسه وتصدى لنشر العلم وإرشاد الناس فبنى مدرسة بمساعدة والده وبعد فترة انتقل إلى قلعة السراغنة يعلم بها ويرشد ويوجه مدة أربعة

(2) المصدر السابق ص 4 .

أعوام إلى أن فاجأه موت والده فعاد إلى مسقط رأسه ومستقر أسرته لإدارة مصالحها وتسيير شؤونها ، وبقي هنالك مدة إلى أن انتقل إلى مراكش للتدريس بجامعة ، وقد استمر على ذلك إلى سنة 1357 حيث انتظم التعليم بها كما هو الشأن في جامعة القرويين فاستدعي للمشاركة في سلك النظام والانخراط فيه .

ولم يقتصر نشاطه على التعليم بالجامعة اليوسفية بل امتد إلى رحاب مساجد مراكش وجوامعها وفي مقدمتها جامع الكتبية وجامع ابن يوسف اللذان شهدا ولفترة طويلة دروسه التفسيرية والحديثية الجامعة .

كما ساهم في إصلاح التعليم الأصل وتنظيم مناهجه وأسس كلية اللغة العربية التي عين أول عميد لها سنة 1963، فنظمها وارتبط كل الارتباط بها منذ البداية إلى الآن رغم ما لاحظته مما يعوزها من الوسائل الضرورية هي واخواتها في فاس وتطوان لتكون أساسا لقيام هيكل جامعي إسلامي له معناه ومغزاه ولحاجة التعليم الأصل إلى تصميم كامل وبحث شامل للطرق المادية والمعنوية التي تضمن كرامة أقدم جامعة إسلامية تقوم في عصر الذرة القاهرة والصواريخ العابرة محتفظاً بمستواه ومحتواه⁽³⁾ .

لقد أصبح الشيخ الرحالي الفاروق في عهد الحسن الثاني من معالم الفكر الإسلامي وأصبح نجم الدروس الحسنية بدرس الحديثي - غالباً - بما يمتاز به من أسلوب عربي فصيح بليغ وتفكير إسلامي منظم منسق عميق .

ويعتبر من بين علمائنا وشيوخنا القلائل الذين امتحنوا أيام الأزمة السياسية والمحنة الوطنية الكبرى فسجن وامتحن وصبر وصابر وأبى أن

(3) المصدر السابق ص 7 و 8

يباع ابن عرفة صنيعة الاستعمار متحدياً وقائلاً : « السدين يمنعا والاسلام لا يسمح لنا » .

وتتنوع آثار المترجم التي يعتبر في مقدمتها تلاميذه الذين أخذوا عنه وتعلموا منه سواء بالجامعة اليوسفية أو في مساجد مراكش وجوامعها وفي دار الحديث الحسنية حيث كان يقرئ البخاري .

فقد كتب عشرات المقالات والبحوث والكلمات في شتى المواضيع والجهات نشر أغلبها في الصحف والمجلات وفتاوى فقهية وأحكاماً شرعية لوجعت لجاءت في سفر كامل، ومطارحات ومساجلات أدبية سطت عليها يد الاستعمار في أثناء مضايقته وتفتيش داره .
ومن آثاره أيضاً :

- « فتح العلي القادر على توحيد الإمام ابن عاشر » وهي طرر عليه كتبها سنة 1360 .

- « والاعلام والاشادة بما انطوت عليه مقدمة البداءة » وهي تعليق على بداءة المجتهد ونهاية المقتصد .

- وتعليق على تفسير ابن عطية في سورة البقرة وسورة آل عمران .
- وكتاب في ذكر التوحيد والاشادة بفضله واعتبار حكم العقل فيه .

- وكتاب حول الجنب المحمدي .
- وكتاب حول الاغلاط الموجودة في معجم أقرب الموارد للشرطوني اللبناني⁽⁴⁾ .

- وارشاد كل تائه وغافل وساري إلى الحديث الذي ختم به الإمام

(4) المصدر السابق ص 10

البخاري وهي ختمته لصحيح البخاري .

ومحاضراته ضمن الدروس الحسينية ونذكر منها :

« الدين النصيحة » وقد نشرته المطبعة الملكية سنة 1389 -

1969 .

« وسبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » .

وحديث هرقل وأبي سفيان وغيرها مما نشر ضمن الدروس الحسينية التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

وما زال عطوؤه متجدداً ونشاطه دائماً أمد الله في عمره وحفظه ورعاه .



المبحث الثاني

نماذج من سند المغاربة

إلى صحيح البخاري

أولاً : تمهيد

آثرنا في هذا المبحث أن نذكر أمثلة مختلفة من سند بعض العلماء والمحدثين إلى صحيح البخاري في مختلف العصور والأجيال ما علا منهم سنده وما نزل تأكيداً واثباتاً لجهد علمائنا وتحملهم الكثير من سعي وسفر وتغريب فقد أنصوا المطي وأطالوا الرحلة من أجل الحصول على سند عال والإتصال والرواية عن شيخ سنده أعلى وأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تحصل لهم الخيرية التي بشرها عليه السلام في قوله :

« خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

وقد تسابق علماءنا للحصول على هذا الشرف ونيله بكل الوسائل والطرق وتحملوا المتاعب والمشاق والأهوال مفتخرين بما حصلوا عليه من عالي السند وبما وصلوا إليه من القرب الشريف فهذا الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة 1129 يباهي بعلو سنده إلى البخاري ويفخر قائلاً :

« لمثلي فليسع لأن بيني وبين البخاري تسعة » .⁽¹⁾

(1) فهرس الفهارس 2 / 123

وذلك الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني المتوفى سنة 1323 يرويه مباحياً بسنده العالي قائلاً : « وأرويه بسند عال جداً فيكون بيني وبين البخاري عشر وسائط . . . » (2) .

ومثله ما قاله الشيخ عبد الحي الكتاني في إجازته المطبوعة عن سنده إلى البخاري . . . « فبيني وبين البخاري عشر وسائط وبيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار ثلاثيات البخاري أربع عشرة واسطة وهذا السند أعلى ما يوجد الآن في الدنيا شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً براً وبحراً » (3) .

وقد تفنن العلماء المغاربة واجتهدوا في وصل سندهم بالبخاري وتنويعه حسب النسخ والروايات والطرق فقد روه نثراً ونظماً كما فعل الكثيرون ومنهم الشيخ عبد القادر الكوهن المتوفى سنة 1254 ، فقد روى البخاري برواية ابن سعادة وأورده نظماً كما جاء في افتتاحيته لصحيح البخاري (4) كما سنورد ذلك فيما بعد .

ورواه الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني المتوفى سنة 1327 مسلسلاً بالمحمدين ومسلسلاً بالمالكية وبالشافعية وبالحنفية (5) إلى غير ذلك من الطرق والأسانيد التي حفلت بها فهارس المحدثين ومعاجمهم .

ثانياً : نماذج وأمثلة من سند المغاربة إلى صحيح البخاري .

سنقتصر هنا على ذكر بعض النماذج من سند علمائنا ومحدثينا إلى صحيح البخاري استدلالاً وتأكيداً على عظيم عنايتهم وشديد اهتمامهم

(2) فهرسه ص 7

(3) من إجازته المنشورة بكاملها في فصل سابق

(4) افتتاح البخاري ص 44 و 45

(5) ختم البخاري للشيخ الكتاني ص 2 و 97

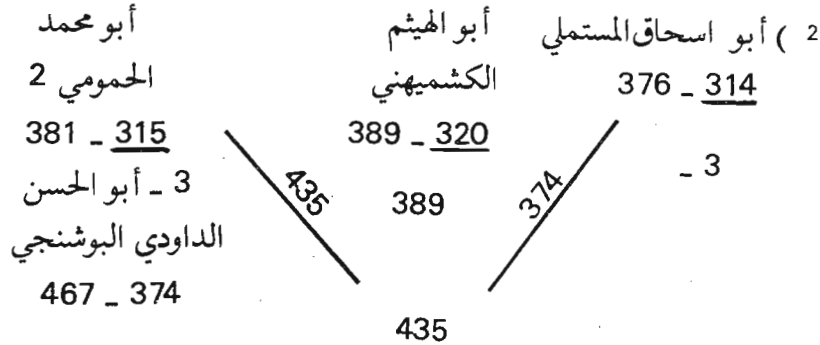
بالجامع الصحيح .

فقد روى ابن رشيد السبتي صحيح البخاري بسندين صحيحين وكان بينه وبين البخاري سبعة رجال في السند الأول وهو سماعي ، كما كان بينه وبين البخاري خمسة رجال والسند الثاني بطريق الاجازة .

سند الجامع الصحيح بين الإمام البخاري وعصر ابن رشيد في كتاب إفادة النصيح (6)

السند الأول (1) أبو عبد الله الفربري السند الثاني

48 - 320 / 252



أبو ذر الهروي

4 - أبو عبد الله بن منظور 499 - 331 4 - أبو الوقت السجزي

458 - 553

433 - 476 أبو عبد الله شريح

(6) الأرقام التي حول الرواة وتحتها خط هي سنة أخذ الراوي عن شيخه والرقم المحادي يعني سنة الوفاة .

5 - أبو القاسم بن منظور 520. 5 - أبو نصر بن ميميل

549 - 635 .

أبو الحسن بن شريح

أبو بكر بن الجدد 586 .

أبو محمد الحجري 591 .

7 - أبو مروان الباجي 635 .

أبو الحسن الغافقي الشاري

571 - 649 .

سند رضوان الجنوي 991 :

قال الفشتالي ورأيت بخط القصار ما صورته :

وقلت لما أجاز سيدي رضوان الجنوي أمير المؤمنين السلطان أبا
العباس المنصور ما صورته (8) .

روى البخاري أمير المؤمنين
عن الولي سيدي رضوان
عن زكريا عن ابن حجر
عن الزيري عن أبي الوقت عن
عن الفربري عن البخاري
عن زركش الشأن المسند
عن الفراوي مسند الوجود
عن أبي سفيان الولي عن مسلم
الحسني المنصور ذو الفتح المين
عن سيدي سفيان السفیان
عن التنوخي عن الحجار
الداودي عن السرخسي الفطن
ومسلما لزكريا الغماري
عن العساكر المؤيد
عن عبد الغافر عن الجلودي
أبقاه ربنا لحوط المسلم

(7) تقديم كتاب إفاضة النصح للأستاذ محمد العلمي حمدان ، دعوة الحق ع 1 س 17 ربيع الثاني
1395 ماي 1975 ص 104

(8) نزهة الحادي ص . 13 و 131

سند أبي العباس بن ناصر الدرعي 1129 :

قال أبو العباس المهشوكي في إجازة كتبها على لسان أبي العباس
ابن ناصر لأولاد أبي الحسن علي النويري الحربي الصفاقسي ناظماً هذا
السند (9) .

روى علمه عن منتهى العلم في القطر
تفرد بالتحقيق في كل ما يقري
ولكن لدى السراج نوره يسري
ويكفي ابن هارون دليلاً على الغير
وأما ابن هارون علي فقد روى
على علم الدنيا ابن غازي وحسبنا
فإن شئت باقي المسنين رواية
تنادي على ما لابن غازي وقدة
واسناد شيخنا الإمام ابن ناصر
محمد المصمودي العالم الذي
روى علمه عن منتهى القول جملة
كما أخذ السراج عن غير واحد
وأما ابن هارون علي فقد روى
على علم الدنيا ابن غازي وحسبنا
فإن شئت باقي المسنين رواية
تنادي على ما لابن غازي وقدة

سند الشيخ عبد القادر الكوهن 1254 :

حمدا لمن بفضلته ألهما
ثم صلاته على النور الذي
وآله وصحبه الثقات
هذا وإن الإلتما للمصطفى
ونشرنا لجامع الجعفي
فيه اشتاله له وأي منتهى
أرويه عن أبي العلاء العراقي
نشر الحديث وبه أكرما
حض على التبليغ كما نحتدي
ومن روى عنهم من الاثبات
حصن وعصمة لمن على شفا
بسند صح إلى النبي
من أجل قلنا ايثسا بالعلما
نجل الحسين الطيب الاعراق

(9) فهرس الفهارس 1 / 212

(10) من افتتاح البخاري له ص 44 و 45

عن ابن سودة الهمام العالم
محمد عن شيخه الشهيد
عن الإمام نخبة الأكابر
عن عمه العارف عبد الرحمن
امامه الوالي عن سقين
عن ابن غازي الكوكب الوهاج
محمد وهو عن أبيه
عن شيخه البركة البلقيني
ابن الزبير عن أبي الخطاب
عن شيخه محمد بن يوسف
عن الإمام الصدي المكاثف
يرويه عن أبي الوليد الباجي
اعني ابادر الائمة
سادتنا السرخسي والمستملي
عن الفربري عن البخاري
الحجة المحجة القويمة
من اذعنت لعلمه الفحول
بجاههم إلا هي أجبر كسري
وأجرنا وانفعنا بهم جميعا
بجاه أشرف الورى الفضال
صلى عليه الله ذو الجلال
عن شيخه جسوس بن قاسم
عبد السلام الصوفي الفريد
سيدنا الفاسي عبد القادر
عن شيخه القصار قل عن رضوان
العاصمي الحافظ دون مين
يرويه عن سراج السراج
عن جده يحيى التقي النبيه
عن أبي جعفر ع يا رقيق
أي ابن واجب بلا ارتياب
بن سعادة الامام المقتفي
الحافظ الشهيد نعم العارف
عن الإمام الهروي الناجي
لي الثلاثة بدور الامة
وابن زراع الثبت كل يملي
محمد سيد كل قار
والآية البينة العظيمة
واغبطوا بكل ما يقول
واشرح لطاعتك ربي صدري
واجعلهم حصنا لنا منيعا
خاتم الانبياء والارسل
والآل والصحب ذوي الكمال

سند الشيخ محمد الفضيل بن الفاطمي الشيبه 1328

يقول الشيخ في مقدمة شرحه لصحيح البخاري :

قرأت صحيح البخاري عن شيوخه الثلاثة :

أبي العباس سيدي أحمد بن محمد المرنيسي.

وأبي عبد الله سيدي محمد بن حمدون بن الحاج السلمي
وأبي العباس سيدي أحمد بن أحمد بناني وأجازني به الأخير ،
فالأول عن أبي العباس أحمد بن التاودي بن سودة ،
والثاني عن والده المذكور .

والثالث عن أبي عبد الله سيدي محمد السنوسي .

ثلاثتهم عن شيخ الجماعة التاودي بن سودة المري .

عن أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس .

عن أبي محمد عبد السلام بن حمدون جسوس .

عن الشيخ القدوة سيدي عبد القادر بن علي الفاسي .

عن عمه أبي زيد عبد الرحمن العارف بالله .

عن الشيخ القصار الذي عليه المدار .

عن ولي الله أبي نعيم رضوان بن عبد الله الجنوي .

عن سقين العاصمي .

عن ابن غازي .

عن أبي عبد الله محمد بن عيسى بن أحمد السراج .

عن أبيه عن جده .

عن أبي البركات البلقيني .

عن أبي جعفر بن الزبير .

عن أبي الخطاب بن خليل عن أبيه .

عن أبي عمران موسى بن سعادة .

عن الصدي عن الباجي عن أبي ذر الهروي .

عن شيوخه الثلاثة السرخسي والمستملي والكشميهني .

عن الفربري .

عن أبي عبد الله البخاري .

وأجازني بأعلى سند يوجد في الدنيا الشيخ الفاضل أبو الحسن علي ابن طاهر الوتري الحسيني المدني .

عن شيخه عبد الغني العمري المدني عن شيخه محمد عابد الأنصاري السندي ثم المدني .

عن الشيخ صالح العمري الفلاني ثم المدني عن الشيخ المعمر محمد بن سنة العمري الفلاني .

عن أبي الوفاء أحمد بن محمد الفحل اليمني عن قطب الدين محمد بن أحمد النهر والي .

عن نور الدين أبي الفتوح أحمد بن عبد الله بن أبي الفتوح الطاوسي عن المعمر بابا يوسف الهروي عن محمد بن شاذ بخت الفاسي الفرغاني عن المعمر أحمد الابدال بسمرقند أبي لقمان بن يحيى بن عمار ابن مقبل بن شاهان الختلائي بسماعه جديعه عن محمد بن يوسف الفربري بسماعه على مؤلفه .

فيكون بيني وبين البخاري اثنا عشر نفساً وتقع في ثلاثياته بسة عشر . أخذت هذا السند المذكور عن الشيخ المذكور بضريح قطب الأقطاب ونور الأنوار مولانا إدريس عام 1297 هـ (11) .

سند الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني 1323

يقول الشيخ جعفر الكتاني في فهرسه :

وأروي البخاري بسند عال جداً عن الشيخ محمد عابد السندي بسنده المذكور في الموطأ إلى الختلائي عن محمد بن يوسف الفربري عن البخاري فيكون بيني وبين البخاري عشر وسائط فتقع في ثلاثياته بأربع

(11) انظر المجلد الاول من الفجر الساطع على الصحيح الجامع .

عشرة والله الحمد وقد نظمت في أبيات من بحر الرجز فقل (12) :

يقول بعد حمد ذي الاحسان جعفر الشهير بالكتاني
رويت جامع البخاري الماهر من حاز أكمل الكمال الباهر
عن عابد عن صالح الفلاني عن شيخه ابن سنة الفلاني
عن شيخه العجل عن محمد وهو عن أبي الفتوح أحمد
عن يوسف الهروي عن محمد وهو ابن شاذ بخت دون فند
عن شيخه يحيى عن الفربري عن البخاري الشهير الذكر

سند الشيخ الكتاني إلى البخاري مسلسلاً بالمحمديين.

يقول الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني 1327 في ختمة البخاري (13) .

«.. و بسند آخر إلى البخاري مسلسلاً بالمحمديين فنقول وأنا محمد أروي جميع صحيح البخاري عن مولانا الوالد محمد عبد الكبير عن سيدنا الجد العارف بالله تعالى الدال عليه سيدي محمد الكتاني اذنا عن الفقيه محمد بن أبي الفيض حمدون بن الحاج السلمي عن المحقق أبي عبد الله محمد بن الطيب بن كيران عن العلامة محمد بن الحسن بناني عن العلامة محمد بن عبد السلام بناني عن المحقق محمد بن عبد القادر الفاسي عن محمد البابلي إجازة عن الشمس محمد حجازي الواعظ عن النجم محمد بن أحمد الغيظي عن الشمس محمد بن محمد الدليجي العثماني عن الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي عن تقي الدين محمد بن نجم الدين محمد الهاشمي العلوي المكي أخبرنا الحافظ الجهمال محمد بن الشفيق المخزومي أنا الضياء أبو الفضل محمد بن

(12) أعلام أئمة الاعلام وأساتيدها بما لنا من الرويات وأسانيدها وهي فهرسة صاحب السند ص 7

(13) ختمة البخاري للشيخ المذكور ص 97

عبد الرحمن المالكي أنا أشرف محمد بن محمد بن علي بن حسين الطبري
أنا ابن عبد الله محمد بن علي أنا أبو المظفر محمد ابن مهاجر الموصلي أنا
أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الجبائي أنا فقيه الحرم أبو عبد الله محمد بن
الفضل أحمد الصاعدي الفزاري أنا محمد بن علي بن الحسين أنا بازي
النيسابوري محمد أبو سهل بن أحمد بن عبد الله الحفصي المروزي أنا أبو
مشيخ محمد بن علي بن محمد المكي بن زراع المروزي أنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف الفريزي أنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري .

سند آخر للشيخ الكتاني إلى البخاري مسلسلاً بالمالكية :

حدثنا به الشيخ الامام العالم الرباني أبو المكارم وأبو النغيث
وأبو الندى وأبو الأنوار محيي رسوم الطريق بعد عفاء آثارها ومشيد
أركانها بعد خفاء أخبارها وغيوبة أنوارها مولانا الوالد أمتع الله به
ورفع في العالمين قدره وأبقى في الصالحات ذكره عن المحدث أبي العلاء
إدريس بن محمد بن أحمد السنوسي المتوفى بالمدينة المنورة قراءة منه عليه
عن والده أبي عبد الله محمد بن أبي عبد الله العلامة محمد التاودي بن
الطالب السوداني المري عن جماعة من شيوخ المغرب منهم العلامة أبو
عبد الله محمد بن عبد السلام بناني شارح الاكتفاء والزقافية وغيرها عن
شيخه المحقق أبي عبد الله محمد بن الامام سيدي عبد القادر بن علي
الفاسي الفهري عن والده أبي السعود سيدي عبد القادر بن علي بن
يوسف بن محمد الفهري عن عميه العارف أبي زيد سيدي عبد الرحمن
والنقادة سيدي العربي الفاسيين عن شيخهما الامام محمد بن قاسم
القصار الغرناطي القيسي الفاسي الدار عن شيخه أبي العباس التسولي
عن أبي العباس الدقون الصنهاجي عن أبي عبد الله محمد بن يوسف
العبدري عرف بالمواق عن أبي عبد الله القيسي المنشوري عن ابن جزري عن
أبيه عن ابن الزبير عن أحمد بن واجب عن أبي عبد الله بن سعادة عن

عمه أبي عمران موسى بن سعادة عن الامام أبي علي الصدي وروى
روى محمد بن سعادة عن أبي عبد الله الصدي بلا واسطة عميه عن أبي
الوليد الباجي عن أبي ذر الهروي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن
حموية الحمدي السرخسي وغيره عن الفريزي عن أعجوبة الدنيا محمد بن
اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن برد زبة بن الاحنف الجعفي مولا هم
البخاري روح الله تعالى روحه وأعلى في معالي الفردوس بحبوحه ^{١٤} .

سند الشيخ الطيب النيفرت 1345 :

رواه عن الشيخ ابراهيم الرياحي عن الأمير محمد الصغير عن الأمير
محمد الكبير عن الشيخ علي الصعيدي عن محمد عقيل المكي عن حسن
ابن علي العجمي عن أحمد بن محمد العجل اليمني عن يحيى بن مكرم
الطبري عن جده محي الدين بن محمد الطبري عن البرهان ابراهيم بن
محمد بن صدقة عن عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغاني عن أبي لقمان
يحيى بن عمار بن عقيل الختلافي عن محمد بن يوسف الفريزي عن محمد
بن اسماعيل البخاري ^{١٥} .

سند الشيخ أبي شعيب الدكالي ت 1356 :

أورد الشيخ أبو شعيب الدكالي سنده إلى البخاري في إجازته
المشهورة والتي ضمنها أسانيد الكتب الستة وموطأ مالك قال : ^{١٦} .

الحمد لله الذي رفع قدر أهل الحديث ونظر وجوههم في القديم
والحديث ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : (ليبلغ الشاهد

(14) المصدر السابق ص 2 و 3

(15) البخاري واهتمام أهل المغرب به وبالجامع الصحيح للاستاذ مصطفى كمال التارزي دعوة الحق ع 9

ص 16 محرم 1395 يناير 1975 ص 112 .

(16) نقلا عن الاستاذ الشيخ بخرمة من صورة إجازته مهداة الى بخرمة ولده الأستاذ أحمد الدكالي .

الغائب فرب مبلغ أوعى له من سامع) وعلى آله وأصحابه وكل من لهم بالخيرات تابع ، أما بعد فقد استجازني أخونا . . .

كان الله له فيما تجوز عني روايته ، فأجزته بكل ما أروبه من معقول ومنقول وفروع وأصول . كما أجازني مشايخ أجلة ، وها أنا أذكر أسانيد الكتب الستة وموطأ سيدنا أبي عبد الله مالك رضي الله عنه فأقول :

أروي الموطأ عن مشايخ عدة منهم الشيخ سليم البشري والشيخ علي الصالح والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ محمد الطومومي عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير عن الشيخ العربي السقاط عن الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني عن والده ، عن الشيخ علي الأجهوري عن الشيخ محمد بن أحمد الرملي عن الشيخ زكرياء الانصاري عن الحافظ ابن حجر عن محمد بن عقيل عن محمد بن محمد المكي عن محمد بن محمد الدلاصي عن عبد العزيز بن عبد الوهاب بن اسماعيل عن جده الطاهر عن محمد بن الوليد الطرطوشي عن سليمان بن خلف الباجي عن عبد الله بن مغيث عن أبي عيسى عبد الله بن يحيى عن عم والده يحيى بن يحيى عن الامام مالك بن أنس .

كما أروي صحيح البخاري عن الشيوخ المذكورين عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير عن الشيخ أبي الحسن الصعيدي عن الشيخ محمد بن عقيقة المكي عن الشيخ الحسن العجيمي عن الشيخ أحمد بن الفحل اليمني عن الشيخ يحيى الطبري عن جده محب الدين الطبري عن الشيخ محمد بن ابراهيم بن صدقة الدمشقي عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغاني عن الشيخ محمد بن نصر بن شاذ بخت عن الشيخ يحيى بن عمار الختلائي عن الشيخ محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن الامام محمد بن اسماعيل البخاري .

سند الشيخ عبد الحي الكتاني :

أورد الشيخ عبد الحي الكتاني سنده الى الامام البخاري في إجازته العامة المطبوعة يقول :

وأروي صحيح البخاري عالياً عن العلامة المعمر أحمد بن المنلا صالح السويدي البغدادي الشافعي فيما كتبه به إلي من مكة المشرفة عام حجة عن نادرة المتأخرين السيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني بإجازته لجده وذريته عن المعمر محمد بن سنة الفلاني عن الشيخ أحمد بن العجل اليمني عن القطب النهروالي عن أحمد بن أبي الفتوح الطاوسي عن المعمر بابا يوسف الهروي عاش ثلاثمائة سنة عن محمد بن شاذ بخت الفارسي الفرغاني عن يحيى بن شاهان الختلائي عن محمد بن يوسف الفربري عن الامام محمد بن اسماعيل البخاري روح الله تعالى روحه وأعلى في عوالي الفردوس بحبوحه .

فبيني وبين البخاري عشر وسائط وبيني وبين النسي عليه السلام باعتبار ثلاثيات البخاري أربع عشرة واسطة وهذا السند أعلى ما يوجد الآن في الدنيا شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً براً وبحراً .

سند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور 1394 :

روى صحيح البخاري عن طريق الحافظ الشيخ محمد صالح الرضوي البخاري السمرقندي عن عمر بن عبد الكريم عن محمد بن سنة عن أحمد بن العجل اليمني عن القطب النهروالي عن أحمد بن أبي الفتوح الطاوسي عن بابا يوسف الهروي عن محمد بن شاذ بخت الفرغاني عن يحيى الختلائي عن محمد بن يوسف الفربري عن الامام محمد بن اسماعيل البخاري ⁽¹⁷⁾ .

(17) البخاري واهتمام أهل المغرب به وبالجامع الصحيح للاستاذ مصطفى كمال التارزي . دعوة الحق ع 9 - 16 محرم 1395 - 1975 ص 112

سند فريد من طريق أهل الصحراء

وللكتانيين سند عجيب ممتاز من طريق أهل الصحراء وهو
مسلسل بالآباء .

فأقول أروي صحيح البخاري أنا يوسف عن والدي الشيخ
ابراهيم حفظه الله عن الشيخ عبد الحي الكتاني .

عن الشيخ العارف محمد مصطفى ماء العينين الشنجيطي دفين
تزينت رحمه الله عن أبيه الشيخ محمد فاضل عن أبيه مامين عن أبيه
الطالب اخيار عن أبيه الطالب محمد أبي الأنور عن والده الوجيه المختار
عن والده محمد الحبيب عن أبيه محمد علي عن أبيه سيدي محمد عن أبيه
يحيى الصغير عن أبيه محمد عن شيخه الشيخ العلي عن الحافظ السيوطي
بأسانيده الى الامام البخاري رحمه الله .

المبحث الثالث

سلسلة الذهب الحديثية المغربية

تمهيد وتعريف :

الإسناد خصيصة من خصائص هذه الأمة وفضيلة من الله على
المسلمين تمت بها النعمة فليس لأحد من الأمم قديمها وحديثها إسناد
موصول إنما هي صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم فليس
عندهم تمييز ما نزل من التوراة والانجيل وبين ما ألحقوه بكتبهم من
الأخبار التي اتخذوها عن غير الثقات ، كما أكد ذلك محمد بن حاتم
المظفر⁽¹⁾ .

لذلك كان اتصال السند بين راوي الحديث وبين النبي ﷺ معدوداً
من أشرف الكرامات وأنبأ الغايات لأنه يوصل الراوي بوساطة سنده
إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ويقربه إليه وكلما قل رجال السند كان
السند عالياً وكان الراوي أقرب إلى النبي عليه الصلاة والسلام وأقرب
إلى قرنه الشريف بالنسبة إلى من كان سنده أكثر فيحصل له حصنة من
الخيرية التي ذكرها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله :

« خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

ومن أجل ذلك كانت شنشنة المحدثين والعلماء دائماً الرحلة إلى

(1) فهرس الفهارس 50 / 1

أقطار الدنيا طلباً للإسناد العالي والرواية عن المحدثين تقرباً من النبي ﷺ ، ودخولاً في زمرة رواة حديثه وناقليه مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام « نصر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها » (2) .

قال الحافظ أبو الفضل مرتضى الزبيدي :

« ثبت عند أهل هذا الفن أنه لا يتصدى لإقراء كتب السنة والحديث قراءة دراية أو تبرك ورواية إلا من أخذ أسانيد تلك الكتب عن أهلها ممن أتقن درايتهما وروايتها ورحل الى البلدان ، فظفر بعوالي المرويات وباحث الأقران فأحاط بممدارك الدرايات وجلس في مجالس الاملاءات على الركب وتردد إلى المشايخ بالخضوع والأدب : ... » (3) .

وقد أكد ذلك الامام السراج في فهرسه بقوله :

« فلا شرف أعظم ولا فخر أفخم ممن اتصل اسمه باسم النبي ﷺ في سلسلة الاسناد وانتظم في ذلك السلك الشريف إلى يوم التناد » (4) .

ولذلك حرص العلماء والمحدثون المغاربة على وصل سندهم وانتظام اسمهم مع اسم النبي عليه الصلاة والسلام حفاظاً على سلسلة الإسناد وبقاء لها فرحلوا إلى شاسع البلاد وسافروا إلى الانحاء والأقطار طلباً لعالي الاسناد ووصلاً له لكونه خصوصية هذه الامة وفضيلتها ومزيتها بين الأنام والعباد .

وقد احتفظ المغاربة بسندهم الحديثي الخاص وأوردوه في كتب الإنبات والفهارس والتراجم ، وهذا السند يشمل سند الحديث في

(2) فهرس الفهارس 2/ 330 هـ 301 .

(3) من اجازة الزبيدي لأهل قسطنطينة نقلا عن فهرس الفهارس 1/ 51 و 52 .

(4) فهرس السراج .

القيروان وبجاية وفاس ومراكش وقد حفلت كتبهم وتراجمهم بأسانيدهم الحديثية وخاصة في الصحيح مثل كتاب المنح البادية في الأسانيد العالية وفهرس الفهارس وغيرها .

وقد قام السند المغربي في الحديث على أئمة عظام وحفاظ كبار انتظموا في سلك واحد خلفاً عن سلف ، وكان كل منهم إمام وقته الذي انتهت إليه رئاسة الحديث وكان فارس ميدانه الذي جلى فيه وبرز فكانوا مدار سماع الحديث في المغرب وروايته ودرايته وارتبطت بهم الرواية واتصلت واحداً فواحداً فكونوا سلسلة الذهب المغربية في الحديث فتشرفت بروايتهم الطروس وقامت عليهم الحلقات والدروس قال القادري في مطلع الإشراف :

« إن رئاسة الحديث انتهت في فاس لسيدي رضوان الجنوي ثم لتلميذه القصار ثم لتلميذه العارف الفاسي ثم لتلميذه عبد القادر الفاسي ، - فكان كل منهم صاحب وقته فيه فهي من سيدي رضوان إليه سلسلة الذهب والتبريز في علم الحديث رواية محدث إمام عن محدث إمام . » (5)

ونظراً لأهمية هؤلاء الأئمة ودورهم في رواية الحديث ودرايته وتفردهم بالسند العالي والباع العالي وانتظامهم واتصالهم في هذه السلسلة الكريمة الذهبية ، فلا بد من التعريف بهم وترجمتهم واحداً فواحداً .

(5) فهرس الفهارس 2/ 156 .

التعريف بأفراد السلسلة

رضوان الجنوي

هو الشيخ الشهير والامام الكبير محيي السنة المحدث الخافظ الورع الزاهد أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي⁽¹⁾.

ولد سنة اثنتي عشرة وتسعمائة⁽²⁾، وبدأ يحفظ القرآن والمبادئ الأولية وتعلم على الشيوخ الأجلة وأخذ عن الفحول الكبار، فقد روى عن سقين العاصمي ما له وأخذ عن أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي، وكذا عن أبي عبد الله محمد بن علي الشطبي الزروالي، وأبي محمد عبد الله الغزواني وغيرهم، إلا أنه تفرد بالشيخ سقين وأكثر من الأخذ عنه والرواية فهو شيخه ومعتمده في الرواية والحديث، ولازمه واختص به السنين الطويلة محصلاً ما عنده⁽³⁾.

وقد ظهر نبوغه مبكراً في العلوم، وخاصة في علم الحديث رواية ودراية، وطار صيته وقصده الطلاب والعلماء للرواية عنه والأخذ خاصة عندما توفي شيخه سقين فخلفه في رتبته وحفظه وصار شيخ الحديث وامامه في وقته بدون منازع.

(1) انظر ترجمته في :

مرآة المحاسن 209

طبقات الحضيكي 1/ 218 - 221 - شجرة النور الزكية 286 رقم 1092

فهرس الفهارس 1/ 325 - 326 - مؤرخو الشرفاء 255 هامش 2

(2) نشر الثاني 89 / 1

(3) فهرس الفهارس 1/ 325

تحدث عنه العلماء الكبار والأساتذة العظام وأثنوا على علمه وحفظه وفهمه، قال عنه الشيخ القصار:

«لو أدركه أبو نعيم لصدر به حليته».

وقال عنه أبو حامد الفاسي في أثناء شرحه على منظومته في الاصطلاح:

«كان سيدي رضوان في الحديث امام وقته...».

وقال عنه أبو الحسن علي البطيوي:

«كان له - أي الجنوي - باع طويل في معرفة الصحيحين».

واعتبره صاحب «مرآة المحاسن» امام أهل الزهد والورع والعلم والعمل على سنن السلف الصالح، وحفظ الحديث وروايته في وقته.

ومن آثاره : كتاب تخريج أحاديث الشهاب للقاضي القضاعي⁽⁴⁾.

وقد توفي المترجم بفاس، وكان ذلك ليلة الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة احدى وتسعين وتسعمائة وصلى عليه صلاة الظهر بجامع الأندلس، ودفن خارج باب الفتوح.

(4) فهرس الفهارس 1/ 326

القصار

أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي القصار
الغرناطي أصلاً الفاسي نشأة وداراً⁽¹⁾، الإمام الحافظ الحجة المحقق
النسابة محدث المغرب وراوي فاس.

ولد سنة 938 للهجرة، وأخذ العلم وروى حاضراً وراحلاً عن
كبار العلماء والشيوخ نذكر في مقدمتهم خروف التونسي واليستيبي اللذين
اختص بهما وأكثر من ملازمتها هو والمنجور إلا أنه تفرد فيما بعد بشيخه
وعمدته في التحصيل والرواية والدراية الشيخ أبي النعيم رضوان
الجنوبي.

واشتهر الشيخ القصار بكثرة المشيخة وكثرة الرواية وعالي الاسناد
حتى صار حامل راية الحديث بالأقطار المغربية كلها دون منازع أو
مشارك بعد وفاة شيخه الجنوبي.

وقد أجازته جماعة من العلماء والمحدثين بالمشرق والمغرب كما أخذ
عن أبي القاسم بن عبد الجبار الفجيجي وأبي العباس أحمد بن محمد بن

(1) انظر ترجمته في :

روضة الأس 316 - 332 - نشر الثاني 86 / 1.

تحفة الأكابر الفصل الرابع - طبقات الحضيكي 89 / 2 - 91

شجرة النور الزكية 215 رقم 1135 - الاعلام 4 / 227 - 234

الفكر السامي 4 / 107

نيل الابتهاج ص 76

فهرس الفهارس 316 / 2 - 318 مؤرخو الشرفاء 101 هامش 4

ابراهيم الدكالي، وأبي العباس التَّسُولِي⁽²⁾ وروى الحديث بالاستجازه
مكاتبة من مصر عن: النجم الغيطي والبدر الغزي الدمشقي واحمد بن
عبد الحق السنباطي، ويحيى الخطاب وزين العابدين البكري⁽³⁾.

وقد كان للقصار معرفة وولوع بالتاريخ والأنساب وخاصة أنساب
الأشراف الذين كان يفتخر بمصاهرتهم.

كما كان مولعاً بجمع الكتب حتى تيسر له منها خزانة عظيمة لكنها
تفرقت بعد موته، وقد اشتهر أمره وعلا صيته لعلو سنده وطول بابه بعد
وفاة شيخه الجنوبي، فأسندت اليه وظائف الفتوى والخطابة على عهد أبي
العباس المنصور ولي الخطابة والامامة بجامع القرويين، كما ولي نظارة
أحباس الضعفاء والمساكين⁽⁴⁾.

لقد كان الامام القصار مجدداً للدين حافظاً للحديث كثير الرواية
والدراية، كما كان عديم المثال والنظير في ذلك حتى قال أبو حامد
العربي الفاسي :

« كان شيخنا القصار حامل راية الحديث في هذه الأقطار المغربية
بعد شيخه وانفرد بذلك غير مدافع عنه ولا منازع . . »⁽⁵⁾.

وتحدث عنه في «مطلع الاشراق أبو محمد عبد السلام بن الطيب
القادري بقوله :

« سمعت غير واحد ممن قرأت عليه يقول : « إن هذا التحقيق في
العلم الذي يوجد عندهم أعني أولاد الشيخ أبي المحاسن الفاسي إنما هو
إرث عن الشيخ القصار . »

(2) فهرس الفهارس 316/2-311

(3) المصدر السابق 317

(4) النبوغ 1 / 246 و 247

(5) في شرحه على منظومته في الاصطلاح .

وقد اشتهر أمره في المشرق وطار صيته بالمغرب حتى تحدث الشيخ عبد الواحد بن عاشر أنه لقي بمصر الشيخ عبد الله الدنوشري فسأله عن أشياخه فذكر منهم القصار فقال الدنوشري : (6)

قد حاك ثقات العلوم أئمة وكسوا بها بالفضل من هو عار رقت حواشيها ورق طرازها لكنها تحتاج للقصار

لم يخلف آثارا كثيرة لأنه كان يعتمد التدريس بالمساجد وبالجامع ويعلم الطلبة مباشرة ويكثر من الرواية لذلك لم يترك سوى فهرس جمعت رواياته في الفقه والحديث .

وله ثبت آخر في كراسة لطيفة تضمنت سنده في الصحيحين والموطأ وفي تصانيف عياض والعراقي وابن حجر وزكرياء وابن الصلاح ورسالة ابن أبي زيد القيرواني ومختصر ابن الحاجب وتصانيف البيضاوي ، وجمع الجوامع والقوت والاحياء وختمها بالاتصال بكبار أرباب الطرق كالجيلاني والشاذلي وأورد به بعض الوصايا وأنظما كثيرة .

وقد بقي القصار يعلم ويروي ويسمع ويفيد حتى صار مرجعا لشيخو المغرب رواية ودراية إلى أن توفي بمراكش سنة 1012 (7) ودفن في قبة القاضي عياض بمراكش رحمه الله ورضي عنه .

(6) النبوغ 1/ 247

(7) الفكر السامي 4/ 107

العارف الفاسي

هو أبو زيد عبد الرحمن بن يوسف الفاسي (1) الملقب بالعارف والمشهور بالعلم والصلاح والتحقيق في المعقول والمنقول ، كان زاهدا ورعا عالي الهمة حلما صبورا (2) ، إماماً عالماً متحريراً نظاراً جامعاً لأدوات الاجتهاد مائلاً إليه محققاً في جميع العلوم متوسعا في الاصلين (3) .

ولد بالقصر الكبير سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة ومات والده وهو صغير فكفله اخوه ابو المحاسن .

رحل الى فاس لطلب العلم فاتصل بالسراج وأخذ عنه وسمع منه كما أخذ عن الحميدي أبي محمد عبد الواحد والامام المنجور وأبي العباس القدومي وأبي عبد الله محمد بن يوسف بن المهدي والامام القصار .

وقد فتح عليه في العلوم كلها وخاصة في الاصلين ، وقد شهد له بذلك شيوخه ومعاصروه لجودة فهمه وعميق إدراكه .

(1) ترجم له في : مرآة المحاسن ص 147

طبقات الحضيكي 2/ 159 - 161

وابتهاج القلوب : الباب الثالث

شجرة النور الزكية 245 رقم 1159

مؤرخو الشرفاء 299 هامش 2

بروكلمان ذيل 2 : 360

(2) نشر الثاني 1/ 266

(3) مرآة المحاسن

وكان لا يجارى في معاني القرآن والحديث والتصوف يورده
استحضارا مستحضرا لحديث الصحيحين واكثر مشارق القاضي عياض
يصحح ويرجح ويضعف ويضيف⁽⁴⁾.

ولذلك اشتهر أمره وبعد صيته واقبل عليه الناس من كل صوب
واذعن له الكافة لتفرد بالامامة في العلم والعرفان فكثير تلاميذه
والآخذون عليه حتى كان مرجع شيوخ المغرب وخاصة في رواية
الحديث.

وكان كثير الكتابة والتأليف فخلف آثاراً مهمة ومصنفات متعددة
منها حاشية على صحيح البخاري كثيرة الفوائد سماها : تصنيف المسامع
ببعض فوائد الجامع - طبعت على الحجر في 200 صفحة .

توجد نسخة منها في الخزانة العامة بالرباط في 174 صفحة تحت
عدد 198 ، - ونسخة أخرى بالخزانة الصبيحية تحت عدد 8519 ،
ونسخة بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت عدد 535 ، وحاشية على الحزب
الكبير ، وحاشية على تفسير الجلالين ، وحاشية على رح الصغرى ،
وحاشية أخرى عليه ، - وحاشية على مختصر خليل ،

وله أجوبة وتقاييد كثيرة في التفسير الحديث والاصول والفقه
والتصوف⁽⁵⁾. وقد بقي طول عمره يعلم الناس ويدعو الى الله في
زاويتهم حتى عم نفعه الجميع ، وصار مرجع الكبير والصغير الى أن
توفي سنة ست وثلاثين وألف ودفن بزاويتهم بفاس .

(4) هـ الله

(5) نشر المثنائي 1/ 266 و 267 .

عبد القادر الفاسي

هو أبو محمد عبد القادر بن علي الفهري الفاسي⁽¹⁾ . ولد بالقصر
الكبير سنة 1007 هجرية ، وبها نشأ وتربى وأخذ مبادئ العلوم ثم
انتقل الى فاس لمتابعة الدراسة والتحصيل ، غير أنه استقر بها واتخذها له
داراً ومقراً .

وسرعان ما اشتهر أمره وارتفع ذكره لأخلاقه الكريمة وتواضعه
ومروءته وفضله وحبه للعلم وتفانيه في التعليم وتعميمه بين عشيرته وأهله
وحبه الشديد لآل البيت .

وقد انتهت اليه رئاسة العلم في فاس خاصة لعلو سنده وكبير درايته
وكثرة مشيخته حتى عد آخر سلسلة الذهب والتبريز في علم الحديث كما
أكد القادري في مطلع الاشراف .

وقد روى عن عمه أبي حامد العربي الفاسي وعن عم أبيه أبي زيد
عبد الرحمن الفاسي وعن أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني ،

وقد اشتهر بتفرغه لخدمة الصحيح وقراءته ونسخه وخاصة
الصحيحين .

(1) ترجم في : تحفة الاكابر - الفرطاس ص 12

نشر المثنائي - مؤرخو الشرفاء 264 - 269

السلوة 1/ 309 - فهرس الفهارس 2/ 156 - 162

النبوغ المغربي 1/ 283 - 284 - الفكر السامي 4/ 114

« فقد كان قائما عليهما انتساخا وسماعا واعيا لمخابثتهما مستحضرا للجمع بين مشكليهما مقرر المصامينهما حتى انتهت اليه رئاسة الأخذ فيهما بالمغرب »⁽²⁾ .

ولحبه للصحيح كان يتعيش من الوارقة ، وكان أكثر ما يكتب من كتب السنة صحيح البخاري ومسلم مع المداومة على قراءتهما ونسهما⁽³⁾ . ولكثرة اقباله على الصحيحين وعنايته بهما وتفرغه لاقرائهما واسماعهما في غالبية أوقاته لكونه لم يكن يغرب عنه منها حرف ولا حركة ولا راو . . . وكان يبتدىء قراءة البخاري بزاوية الشيخ سيدي محمد بن عبد الله في نصف جمادى الاولى كل عام ويختمه في آخر رمضان ليلة القدر .

ومن كثرة استحضاره للصحيحين ومعرفته الشديدة لهما رواية ودراية سنداً ومتناً انه كان يستدرك على الحافظ وكبار المحدثين مثل الحافظ السيوطي الذي وقف يوماً على كلام له في شرح نقايته حول اطلاق الصانع على الله ومن أخذ من قوله : « صنع الله الذي أتقن كل شيء » ، وقول السيوطي بأنه ورد اطلاقه في حديث صحيح لم يستحضره من اعترض ولا من أجاب فأورد الفاسي الحديث الموماً اليه وكتب عليه وهو ما رواه الحاكم وصححه البيهقي من حديث حذيفة مرفوعاً « ان الله صانع كل صانع وصنعه » ، كما أورد الحديث الموجود في صحيح مسلم في كتاب الذكر « ان الله صانع ما شاء لا مكره له »⁽⁴⁾ .

وقد علق ولد المترجم على هذه القصة بقوله في تحفة الأكابر :

(2) فهرس الفهارس 2 / 156

(3) فهرس الفهارس 2 / 158

(4) فهرس الفهارس 2 / 158

« فانظر هذا الاستحضار وهذا الحفظ والضبط والسيوطي بلغ الغاية في حفظ الحديث وشرح الكتب الستة والله يختص برحمته من يشاء . . الخ »

وقد وفقه الله وهياه الى إحياء تدريس علوم الحديث والمغازي والسير في وقت كان أهل المغرب مشغولين غارقين في الفقه والعلوم العقلية فقصر همته ووقته بجهوده على الحديث والاشتغال به أثناء الليل وأطراف النهار معلماً وراوياً وحافظاً وناسخاً حتى طبق ذكره المشارق والمغارب وقصده العلماء والطلاب من كل حذب وصوب واستجازه الكبار بعد الصغار والأساتذة والشيوخ وألفت باسمه الفهارس وطلبت منه الاجازات وكتبت له الاستدعاءات منها استدعاء أبي سالم العياشي الاجازة لنفسه وكان ذلك بتاريخ 1063 . ومنها استدعاؤه أيضاً الاجازة مرة أخرى لنفسه ولشيوخه وأقرانه كأبي مهدي عيسى الثعالبي والملا ابراهيم الكوراني وأولاده والعجيمي حسن بن علي وأبي العباس أحمد باقشير الملكي اليمني والبرزنجي والخياري وغيرهم وكان الاستدعاء الثاني بتاريخ 1076 ، وقد كتب ولد المترجم عن اجازة لهم جواباً على استدعائهم ضمنها مشهور أسانيده ومعظم اتصالاته فجاءت اجازة جامعة في شكل فهرس لطيف في نحو كراس وكتب إثرها والده الاجازة لمن ذكر وقد دأب الفاسي على الاجازة بهذا الفهرس الذي اشتهر كثيراً لتضمنه أسانيد المترجم المذكور⁽⁶⁾ .

وقد تحدث عن سيدي عبد القادر الفاسي الكبار والعلماء وأثنوا عليه الشاء الكبير لعلو سنده وعظيم مقامه وما أدركه من شغوف وظهور واقبال وفتح فقد ذكر صاحب نشر المثنائي عند ترجمته :

(6) فهرس الفهارس ص 159

« أنه لولا ثلاثة لا تقطع العلم من المغرب لكثرة الفتن به وهم سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي وسيدي محمد بن ناصر في درعة وسيدي عبد القادر الفاسي بفاس » .

وقال عنه أبو محمد عبد السلام القادري :

« إنه اعتنى بتدريس العلوم والحديث والمغازي والسير فان أهل فاس كانوا اشتغلوا بطلب علم الفقه والعلوم العقلية وتركوا علوم الحديث فاعتنى المترجم بها حتى أحياها من خطه⁽⁷⁾ . ومع سعة علمه وطول باعه في الفنون لم يترك أثراً مكتوبة سوى العقيدة والفقهية واجوبة سائله⁽⁸⁾ وفهرسته .

على أن أهم ما خلف من آثاره حواشي على الصحيح⁽⁹⁾ جمعت من تقاريره مملوءة فوائد وتحصيلات وقد طبعت في فاس سنة 1307 هجرية وتوجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 2150 د . وقد توفي سنة 1091 للهجرة الموافق لسنة 1680 .

(7) كتبه على هامش من نسخته من نشر الثاني

(8) النبوغ المغربي 1 / 284

(9) فهرس الفهارس 1 / 202 و 2 / 156

بروكلمان ملحق 708 السلوة 1 / 309 النشر 2 / 580

المبحث الرابع

قراء البخاري وحفاظه

منذ أُلّف صحيح البخاري وأُخرج للناس وهم يتهافتون على العناية به قراءة وحفظا وسامعا واسماعا ودراسة وتفهما باعتبارها الجامع للسنّة الصحيحة ولكونه أصح كتاب بعد كتاب الله ، فقد قصر العلماء والمحدثون همهم واعمارهم وجهودهم كلها على التخصص في قراءته طوال أيام السنة وبانتظام مما مكنهم من حفظ متونه واسانيده حتى اشتهروا بحفظه وصاروا مرجعا فيه تصحيح من حفظهم نسخ البخاري ورواياته .

وقد اشتهر من أرباب الهمم الجليّة في قراءتهم صحيح البخاري سواء طوال أيام السنة أو في أيام معينة الكثير من المشاركة والمغاربة نذكر من الأولين ما أورده الذهبي في تاريخه من ترجمة اسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري الضير ما نصه :

« وقد سمع عليه الخطيب البغدادي بمكة صحيح البخاري بسامعه من الكشميهني في ثلاثة مجالس : اثنان منها في ليلتين كان يبتدىء بالقراءة وقت المغرب ويختمه عند صلاة الفجر والثالث من ضحوة النهار الى طلوع الفجر قال الذهبي : « وهذا شيء لا أعلم أحدا في زماننا يستطيعه »⁽¹⁾ .

(1) مشنبة النسبة للذهبي ص 123 - وقواعد التحديث ص 262 و 263

وقال الحافظ السخاوي : « وقع لشيخنا الحافظ ابن حجر اجل مما وقع لشيخه المجد اللغوي - في قراءة صحيح مسلم - فانه قرأ صحيح البخاري في أربعين ساعة زمانية ^(١) .

وفي ترجمة الحجار من تاريخ الحافظ ابن حجر انه حدث بالصحيح أكثر من سبعين مرة بدمشق وغيرها ^(٢) ، كما ذكر تقي الدين ابن فهد في ذيله على ذيل الشريف ابي المحاسن الحسيني لطبقات الحفاظ للذهبي في ترجمة ابن حجر انه قرأ البخاري في عشرة مجالس من بعد صلاة الظهر الى العصر .

وذكر صاحب شذرات الذهب في اخبار من ذهب في ترجمة البرهان ابراهيم بن محمد البقاعي الحنبلي الدمشقي انه قرأ على البدر الغزي البخاري كاملا في ستة ايام أولها يوم السبت 11 رمضان عام 930 للهجرة ^(٣) .

حكى الحافظ الذهبي عن الحافظ شرف الدين ابي الحسن اليونيني أنه سمعه يقول : « أنه قابل نسخته - صحيح البخاري وأسمعه في سنة إحدى عشرة مرة » ^(٤) .

وذكر في ترجمة سليمان بن ابراهيم العلوي في طبقات الخواص أنه أتى على البخاري نحو من مائتين وثمانين مرة قراءة وسماعا واقراء . ^(٥) .

وذكر في ثبت الشهاب أحمد بن قاسم البونسي رأيت خط الفيروزبادي في آخر جزء من صحيح الإمام البخاري : « إنه قرأ صحيح البخاري أزيد من خمسين مرة » ^(٦) .

(٥) الشهاب الهاوي على منشاء الكاوي

(٦) طبقات الخواص

(٧) فهرس الفهارس 2 / 379 .

(٢) قواعد التحديث ص 263 .

(٣) فهرس الفهارس 2 / 378

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة

وذكر القسطلاني عن نفسه أنه قرأ البخاري على رحلة الافاق أبي العباس أحمد بن طريف الحنفي في خمسة مجالس وبعض مجلس متوالية وذلك عام 882 هجرية ^(٨) .

أما المغاربة وما عرف عنهم من اهتمام بصحيح البخاري وسرعة قراءته والصبر على سماعه واسماعه فيروى في ذلك العجب العجيب ومن يذكر في هذا الباب الحافظ أبو علي الصدي المتوفى سنة 514 ، فقد كان ممن أقام للحديث السوق العظيم الذي نفقت بضائعه فقد أسمع صهره ابن سعادة صحيح البخاري ومسلم نحو ستين مرة في مدة خمس وعشرين سنة ^(٩) .

وقد كان يقصر كل أوقاته على الحديث وخاصة صحيح البخاري ، وكان ينشد دوما لشيخه الحميدي :

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا لأخذ العلم أو اصلاح حال

وقال عياض : حدثني الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن جعفر أن الصدي قال له :

« خذ الصحيح فاذا ذكر لي أي متن شئت أذكر لك سنده وأي سند شئت أذكر لك متنه » ^(١٠) .

وفي ترجمة غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحازبي الغرناطي من الغنية للقاضي عياض قال :

بلغني عنه ولم أسمعه منه أنه قال :

(٨) المصدر السابق 2 / 379

(٩) التنويه والاشادة ص 8

(١٠) المصدر السابق نفس الصفحة

« كررت البخاري سبعمائة مرة ⁽¹¹⁾ فانظر الى هذه المهمة العلية لهذا الحافظ الذي عاش ثمانية وسبعين سنة فاذا أخذ منها ما قبل بلوغه الى وفاته يبقى عمره ستين سنة فعلى هذا كان يقرأ صحيح البخاري في سنة نحو عشر مرات في كل شهر مرة تقريبا ⁽¹²⁾ .

ومن يذكر في هذا المجال الملوك الموحدون فقد كانوا يجالسون العلماء ولا يعتمدون في سياستهم الا على كتب الحديث وحدها وفي طليعتها كتاب الجامع الصحيح .

ومن أشهر الحفاظ من ملوكهم نجد يوسف بن عبد المومن الذي كان يحفظ الصحيحين .

وابنه يعقوب بن يوسف ، فقد كان عالما بالحديث وكان يحفظ متون الصحيح ويتقنها حتى كان علماء العصر وفقهاؤه يرجعون اليه فيه ⁽¹³⁾ .

وكان كذلك ابراهيم بن يوسف الذي ذكر صاحب المعجب عنه قوله : « لم أر من العلماء من يعلم الأثر أنقل منهم له » ⁽¹⁴⁾ .

ويعقوب المنصور الموحي الذي كان حافظا لمتون الحديث وكذلك ابنائه الناصر والمأمون فقد كانوا معدودين من الحفاظ وتميز هذا الأخير بأنه كان يسرد البخاري بنفسه ⁽¹⁵⁾ .

ومن الحفاظ المشهورين نذكر الطبيب الشاعر الذي خدم المرابطين والموحدين أبا بكر بن أبي مروان المتوفى سنة 596 فقد كان يحفظ

(11) الصلة لابن بشكوال ص 450

(12) فهرس الفهارس 2 / 378

(13) الاعلام للمراكشي 8 / 319

ومعجم الحديثين ص 40

(14) المعجب للمراكشي

(15) الجامع الصحيح للإمام البخاري للاستاذ عبد الرحمن الدكالي دعوة الحق 9 ص 16 ص 74

صحيح البخاري بأسانيده ⁽¹⁶⁾ .

وابن قطرال علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الانصاري الفاسي القرطبي المتوفى سنة 651 كان « يحفظ صحيح البخاري عن ظهر قلب » ⁽¹⁷⁾ .

كما ذكر الحافظ ابو عبد الله محمد بن سعد التلمساني الانصاري في كتابه « روضة النسر في مناقب الأربعة المتأخرين » ما نصه :

« رأيت النقل عن الشيخ سيدي محمد بن مرزوق انه كان يقول سيدي أبو القاسم حافظ المغرب في وقته وإمام الدنيا يعني العبدوسي الفاسي نزيل تونس » ⁽¹⁸⁾ .

إن الله أجرى عادته في علماء الاسلام أن يبارك لاحدهم في قراءته والآخر في إلقائه وتفهمه والآخر في نسخه وجمعه والآخر في عبادته وسيدي أبو القاسم ممن جمع الله له ذلك كله وبارك له في قراءته وإلقائه ونسخه وجمعه وعبادته . وحدث عنه بعض من قيد عنه قال : سمعت سيدي أبا القاسم يقول : (قرأت البخاري في حصار فاس الجديد في يوم واحد ابتدأته بعد آذان الفجر وختمته بعد العتمة بقليل) قلت كان سيدي أبو القاسم ممن فتح عليه في حفظ البخاري والقيام عليه نسخا وفهما وقراءة ⁽¹⁹⁾ .

ومن الذين اشتهروا بقراءة البخاري وحفظه ومعرفته الإمام ابن مرزوق الكبير الذي قال عنه ابن قنفذ في وفياته :

(16) ابن ابي اصيبعة ص 67 - القرطاس 2 / 180

(17) معجم الحديثين ص 14

(18) ابو القاسم عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي الامام الحافظ المحدث توفي سنة 837 .

(19) روضة النسر لابن سعد التلمساني - فهرس الفهارس 2 / 377 .

« كان له طريق واضح في الحديث ولقي اعلاما من الناس وأسمعنا حديث البخاري وغيره في مجالس مختلفة ومجلسه مجلس جمال ولباقة معاملة »⁽²⁰⁾.

وكان الامام ابن غازي المكناسي المتوفى سنة 919 من سن سنة اسماع البخاري كل رمضان وعنه أخذ الناس فيما بعد حتى عمت هاته السنة سائر مدن المغرب وقراه⁽²¹⁾.

كما كان الشيخ المهدي بن القاسم بأمر الله السعدي محمد امغار المتوفى في سنة 932 يحفظ صحيح البخاري⁽²²⁾.

والمحدث علي بن مسعود الشاطبي الشطبي قاضي الجماعة بمراكش المتوفى سنة 1002 ، كان يدرس صحيح البخاري أمام المنصور السعدي وكان يحفظه من كثرة تكراره .

والحافظ أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي المتوفى سنة 2021 كان يحفظ الصحيحين لا يشذ عنه شيء منها ويستحضر ما اتفقا عليه وما انفرد به احدهما وما خالف في متن أو سند تصحح نسخهما من لفظه⁽²³⁾ وحفظه الذي بلغ حد الاعجاز .

والحافظ محمد بن أبي بكر الدلائي المتوفى سنة 1046 ، كان يعرف صحيح البخاري حق المعرفة يحفظ متونه واسانيده ويتقن ضبطه من كثرة ما قرأه وأقرأه ، فقد أخذه عن شيخه وعمدته الامام المحدث أبي الحسن علي بن عبد الواحد السجلماسي الانصاري بعد ان لازمه

(20) فهرس الفهارس 1 / 395 - القرطاس 2 / 180

ومعجم المحدثين ص 15 .

(21) فهرس الفهارس 2 / 257 .

(22) معجم المحدثين ص 29

(23) فهرس الفهارس 2 / 36 و 37

ثلاثة وعشرين سنة أخذ عنه فيها صحيح البخاري نحو احدى عشرة مرة قال الثعالبي :

كلها قراءة بحث وتحقيق وكشف وتدقيق جلها سماعا من لفظه مع شروحه وحواشيه لابن حجر والكرمانى والقسطلاني وزكريا والسيوطي والدماميني والزرکشي والمشارك لعياض وغير ذلك .

وقد بلغ من مهارته واتقانه للصحيح خاصة أن كتب السنة كانت تصحح من فيه ولا سيما الصحيحين⁽²⁴⁾ .

ومن يذكر في هذا المجال بمداد الفخر والاعجاب الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091 والذي كان قائما على الصحيحين استنساخا وسماعا واسماعا واعيا لمخابثهما مستحضرا للجمع بين مشاكلهما مقررًا لمضامينهما مدمنا قراءتهما في زاوية يبتدئه وخاصة بزواية الشيخ سيدي محمد بن عبد الله في نصف جمادى الاولى كل عام ويختمه في آخر رمضان ليلة القدر⁽²⁵⁾ .

كما كان الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة 1129 قائما على البخاري وغيره من كتب الحديث استنساخا وقراءة وشراء بحيث يضرب المثل به في ذلك وهو الذي أحيا سنة قراءة البخاري في رمضان في زاويتهم بتامكروت وفي غيرها من النواحي وما زالت الى الآن اقتداء بسنة ابن غازي المكناسي حيث يدرس البخاري ويسمع في جل أوقات السنة وخاصة في رمضان إذ ما زال يقرأ في نسخة خطية ثلاثينية نفيسة ويختم في أواخره⁽²⁶⁾ .

(24) فهرس الفهارس 1 / 261 و 296 و 300

(25) فهرس الفهارس 2 / 156 و 158

(26) فهرس الفهارس 2 / 257 و 89,88/2

المزايا لابن عبد السلام الناصري ورقة 5 و 6

ومن حفاظ البخاري وقرائه المشهورين العلامة ابن السنوسي ابو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي المتوفى سنة 1202 فقد كان يقرأ البخاري ويختمه في شهر واحد⁽²⁷⁾.

والمسند الراوية زين العابدين المشرفي بن عبد القادر عرف بابن عبد الله كان يحفظ البخاري متناً وسنداً وهو من أهل معسكر⁽²⁸⁾.

ومن قراء البخاري وحفاظه المشهورين الشيخ جعفر بن ادريس الكتاني المتوفى سنة 1323 هـ . فقد سمع منه الصحيح ولده الحافظ محمد ابن جعفر الكتاني نحو من عشرين مرة أكثرها بالزاوية الكتانية بالقطانين بفاس⁽²⁹⁾.

ومن حفاظ الصحيح والمداومين على قراءته طوال حياته وخاصة بالزاوية الكتانية بفاس الشيخ عبد الكبير الكتاني المتوفى سنة 1333 هـ .

فقد كان يستحضر احاديث الكتب الستة كاصابع يده وخاصة صحيح البخاري الذي كان يعرفه معرفة جيدة يستحضر نوادره ومجباته ويستحضر فتح الباري استحضاراً عظيماً وقد ختم الصحيح وحده خمسين مرة ما بين قراءته له على المشايخ واسماع له⁽³⁰⁾.

ومن القائمين على قراءة البخاري واقرائه الحافظ المسند الشيخ أبو شعيب الدكالي المتوفى سنة 1356 الذي اشتهر بحفظه الواسع وتخصصه في الكتب الستة ولا سيما صحيح البخاري الذي كان يعرفه معرفة جيدة ويتقنه اتقاناً قل له نظير.

وقد أكد الشيخ عبد الحي الكتاني في الفهرس عن نفسه بأنه قرأ صحيح البخاري تدريسا بعبارة القرويين وغيرها قراءة تحقيق وتدقيق في

(27) فهرس الفهارس 2 / 336

(29) فهرس الفهارس 1 / 389

(28) فهرس الفهارس 2 / 15

(30) فهرس الفهارس 2 / 141

نحو خمسين مجلساً لم يدع شاذة ولا فادة تتعلق بابوابه ومحل الشاهد الا اتى عليه مع غير ذلك⁽³¹⁾.

ومن يذكر في هذا الباب المحدث المدني بن الحسن الذي اقرأه مرات وختمه كرات وكتب افتتاحياته وختماته التي تعتبر من عيون تراثنا الحديثي والتي سنشرح بعضها في الفصول اللاحقة .

ونذكر من النساء المشهورات بمعرفتهن للصحيح وحفظه واتقانه فاطمة بنت ابي علي الصدي ولدت سنة 390 هجرية وكانت حافظة للحديث وأم العز بنت محمد بن علي بن أبي طالب العبدري ، ورحمة بنت الجنان المكناسية كانت حافظة للأحاديث الصحاح .

والزهراء بنت محمد الشرقي الفاسي زوجة ابي علي اليوسي أخذت الحديث وحفظته عن زوجها عن طريق الاجازة .

ولالة غيلانة بنت الفقيه محمد غيلان المتوفاة سنة 1189 .

وهاجر بنت علي بن عمر الصنهاجية كانت محدثة حافظة .

ونذكر اخيراً الحافظ المغربي المعاصر الشيخ الرحالي الفاروق الذي يعتبر اليوم حافظ الصحيح والعارف برجاله واسناده ومتونه معرفة قل نظيرها اليوم أبقاه الله وأمد في عمره .

ولعل الجيل الحاضر تضيق حوصلته عن هضم مثل هذا خاصة وقد طغت المادة على العصر وسيطرت السرعة على كل شيء فان الذين سبقوا كانوا اذا أقبلوا على شيء انقطعوا له كل الانقطاع وحسروا له كل اوقاتهم عدا الاوقات الضرورية للعيش وجعلوا اللذات كلها في المعارف حتى كانوا لا يشبعون من العلم ولا يشبعهم سواه .

(31) فهرس الفهارس 2 / 381

ومن تبشير الخير في هذا العهد أن جلالة الحسن الثاني أمر وزيره في الاوقاف والشؤون الاسلامية باجراء مباراة كل سنة لحفاظ الحديث واعطاء جائزة مالية مهمة لمن يحفظ عدداً وافرا من احاديث صحيح البخاري او الموطأ ، وقد أخذت بوادر هذه التجربة في الظهور والنجاح إذ أخذ الشباب المغربي يقبل على حفظ الحديث وقراءته .

ففي إحدى المباريات السابقة استظهر أحد الشباب ألفا وخمسمائة حديث باسانيدها ، واستطاع اثنان آخران من قبيلة زعير استظهار ألفي حديث بالرواية عن الصحابي عن ظهر قلب ⁽³²⁾ ، وتلك لعمري نتيجة سارة وبشرى كريمة تمهد الطريق لظهور حفاظ بارزين ومحدثين ماهرين يربطون الحاضر بالماضي حفاظا على تراث عظيم نحن أحق بالعناية به ورعايته .

المبحث الخامس

نساخ البخاري وأشهر نسخه

أولا : نساخ البخاري

من الاهتمامات المغربية بالجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري نجد علماء ومحدثين وغيرهم تخصصوا منذ القديم في نسخه وكتابته وتحرير نسخ ممتازة ملونة أحيانا منه بل نجد بعضهم وقف حياته على نسخه والتفنن في كتابته وبعضهم الآخر كان يتعيش من ذلك احتسابا وتبركا بحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وقد اشتهرت هذه النسخ وطار ذكرها وصيتها وعلت قيمتها وأهميتها لما امتازت به من ضبط واتقان ودقة وكمال بسبب عكوف أصحابها على مقابلتها ومراجعتها وعرضها على شيوخهم والقراءة بها عليهم مما أكسبها صحة وشهرة حتى أصبحت أصولا يرجع اليها ومصادر يؤخذ منها ويصحح عليها .

وقد ازدهت الخزائن والمكتبات المغربية بأصول نسخ الصحيح وعيونها مما يعد بالعشرات والمئات نذكر منها أن الخزانة الملكية بالرباط وحدها تضم بين جنباتها ما يزيد على أربعين نسخة خطية من الجامع الصحيح وكل نسخة منها لها قيمتها التاريخية وأهميتها ، كما تضم

(32) الجامع الصحيح للإمام البخاري للاستاذ عبد الرحمن الدكالي دعوة الحق 9 ص 16 ص 74

خزانة جامع القرويين بفاس نحو هذا العدد وأكثر مما سنذكر بعضه على سبيل المثال ونحوه في خزانة تامكروت التي تعتبر أعجوبة في هذا الباب حيث اشتهر شيخها ومؤسسها سيدي أحمد بن ناصر الدرعي بأنه كان قائما هو ومن بعده على كتاب الصحيح انتساخا وقراءة وشراء حتى صار يضرب المثل بخزانة زاويتهم بتامكروت في هذا الباب ⁽²⁾ ونجد مثل ذلك في خزانات جامعة ابن يوسف بمراكش وفي خزانة الجامع الكبير بمكناس وفي خزانة تارودانت والحمزاوية وكذا في الخزائن الخاصة كالكتانية والسودية والجلالوية والفاسية وغيرها فانها جميعا ممتلئة بنفائس نسخ الجامع الصحيح من مختلف الالوان والاحجام والاشكال .

وقبل أن نتصدى لذكر نفائس نسخ الجامع الصحيح التي تزخر بها المكتبات العامة والخاصة لا بد أن نذكر بعض من اشتهروا من المغاربة علماء وغيرهم بانتساخ الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري ممن وقفوا أعمارهم وأوقاتهم على التفتن في انتساخه وتحريره وكتابته خدمة للحديث الصحيح وتقديرا للعلم والدين نذكر في مقدمة هؤلاء :

أبا علي الصدي المتوفى شهيدا سنة 514 صاحب الاصل الاصيل من الجامع الصحيح المشتهر بين العالمين والذي يعد أصلا فريدا الى الآن ⁽³⁾ .

وصهره وتلميذه موسى بن سعادة المتوفى سنة 552 وهو صاحب النسخة السعادية الخماسية التي كتبها بخطه وقرأها على شيخه وصهره أبي علي الصدي في نحو ستين مرة ⁽⁴⁾ .

(2) فهرس الفهارس 2 / 88

(3) فهرس الفهارس 2 / 111

(4) معجم أصحاب الصدي ص 190

والوراق المغربي المعروف محمد بن علي بن محمد الحسني المري الاندلسي التلمساني الفاسي المعروف بالجزولي والذي كتب بخطه النسخة الشهيرة « بالشيخة » من الجامع الصحيح برسم الشيخ أبي المحاسن الفاسي ⁽⁵⁾ .

والشيخ محمد بن أحمد بن محمد الشهرير بميعة الفاسي شارح المرشد المعين وغيره المتوفى سنة 1072 هـ / 1662 م صاحب النسخة الشهيرة التي تداولتها أيدي الاعلام ⁽⁶⁾ .

والشيخ أبا السعود عبد القادر الفاسي الفهري المتوفى سنة 1091 هـ / 1680 م الذي قضى حياته في انتساخ نسخ الجامع الصحيح حتى كتب الكثير منها مما لا تزال الخزائن العامة والخاصة تحتفظ به الى الآن ⁽⁷⁾ .

ومحمد بن أحمد الحريشي الفاسي المتوفى سنة 1102 - 1690 - 91 م صاحب النسخة الشهيرة المكتوبة بخطه من الجامع الصحيح والتي توجد بعض أسفارها اليوم بالخزانة العامة بالرباط ⁽⁸⁾ .

والشيخ الشريف سيدي أحمد بن ناصر الدرعي التامكروتي المتوفى سنة 1129 والذي كان قائما هو ومن بعده من شيوخ الزاوية الناصرية على كتاب البخاري استنساخا وشراء والذي أدخل الرواية اليونانية الى المغرب عندما اشترى في رحلته للحج نسخة من الجامع الصحيح بمبلغ

(5) مرآة المحاسن ص 49 و 50 - سلوة الانفاس 3 / 286 حيث ترجم له

(6) التنويه والاشادة ص 10 وقد ترجم له في السلوة 1 / 165 - 167

(7) التنويه والاشادة ص 10 - وسلوة الانفاس 1 / 309 - 316

(8) نشر الثاني المطبوع 2 / 142

والاكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج مخطوط م 1897

كبير وأدخلها الى المغرب وهي موجودة الآن بالخزانة العامة بقسم المخطوطات⁽⁹⁾.

والعالم المحدث أبا القاسم أحمد بن العربي بن سليمان الاندلسي الغرناطي المتوفى سنة 1141 هـ / 1728 - 29 م الذي كان مولعا بنسخ الجامع الصحيح وهو صاحب النسخة الخطية الشهيرة من ابن حجر على البخاري في سفر واحد وهي من ذخائر القرويين الآن⁽¹⁰⁾.

والعالم المغربي الشهير محمد بن محمد الدلائي الفاسي المتوفى عام 1197 هـ / 1782 - 83 م الذي دأب على كتابة نسخ من صحيح البخاري⁽¹¹⁾.

والشريف سيدي محمد بن أحمد الصقلي الحسني الفاسي المتوفى سنة 1232 هـ / 1817 م الذي كتب نسخا متعددة من صحيح البخاري تميزت بالصحة والاتقان وجودة الخط⁽¹²⁾.

والسيد عبد العزيز بن محمد الخلو الفاسي المتوفى عام 1233 هـ / 1818 م والذي كتب عدة نسخ من صحيح البخاري كلها تمتاز بجمال خطها وابداع زخرفتها وتلوينها وتذهيبها واجادة تفسيرها⁽¹³⁾.

والسفير الوزير الاديب ادريس بن محمد العمراوي المتوفى سنة 1286 / 1878 الذي كان يمتاز بخطه الجميل كتب نسخا متعددة من صحيح البخاري وكان يبيعها ويستعين بثمانها على التعلم في مطلع

(9) لا يزال هذا الفرع اليوناني معروفا وهو الآن بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 481 ق

(10) ترجم له في السلوة 1 / 291 - 292

(11) سلوة الانفاس 2 / 100 - 101

(12) المرجع السابق 1 / 137 - 139

(13) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 27

حياته⁽¹⁴⁾.

والمحدث المغربي سيدي الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الادريسي الزرهوني المتوفى عام 1318 هـ / 1900 م صاحب النسخة العشارية من صحيح البخاري⁽¹⁵⁾.

والشيخ عبد الكبير بن محمد الادريسي الكتاني المتوفى سنة 1333 والذي لقب « بجبل السنة » من كثرة عنايته بالحديث كتابة وحفظا وتطبيقاً وهدياً... كان ممن اشتهروا بانتساخ صحيح البخاري، إلخ... ممن يطول ذكرهم.

ثانياً : أشهر نسخ صحيح البخاري :

سنذكر هنا وعلى سبيل المثال أهم وأشهر نسخ الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري حسب التسلسل التاريخي كنموذج على عظيم عناية المغاربة وكبير اهتمامهم بصحيح البخاري.

واذا كانت أقدم نسخة نعرفها من صحيح البخاري هي قطعة المستشرق منجانا ويرجع تاريخها الى سنة 370 / 390 هـ 980 / 999 م برواية المروزي وهو أحد رواة الفربري نشرها منجانا في كمبردج سنة 1936⁽¹⁶⁾ فإن أقدم نسخ من الصحيح المغربية وأشهرها هي نسخة صحيح البخاري للامام أبي علي الصديفي التي تعتبر أصلاً أصيلاً ومرجعاً فريداً والتي نقل عنها صهره وتلميذه ابن سعادة.

وقد كتب الصديفي أصله هذا من نسخة محمد بن علي بن محمود المقرؤة على أبي ذر وعليها خطه والذي طاف به الامصار حيث سمعه

(14) الحياة الادبية والمغرب على عهد الدولة العلوية ص 445

(15) التنويه والاشادة ص 11 انحاف اعلام الناس 5 / 518 - 520

(16) تاريخ التراث العربي المجلد الاول ص 312

وقابله على نسخ شيوخه بالعراق ومصر والشام والحجاز والاندلس وهو موجود اليوم بليبيا⁽¹⁷⁾.

وقد كان الملك المولى سليمان العلوي بعث من يشتري هذا الاصل من صاحبه أبي الطبل باشارة من العالم المغربي محمد بن عبد السلام الناصري فوجه سفارة اليه لشراؤها وتم ذلك غير أن الفتنة القائمة آنذاك حالت دون وصوله الى المغرب.

والنسخة السعدية التي كتبها بخطه أبو عمران موسى بن سعادة البلبني المرسي المتوفى عقب عام 522 هـ / 1128 انتسخها من أصل شيخه وصهره الصدي في خمسة أسفار.

وقد فرغ من انتساخها في ذي القعدة عام 492 هـ وتمتاز هذه النسخة السعدية بكون صاحبها قابلهما وصححها وقرأ بها على الصدي نحو ستين مرة⁽¹⁸⁾ وكتب له شيخه على أول السفر الثاني بخطه تصحيح سماه لسائره عنه بتاريخ ربيع الأول عام 493 هـ - 1100 م وهذه النسخة من ذخائر الخزنة العامة بالرباط كما أسلفنا.

كما نجد بمكتبة جامعة القرويين نسخة أربعينية بخط أبي عبد الله محمد بن محمد بن زيان بن عمر بن علي الوطاسي نجد بآخر أحد أجزاءه على الجزء السابع منه ما نصه:

(17) وقد سبق الكلام على هذا الاصل في فصل سابق بما يكفي ويشفي.

(18) معجم أصحاب الصدي في ص 190

« حبس هذا السفر كاتبه رغبة في ثواب الله وخدمة لرسول الله ﷺ بالخزانة الكائنة بشرق جامع القرويين شرفه الله بدوام ذكره فيه على من قصد به وجهها من وجوه الانتفاع والتوسل والاستشفاع من سائر المسلمين وعلى أن لا يخرج من الجامع المذكور حبسا ثابت الرسم مخلد الحكم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين » في أواخر ذي الحجة متم عام سبعة وخمسين وثمانمائة عرفنا الله من خيره وبركته⁽²⁰⁾ كما نجد بآخر أحد أجزاءه ما نصه :

« كمل السفر الرابع والعشرون من الجامع الصحيح وكتبه بخطه الفانية خويدم مقامه الرفيع أقل عبيد الله واحقرهم محمد بن محمد بن زيان بن عمر بن علي الوطاسي كان الله له ولطف به بمجته وكرمه لطفًا يليق بفضلته ، وفي ثالث ذي الحجة متم عام تسعة وخمسين وثمانمائة عرفنا الله خيرَه »⁽²¹⁾.

كما نجد من بين نفائس ذخائر مكتبة القرويين نسخة ثمانية بخط الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التونسي المتوفى سنة 899 وقع الفراغ من نسخ جزئها الاخير عام 888 هـ وهي من تحبيس السلطان أبي العباس أحمد بن محمد بن الشيخ الوطاسي عام 939 للهجرة ويحمل بخزانة القرويين رقم (ل 40 / 100)⁽²²⁾.

(20) برنامج بل حول مخطوطات جامع القرويين ص 6,5 المطبعة البلدية دار المكنة سنة 1917 فاس

(21) المرجع السابق .

(22) انظر قائمة نوادر مخطوطات جامعة القرويين - مطبعة النجمة بالرباط سنة 1960 - نشر وزارة التهذيب الوطني والشبيبة والرياضة .

والنسخة الشيخة التي كتبت برسم الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي الفهري المتوفى سنة 1013 هـ / 1604 م في خمسة أسفار موازية للنسخة السعدية المتسخ منها وهذه النسخة الشيخة بخط الوراق المغربي محمد بن علي بن محمد الحسني الفاسي ⁽²³⁾ المعروف بالجزولي وهي التي كان يقرأ بها الشيخ في رمضان وكان السارد في مجلسه أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي بينما يمسك عمه أبو زيد عبد الرحمن العارف الأصل السعادي حيث تعددت المقابلة بين الأصل والفرع مرات .

ونسخة الشيخ ميارة محمد بن أحمد بن محمد الفاسي المتوفى سنة 1072 هـ - 1662 وهي نسخة معتمدة تداولتها أيدي الاعلام ⁽²⁴⁾ كانت بفاس ثم انتقلت الى مراكش ثم صارت الى الخزنة العامة بالرباط اليوم وهي محفوظة تحت رقم ج/ 662 في أربعة أسفار .

ونسخ الشيخ أبي السعود عبد القادر بن علي الفاسي المتوفى عام 1091 هـ / 1680 م الذي اشتهر بتفرغه لنسخ صحيح البخاري ورغبة الناس في اقتناء منتسخاته لدقتها وضبطها وعلمه ونظرا لكثرتها فإننا نجتزئ بذكر المشهور منها :

نسخة خماسية بالخزنة الكتانية، ونسخة أخرى موجودة عند بعض أولاده بفاس، ونسخة خماسية موجودة بالخزنة الحمزاوية تحت رقم 397، ونسخة بجامع القصبة بالصويرة، وأخرى بمشهد أبي يعزى بتاغيا، ونسخة بالجزائر، وأخرى بمكتبة باريس، والسفر الخامس من تجزئة ثمانية بخزنة الجامع الكبير بمكناس تحت رقم 449 ⁽²⁵⁾ ونسخة

(23) ترجم له في سلوة الانفاس 3/ 286 .

(24) التنويه والاشادة ص 10

(25) المصدر السابق ص 10 الورقة المغربية ، القسم الثاني مجلة البحث العلمي العدد 18 للسنة 8 ص 35 .

الشيخ محمد بن أحمد الحريشي الفاسي المتوفى عام 1102 والموجود منها ثلاثة أسفار في الخزنة العامة بالرباط موزعة بين ثلاثة أرقام: الأول 1865 ك. والثالث 444 د. والرابع الأخير 509 د ⁽²⁶⁾ .

ونسخة أبي القاسم أحمد بن العربي بن سليمان الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة 1141 هـ / 1728 - 29 م في مجلد واحد توجد بخزنة جامعة القرويين ⁽²⁷⁾ .

ونسخة أحمد بن قاسم جسوس الفاسي الذي كان يعيش في القرن الثاني عشر الهجري وقد كتب نسخته من صحيح البخاري من خط محمد المهدي الفاسي وهي في مجلد فرغ منها سنة 1121 وهي موجودة بخزنة تامكروت تحت رقم 952 ⁽²⁸⁾ .

والنسخة اليونانية من صحيح البخاري التي اشتراها وادخلها إلى المغرب الشيخ سيدي أحمد بن ناصر الدرعي الناصري المتوفى سنة 1129 / 1717 والموجودة بالخزنة العامة قسم المخطوطات في عشرة اجزاء تحت عدد 481 هـ وعليها طرره وتعليقاته ⁽²⁹⁾ .

كما توجد بالخزنة الناصرية بتامكروت نسخة ثلاثينية نادرة منقولة من الفرع اليوناني المذكور تحت كتابتها سنة 1128 / 1716 بخط محمد بن محمد حجي الفاسي وهي موجودة بتامكروت تحت رقم 949 ما يزال يقرأ بها الصحيح في شهر رمضان إلى الآن جريا على السنة المتبعة منذ تأسيس الزاوية المذكورة ⁽³⁰⁾ .

(26) صحيح البخاري والدراسات المغربية ص 25

(27) نشر الثاني 2 / 362

(28) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 26

(29) فهرس الفهارس 2 / 88 و 123

(30) المصدر السابق 2 / 89

ونسخة الشيخ محمد بن محمد الدلائي ثم الفاسي المتوفى سنة 1197 هـ / 1782 - 83 م والذي اشتهرت منتسخاته من صحيح البخاري وتوجد منها واحدة في مجلد من خط أبي السعود الفاسي وهي بالخزانة الملكية تحت رقم 10571 (31).

ونسخة الشريف محمد بن أحمد الصقلي الحسيني الفاسي المتوفى سنة 1232 / 1817 م والذي اشتهر أيضاً بكثرة نسخه لصحيح البخاري ويوجد منها أربعة أجزاء الأول والثالث والسادس والسابع من نسخة بخطه ، كما هو مسجل آخر الجزء الأول منها وهي موجودة بالخزانة الملكية تحت رقم 6163 (32).

ونسخ السيد عبد العزيز بن محمد لحلو الفاسي المتوفى عام 1233 هـ / 1818 م والذي اشتهر بكثرة منتسخاته من صحيح البخاري والتي تمتاز بجمال الخط وروعة الزخرفة وجودة التفسير والتلوين نذكر من هذه النسخ ثلاثاً :

- الأولى في مجلد فرغ من كتابتها أوائل المحرم عام 1206 / 1791 وهي موجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 695.

- والثانية خماسية انتهى من كتابتها في شعبان سنة 1227 / 1812 توجد بالخزانة الملكية تحت رقم 3275.

- والثالثة في مجلد موجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1587 د .

كما توجد نسخة عشارية جاء ذكرها ووصفها في فهرس المكتبة الصادقية بتونس (33).

(31) صحيح البخاري في الدراسات المغربية ص 26

(32) المصدر السابق نفس الصفحة

(33) الجزء الثاني ص 66

ونسخة المحدث سيدي محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الادريسي المتوفى سنة 1318 هـ / 1900 م اعتمد فيها على نسخة الشيخ ميارة المذكور ضبطها وصححها عشرات المرات (34) وهي في عشرة أجزاء ، إلى غير ذلك من عشرات نسخ الصحيح المشهورة ، كما توجد بأغلب الخزائن والمكتبات المغربية بعض أسفار من نسخ صحيح البخاري يرجع تاريخها إلى أغلب العصور نذكر منها السفر السابع من نسخة نادرة بآخره عدة ساعات وهو بخط أبي الحسن طاهر بن مفوز الشاطبي المتوفى سنة 484 هـ ويرجع تاريخه إلى سنة 481 هـ وهو موجود الآن بخزانة القرويين عدد 80 / 94 حرف ل (35).

كما يوجد بخزانة القرويين جزء واحد وهو الجزء الرابع من نسخة من صحيح البخاري أوله كتاب تفسير القرآن الورقة الأولى منه بخط جيد وهو خط البوعزاوي رحمه الله إلى كتاب الأدب وقد كتبه محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي القاسم السوسي الجزولي أصلاً الروداني داراً كتبه للفقهاء سيدي إبراهيم البوعقيلي وكان الفراغ منه غرة ربيع الثاني عام 1083.

كما يوجد بها الربع الأخير منه جزء واحد بخط مغربي لناسخه أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد بن عزوز الجزنائي ، قال وكتب جلّه بالمجلة الجهادية أيام حصار المسلمين ظفرهم الله لنصارى سبتة ... وكان الفراغ منه ليلة الخميس لثلاثين من شعبان عام 1117 هـ .

كما توجد بنفس الخزانة نسخة ملفقة اشتملت على أجزاء أربعة ، الثاني والثالث والرابع والخامس ينقصها الجزء الأول إلى كتاب الصوم مع تكرار في الجزء الثالث بخط مغربي واضح .

(34) التنوية والاشادة ص 10 و 11

(35) انظر قائمة نوادر المخطوطات بالقرويين ص 16

وبها ايضا السفر الثاني منه من البيوع إلى فضائل اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم جزء واحد بخط مغربي متقن مكتوب من نسخة
تجزئة عشرين جزءا .

وبها ايضا جزء واحد بخط مغربي ترجمته الأولى والأخيرة مذهب
وما عدا ذلك بالالوان وباعلى اوراقه تنقيع .

وبها ايضا جزءان من نسخة تجزئة ثلاثين جزءا في الاصل بقي منها
الجزء الثالث والعشرون والرابع والعشرون في سفر والجزء الثلاثون وهو
الاخير في سفر بخط مشرقى واضح جيد .

وبها ايضا سفر واحد ضخيم بخط اندلسي في كاغد قديم اصابه
التلاشي اوله قصة غزوة بدر وآخره باب المرأة ترقى الرجل . . إلى غير
ذلك من مئات النسخ واجزاء من نسخ صحيح البخاري ما زالت قابعة
بين رفوف المكتبات والخزائن تحتاج إلى من يرعاها ويعنى بها ويحفظها من
عوامل البلى والزمان حتى لا تذهب وتضيع فيما ضاع من عيون التراث
المغربي نتيجة الاهمال والنسيان .

كما توجد بأغلب الخزائن والمكتبات المغربية نسخ خطية حول
شروح البخاري وحواشيه وتعليقه ورجاله من تأليف المغاربة وغيرهم
نذكرها بأرقامها في محلها .

الباب الثاني مركز رواية الصحيح في المغرب

الفصل الأول

المجالس الحديثية

مجالس السماع والإملاء
مجالس الموحدين
مجالس المرينيين
مجالس الوطاسيين
مجالس السعديين
مجالس العلويين
أثر المجالس الحديثية في نشر الصحيح

المجالس الحديثية

تمهيد

مجالس السماع والاملاء:

لما كان عقد مجالس إملاء الحديث أعلى مراتب الرواية والسماع وكان أحسن وجوه التحمل وأقواها ، فقد كان العلماء والمحدثون يحرصون أبلغ الحرص على عقد مجالس للحديث والاملاء اقتداء بالسنة وإحياء لها وجرياً على ما سار عليه السلف الصالح منذ القديم .

وقد جرى العمل أن يتخذ العالم في مجالسه مستملياً محصلاً متيقظاً⁽¹⁾ يبلغ عنه إذا كثر الجمع وامتد وعليه أن يستملي قائماً أو مرتفعاً ليبلغ اللفظ على وجهه لتفهم السامع على بعده .

وقد أسند الرامهرمزي حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان يملي وعلي يكتب ، قال :

« حدثني أحمد بن محمد بن سهيل حدثنا ابراهيم بن بشير بن أبي جواف حدثنا اسماعيل بن صبيح عن عمرو بن شعر بن جابر عن أبي جعفر قال :

قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأديم - وعلي بن أبي طالب عنده فلم يزل رسول

(1) تقريب النووي ص 338

الله صلى الله عليه وسلم يملئ وعلي يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه⁽²⁾.

كما كان الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يعقدون مجالس للإملاء والتحديث مثل نافع وعكرمة بن عمار وشريكاً.

فقد روى ابن خلاد في المحدث الفاضل قال : حدثنا محمد بن سليمان الزبيري حدثنا أحمد بن أبان القرشي حدثنا ابن عيينة حدثنا ابن جريج قال :

أتيت نافعاً فطرح جوثته وأملئ علي في ألواحي قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تباعع المتبايعان فكل واحد منهم بالخيار من بيعته ما لم يفترقا أو يكون بيعهما عن خيار فاذا كان عن خيار فقد وجب .

كما قال روى الرامهرمزي حديثاً آخر قال :

حدثني أحمد بن علي الدينوري حدثنا محمد بن أحمد بن البراء حدثنا علي بن المديني حدثنا يحيى قال : سمعت عكرمة بن عمار يملئ حديث سلمة الاكوع الطويل في رجب على الفضل بن الربيع فلم يكن معي شيء أكتب فيه فحملته عن بشر بن السري كتبه لي ثم أملاه علي وعلى محمد ابني⁽³⁾.

ولذلك كان العلماء وأهل الحديث يعقدون مجالس للإملاء والسماع ويجرّسون عليها وكان عمر بن عبد العزيز من الداعين إلى عقد مجالس الحديث في المساجد أحياء للسنة ونشراً لها .

(2) تدريب الراوي المحدث الفاضل ص 601 .

(3) المحدث الفاضل ص 602 .

حدثنا ابن البري حدثنا العباس بن عبد العظيم حدثنا النضر حدثنا عكرمة بن عمار قال : سمعت كاتب عمر بن عبد العزيز يقول : أما بعد فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم فإن السنة كانت قد أُميتت .

وقد روى ابن عدي والبيهقي في المدخل من طريقه حدثنا عبد الصمد بن عبد الله ومحمد بن بشر الدمشقيان قالا : حدثنا هشام بن عمار حدثنا أبو الخطاب معروف الخياط قال : رأيت وائلة بن الاسقع رضي الله عنه يملئ على الناس الأحاديث وهم يكتبونها بين يديه⁽⁵⁾.

وقد روى أبو داود والنسائي من حديث رابع بن عمرو قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بلغة شهباء وعلي يعبر عنه » .

وفي الصحيح عن أبي جرة قال : كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس⁽⁶⁾.

فان كثر الجمع بحيث لا يكفي مستمل اتخذ مستملين فأكثر فقد أملئ أبو مسلم الكجي في رحبة غسان وكان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل واحد صاحبه الذي يليه وحضر عنده نيف وأربعون ألف محبرة سوى النظارة⁽⁷⁾.

متى يستحب الجلوس للتحديث والإملاء ووقت امتناعه :

وقد اختلف العلماء متى يستحب الانتصاب للحديث والسماع

(4) المصدر السابق 603

وأخرج البخاري نحوه تعليقاً

فتح الباري 1/ 204

وتيسير الوصل 2/ 157

(5) تدريب الراوي ص 338 - 339

(6) تدريب الراوي ص 339

(6) تدريب الراوي ص 339

(7) المصدر السابق

وفي أي سن يكون ذلك وما هي الشروط التي ينبغي توافرها في الشيخ كي ينتصب للحديث والاملاء .

وقد حدد أبو الفضل عياض رحمه الله ذلك بقوله : (8) .

« إعلم أن السماع من المسلم البالغ العدل العاقل الضابط لما سمعه العارف به حين أدائه صحيح متفق عليه لكنه اختلفت اختيارات أهل هذا الشأن : متى يستحب الانتصاب لهذا والتصدر له اما لأجل كمال عقله واجتماع أشده وانتهاء كهولته ووقت سمته أو لتوفي أشياخه ومزاجته من أخذه عنه » .

وقد كان بعض المحدثين يمتنعون من الحديث حال حياة شيوخهم . قال سفيان الثوري لسفيان بن عيينة : مالك لا تحدث ؟

فقال : « أما وأنت حي فلا » (9) .

وذهب الرمهمزمي إلى أن سن الجلوس للحديث والاملاء استيفاء الخمسين اعتماداً على طريق الأثر والنظر لأنها انتهاء الكهولة ، وفيها مجمع الأشد (10) .

كما ذهب إلى أنه ليس بمستكر أن يحدث عند استيفاء الأربعين لأنها حد الاستواء وسن المبعث .

غير أن القاضي عياض رد رأيه لأنه لا يقوم على حجة ولأن كثيراً من المتقدمين من الصحابة وغيرهم حدثوا قبل هذه السن بكثير وبعدها

بكثير ، كما أن من المحدثين من لم يبلغ هذه السن ونشر علماً كثيراً وحدثنا كثيراً فقد توفي عمر بن عبد العزيز ولم يكمل الأربعين وسعيد بن جبير ولم يبلغ الخمسين .

كما أن مالك بن أنس تصدر للحديث وسنه لا يتعدى العشرين والناس متوافرون وشيوخهم أحياء مثل ربيعة وابن شهاب وابن هرمز وغيرهم .

وقد حدد القاضي عياض السن التي ينبغي فيها للشيخ أن يترك الحديث هي سن الثمانين وهي سن التغير وخوف الخرف ، الأمن كان ثابت العقل مجتمع الرأي ، وفي ذلك يقول : فاذا تنهى العمر فاحب إلي أن يمسك في الثمانين لأنه حد الخرف ، والتسبيح والذكر وتلاوة القرآن أولى بأبناء الثمانين إلا من كان ثابت العقل مجتمع الرأي محتسباً في الحديث فأرجوله خيراً (11) .

والعبرة عند القاضي عياض هو التغير وخوف الخرف أما الحداثة والهرم مع ثبوت العقل واجتماع الرأي فلا يمنعان ، ناهيك وأن أنس بن مالك حدث وحمل عنه وقد نيف على المائة وغيره كثير عبد الله بن أبي أوفى ووائلة بن الاسقع .

وكذلك الشافعي أخذ عنه العلم في سن الحداثة وانتصب لذلك (12) .

وقد أنشد بعض البغداديين فيما نقله الخطيب البغدادي : (13)

(11) الاملاء ص 204

(12) فتح المغيث 308 و 309

(13) الاملاء ص 204

جامع بيان العلم 85/1

(8) الاملاء ص 199 .

(9) المصدر السابق ص 199

المحدث الفاضل ل 96

فتح المغيث ص 311

(10) المحدث الفاضل ل 84

أن الحدائنة لا تقتصر بالفتى المرزوق ذهنياً
لكن تذكى قلبه فيفوق أكبر منه سناً

« وإنما كره من كره لأصحاب الثيانيين الحديث لأن الغالب من
اختلال الجسم والذكر وضعف الحال وتغير الفهم فحذر المتحري من
الحديث في هذه السن مخافة أن يبدأ به التغير فلا يفتن له إلا بعد أن
جازت عليه أشياء »⁽¹⁴⁾ .
ولقد اشتهر السلف من المحدثين والعلماء بمجالس الاملاء والسماع التي
كانوا يداومون عليها ويواظبون في أوقات معينة مضبوطة تحضرها الآلاف
من طلاب العلم والحديث والمستمعين بمحابرهم وكتبهم فيسجلون ما
يسمعون وما يملئ عليهم .

وقد جمعت آمالي المحدثين والعلماء في مجالسهم العامة والخاصة في
كتب عرفت بكتب « الآمالي » التي تكاثرت وازدادت طوال تاريخنا
الفكري على مر العصور حيث كانت تجمع آمالي كل عالم ومحدث حسب
كثرتها أو قلتها وحسب طاقة كل محدث وعطاءه .

وقد بلغت هذه المجالس الحديثية عند بعض المحدثين أكثر من
ألف مجلس كما هو الشأن عند الحافظ ابن حجر المتوفى سنة 752⁽¹⁵⁾
والذي اشتهر بكثرة مجالسه الحديثية وبلغت أقل من ذلك عند بعض
المحدثين كالحافظ العراقي الكبير المتوفى سنة 806 ، الذي بلغت مجالسه
الحديثية أكثر من أربعمائة مجلس⁽¹⁶⁾ ، وكالحافظ السخاوي المتوفى سنة
902 الذي جاوزت مجالسه أكثر من ستمائة مجلس⁽¹⁷⁾ ، وكالحافظ

(14) (الاملاء ص 209 .

(15) فهرس الفهارس 239 / 1

(16) فهرس الفهارس 197 / 2

(17) فهرس الفهارس 335 / 2

السيوطي المتوفى سنة 911 الذي أملى أكثر من مائة وثلاثين مجلساً⁽¹⁸⁾ ،
وسواهم كثير .

وسنقتصر في هذا الفصل على مجالس الحديث المغربية حسب
التسلسل التاريخي بدءاً بالموحدين فالمرينيين فالسعديين فالعلويين
ملمين بالسمات والخصائص الفكرية لكل عصر من عصور التاريخ
المغربي منوهين بالاهتمام المتصل للملوك المغربية بدراسة كتب الحديث
وخاصة صحيح البخاري وعقد مجالس لروايته ودرايته ومشاركة بعضهم
للمحدثين ونبوغهم فيه ذاكرين أشهر الحفاظ وكبار المحدثين النابهين في
كل عهد من العهود .

(18) فهرس الفهارس 360 / 2

تدريب الراوي ص 176

المبحث الأول

عهد الموحدين

تمهيد :

لقد كان للموحدين فضل عظيم على العلوم والمعارف فقد ازدهرت في عهدهم وعظم شأنها بسبب تشجيعهم لها بمختلف الوسائل خاصة انهم شجعوا منها ما كان محظوراً أيام المرابطين فأسسوا المدارس والمعاهد واستقدموا العلماء وقربوهم بل عقدوا لهم المناظرات والمحاورات وبنوا المكتبات ومنحوا العلماء الجوائز والصلوات مما جعل الحركة العلمية تزدهر ازدهاراً لم يعرف قبلهم وخاصة بعاصمتهم مراكش التي غدت تعرف ببغداد المغرب⁽¹⁾.

وأما الحديث فقد ازدهر على عهد الموحدين ازدهاراً لم يعرفه تاريخ المغرب فيما سبق وذلك لسببين رئيسيين :

(أ) استدعواهم لكبار المحدثين من الاندلس وضمهم إلى مجالس بجانب اخوانهم المحدثين المغاربة⁽²⁾.

(ب) المكانة الكبرى التي أحلوا فيها طلاب الحديث وخاصة أيام يعقوب المنصور⁽³⁾ هذا إلى أنهم جمعوا كتب الفروع التي كانت منتشرة طاغية على عهد المرابطين وأحرقوها وقصروا الاهتمام في طلب العلم

(1) العلوم والآداب على عهد الموحدين ص 15 - 16

(2) الاعلام 1 / 65

() المعجب ص 188

وتحصيله على كتب الحديث وحدها بسبب عزوف الناس عن الاصلين واهتمامهم بالفروع دون الأصول .

ورغم ان صحيح مسلم وسنن ابي داود كانا اشيع من غيرها من كتب الحديث على عهد الموحدين فقد كان الاهتمام والعناية ظاهرة بارزة بصحيح الامام ابي عبد الله البخاري سواء من طرف الخلفاء والأمراء أو من طرف العلماء في المجالس العلمية العامة والخاصة، ناهيك وان اغلب خلفاء الموحدين وامرائهم كانوا من حفاظ صحيح البخاري⁽⁴⁾ كما عملوا على نشر المجامع العلمية التي اقاموها والتي كان يحضرها كبار العلماء والمحدثين الوازدين على الحضرة من الاندلس وغيرها⁽⁵⁾.

فقد كان المهدي بن تومرت عالماً فقيهاً راوياً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم حافظاً له⁽⁶⁾، كما كان عبد المؤمن بدوره « حافظاً للحديث متقناً للرواية مشاركاً في كثير من العلوم الدينية والدنيوية »⁽⁷⁾.

وأصبح العلم مقصوراً على الحديث وحده الذي غدت له المكانة الكبرى والمزية العظمى دون بقية الفنون والعلوم في عهد الدولة الموحدية كما أصبح طالب الحديث هو الذي يطلق عليه لفظ الطالب والمحدث هو العالم ، وقد تحدث ابن أبي زرع في القرطاس عن هذه الظاهرة بقوله :

ونال عنده أي أبي يوسف يعقوب الموحدي طلبة العلم اعني « علم الحديث » ما لم ينالوه في أيام أبيه وجده وكان يعتبر نفسه ملجأهم ومهريهم⁽⁸⁾.

(4) المعجب ص 188 والنفع 2 / 99

(5) المصدر السابق 227

(6) القرطاس 2 / 170

(7) المصدر السابق 2 / 170

(8) المعجب ص 356

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن في هذا المجال إذا كانت العلوم والثقافة بصفة عامة عرفت على عهد الموحدين ازدهاراً عظيماً لم يسبق ان عرفت مثله فيما قبل : فهل كانت للموحدين مجالس حديثة خاصة بالجامع الصحيح ؟

وإذا كانت المصادر كلها تجمع على أن عصر الموحدين طبع بكونه عهد الحديث والمحدثين حتى أصبحت كلمة علم تعني في عهدهم علم الحديث كما أن حلفاءهم وامراءهم عنوا بالحديث وخاصة الجامع الصحيح واشتهر بعض خلفائهم بحفظ متونه باسانيدها ، كما نبغ في عهدهم محدثون كبار اشتهروا بالرواية والدراية كما برزت في عهدهم ظاهرة المجالس العلمية التي كانت تقوم على الحوار والمناظرة في شتى انواع العلوم فان ذلك كله يؤكد انه كانت لهم مجالس خاصة بصحيح البخاري سماعاً ودراسة إذ أن الخليفة أو الأمير لا يصبح حافظاً لمن الصحيح واسانيده إلا إذا كان عكف على دراسته بعد حفظه وسماعه .

ولذلك سنتابع سيرة بعض خلفاء الموحدين وامرائهم وعلمائهم فيما يتعلق بمجالسهم الحديثية التي كانت تعقد لرواية صحيح البخاري ودرأيته .

مجالس أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن

الملقب بالمنصور

قال عنه ابن خلكان : « كان اعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم بايامها في الجاهلية والاسلام صرف عنايته إلى ذلك ولقي فضلاء اشبيلية أيام ولايته بها .

وكان فقيها حافظاً متفتناً نشأ في قراءة العلم بين افاضل العلماء . ويقال انه كان يحفظ صحيح البخاري كما كان يحفظ القرآن الكريم مع

جملة صالحة من الفقه . . . » (9) .

كما قال أيضاً عنه : « وكان حريصاً على الجمع بين علمي الشريعة والحكمة ولم يزل يجمع إليه العلماء من كل فن من جميع الأقطار ومن جملتهم أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشيد المعروف بالحفيد » .

واختص هذا الخليفة بالوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر المتوفى سنة 595 وكان هذا مشاركاً في الفقه والحديث والتفسير وقد ذكر عنه ابن خير أنه كان يحفظ كتاب البخاري بأسانيده (10) .

وقد اشتهر المنصور بمجالسه العلمية الجامعة التي كان يعقدها بقصره بمحضر رجال الدولة والعلماء ، وكان يخصص لكل نوع من العلوم يوماً من أيام الأسبوع فكان هناك مجلس للفقهاء وآخر للأدباء وثالث للأطباء وهكذا (11) . وكان الخليفة يفتح المجلس العلمي بنفسه بإلقاء مسألة على الحاضرين ويشاركهم في حلها والجدال فيها (12) وقد كانت هذه المجالس منظمة تنظيمياً فريداً حتى في ترتيب الجلوس مما يزيد لها مهابة وجلالة فكان يجلس إلى جانب الخليفة خطيبه فقاضي الجماعة بمراكش ورئيس الأطباء فأكبر علماء الحضرة فباقي الاعلام والحاضرين على اختلاف مراتبهم (14) .

وكان المنصور يخص مجلسه الحديثي بعناية خاصة تقديراً للمقام

(9) وفیات الاعيان

(10) (المعجب 309 - الاستقصا 3/ 140 نقل عن ابن خلكان

(11) القرطاس 2 / 180

(12) (عيون الانباء في طبقات الاطباء 2 / 78 و 81 -

عصر المنصور الموحي ص 149

(13) (المعجب ص 211 - عصر المنصور الموحي ص 150

(14) (عيون الانباء في طبقات الاطباء 2 / 74 - العلوم والفنون ص 40 .

الرفيع الذي تحتله السنة في نفسه باعتبارها احد الأصلين الأساسيين في الاسلام مما دفعه إلى حفظ متون الأحاديث وجمع كتاب الترغيب كما كان له عطف خاص على طلبة الحديث ، ونال المحدثون عنده الخطوة الكبيرة والمقام الرفيع وكانوا أحب الناس إليه ، ولا يخلو منهم مجلس من مجالسه ففقرت الحفاظ منهم وادناهم إليه .

أشهر المحدثين في عهده :

وقد أشتهر من بين المحدثين في مجالس المنصور الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الملك الكتامي الفاسي المشهور بابن القطان المتوفى سنة 628 الذي كان من ابصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لاسماء رجاله وأشدهم عناية بالرواية ⁽¹⁵⁾ ويعتد ابن القطان أول شخصية مغربية ركزت الدراسات الحديثية على الأساليب والمناهج المتبعة في الشرق مع نوع من الطراكية والاختصاص ⁽¹⁶⁾ لذلك عينه المنصور لقراءة الحديث بين يديه وجعله شيخ مجلسه الحديثي ⁽¹⁷⁾ وولاه رئاسة طلبة علم الحديث بمراكش في عهده .

كما كان من علماء مجلسه الحديثي فخر شاطبة أحمد بن هارون بن عات المتوفى سنة 609 والذي كان يحفظ متون الأحاديث باسانيدها فلا يخل بحفظ شيء منها ⁽¹⁸⁾ .

والحافظ عبد الرحمن بن محمد بن حبيش المتوفى سنة 584 وقد كان مسلماً له في حفظ غريب الحديث ولم يكن أحد يجاريه في معرفة

(15) النكلمة 1920 - نفح الطيب 2 / 135

(16) الفكر العلمي في المغرب الأقصى عبد العزيز بن عبد الله - مجلة الدارة ع 4 ص 4 محرم 99 دجنبر 78

(17) اعلام 6 / 74

(18) نفح الطيب 1 / 627

رجال الحديث واصنافهم ومولدهم ووفاتهم حتى كانت الرحلة اليه ⁽¹⁹⁾ وسواهم من ائمة الحديث وحفاظه كثير.

كما كان مجلسه الحديثي يضم محدثين وشيوخاً أجلة ممن استقدمهم إلى حضرته وكانوا زينة مجالسه وصدورها إلى جانب إخوانهم علماء الحضرة المغاربة ونذكر منهم على الخصوص ممن كانوا يقومون بتدريس الحديث بأمر المنصور أمثال أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي المالقي المتوفى سنة 581 ⁽²⁰⁾ .

وأبي الحسن نجبة بن يحيى الرعيني الأشبيلي المتوفى سنة 597 ⁽²¹⁾ .

وأبي عبد الله محمد بن أحمد اللخمي التلمساني المكناسي الشهير بابن الحجام المتوفى سنة 614 ⁽²²⁾ .

مجالس الحديث على عهد المأمون

ولم يشذ هذا الخليفة عن سابقه او يقصر في الاهتمام بالعلوم والفنون وفي مقدمتها علم الحديث لكونه كان بدوره فقيهاً عالماً حافظاً وكانت أوقاته دائماً مملوءة بالمجالس العلمية وخاصة مجالس الحديث إذ كان يداوم على سماع صحيح البخاري ودراسته في مجالس متصلة طوال أيام خلافته .

وقد أكد ذلك صاحب المعجب وأثبتته « من أن المأمون كان معدوداً من حفاظ الحديث وظل أيام خلافته يسرد كتب الحديث وخاصة

(19) النكلمة ع 1617 - عصر المنصور الموحد ص 230

(20) النكلمة ع 1613

(21) النكلمة ع 1276

(22) الاعلام 3 / 87

البخاري ، ، ، (23) .

كما أورد الناصري في الاستقصا لدى ترجمته قوله :

وكان المأمون فصيح اللسان فقيهاً حافظاً للحديث ضابطاً للرواية عارفاً بالقراءات حسن الصوت والتلاوة مقدماً في علم اللغة العربية والأدب وأيام الناس كاتباً بليغاً حسن التوقيع . . إلى أن قال : « . . . ولم يزل سائر أيام خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخاري والموطا وسنن أبي داود » . (24) .

وكان هذا شأن سائر خلفاء الموحدين وأمرائهم حيث لم يخل عهد من العهود طوال أيام حكمهم من مجالس الحديث ونبوغ المحدثين والحفاظ الذين كان أغلب أمراء الموحدين بعد خلفائهم معدودين منهم كيوسف ويعقوب وإبراهيم بن يوسف وسواهم .

أشهر المحدثين :

وقد أنجبت هذه البيئة العلمية وتلك المجامع الموحدية العظيمة نخبة من الحفاظ والمحدثين كان لهم أكبر الأثر في حياتنا الفكرية وصاروا من معالم فكرنا وتاريخنا نذكر منهم :

أبا الخطاب بن دحية السبتي وأبا عبد الله محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني الصقلي الفاسي (25) وأبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن هارون المرادي الفاسي الذي اشتهر بقيامه على الكتب الخمسة ولم يكن له مثيل في عصره (26) . والحافظ أبا بكر بن الجدد والقاضي أبا عبد الله بن الصقر وأبا عمرو بن دحية وأبا عبد الله محمد بن حماد العجلاني الفاسي المتوفى سنة 609 (27) وعبد الله بن سليمان بن حوط الله المتوفى سنة 612 وسليمان بن موسى بن سالم الكلاعي المتوفى سنة 634 وسواهم كثير من الحفاظ والمحدثين الذين انجبتهم الدولة الموحدية .

(23) القرطاس ص 160 - 161 (24) الاستقصا 2 / 215 (25) الاعلام 3 / 79 (26) الجذوة ص 84 العلوم والفنون ص 48 (27) التكملة 6 / 1006 و 1008 ص 760 .

المبحث الثاني

عهد المرينيين

تمهيد :

لعل السمات الفكرية لهذا العصر لم تتبدل كثيراً عما سبق إذ تابعت الحركة الفكرية سيرها وازدهارها امتداداً لعصر الموحدين بفضل العناية والرعاية التي وجدتها الحركة الفكرية في ظل الدولة المرينية وما امتاز به ملوكها من محبة للعلم وأهله وما قدموا لهم من تشجيع ورعاية وصلات وما جبل عليه ملوكهم وأمرأؤهم من إقبال على العلم وتعطش إليه وتفرغ له وإقبال على أهله وخاصة العلوم الدينية وفي مقدمتها علم الحديث .

ولقد اشتهر السلطان أبو الحسن المريني بمجالسه العلمية والحديثية وكثرة مناظرتة وحواره مع الفقهاء والعلماء لكونه كان عالماً حافظاً .

وإذا كان الملاحظ في هذا العصر رجوع الفقهاء الى سالف عهدهم وعودة ازدهار الفقه بعد كساد سوقه أيام الموحدين إذ عادت الحركة الفكرية إلى ازدهارها في سائر فروع العلم وخاصة الفقه ، وتحرك الفقهاء من جديد بعد رفع الحصار عنهم وازداد نشاطهم واتسعت دائرة العلوم اتساعاً عظيماً .

وسمة أخرى تميز بها هذا العصر وهي المكانة التي أصبحت

لرجال الفتوى والقضاء وطلبة العلم وما أصبح لهم في النفوس من تعظيم وتكريم وعلى رأس هؤلاء المحدثون الذين ظلوا يتصدرون المجالس والمحافل للعناية الفائقة التي شملهم بها على الدوام ملوك هذه الدولة وأمرؤها .

مجالس أبي الحسن المريني

لقد بلغ العلماء في عهد الدولة المرينية كثرة لم يعرفها تاريخ المغرب قبلهم حتى بلغ من رافق منهم السلطان أبا الحسن المريني في رحلته إلى تونس أكثر من أربع مائة عالم كما أكد ذلك ابن خلدون وغيره من المؤرخين ⁽¹⁾ .

وكان أبو الحسن المريني يلزم العلماء على كثرتهم حضور مجلسه وشهوده ويتجمل بمكانهم فيه ويهتم بمناظرتهم ومحاوَرَتهم طوال مجالسه التي كانت تشمل مختلف العلوم والفنون وهو ما جعل ابن مرزوق يعتبر إحدى خصائص هذا السلطان محبته للعلم وملازمته للعلماء وخاصة المحدثين منهم وذلك عندما عقد فصلاً في مسنده حول مصاحبة أبي الحسن للعلماء وبره بهم وتعظيمهم ⁽²⁾ ومشاوَرَتهم ومشاركتهم وجعلهم بطانته وفي ذلك يقول :

« اختص بمجالسة أهل العلم ومحاضرتهم ومشاورتهم ومشاركتهم وجعلهم بطانته » .

لذلك كان أبر الناس بأهل العلم وأعرفهم بقدرهم استخلصهم لنفسه وجمعهم من سائر بلاده في حضرته . . . وأجرى عليهم الجرايات حتى اجتمع له منهم اعلام وضم اليهم من كان بتلمسان وأحوازها

(1) الاستقصا 3 / 171

(2) المسند الصحيح الحسن ص 140

واستمر على ذلك لدى دخوله إلى أفريقيا . . . » ⁽³⁾ .

وقد اشتهر هذا السلطان العظيم بأنه كان يؤثر علم الحديث على غيره من العلوم ويخصه بالممارسة والمداومة عليه وخاصة كتاب الجامع الصحيح لابي عبد الله البخاري الذي كان يكثر من سماعه ودراسته في مجالسه مع محدثي حضرته .

ولذلك نرى ابن مرزوق يخصص عناية أبي الحسن وشغفه بسماع الجامع الصحيح ودراسته بباب في مسنده سماه « الباب الحادي والعشرين فيما كان يؤثره من العلوم » .

قال : « وكان أحب الاشياء إليه سماع الحديث يقرأ بين يديه وكان يستكثر من سماع جامع البخاري قرأته عليه مرات وهو الكتاب المتفق على صحته وفضله المجرب بتفريج الشدائد والازمات عند قراءته » ⁽⁴⁾ .

كما سجل ابن مرزوق في مسنده ايضاً أن أكثر كتب الحديث سماعاً ودراسة في مجالس أبي الحسن هو الجامع الصحيح للبخاري وانه هو نفسه - اي ابن مرزوق - قرأه بين يديه مرات وفي ذلك يقول :

« أكثر ما كنا نقرأ بين يديه كتاب الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري » ⁽⁵⁾ .

« وقرأت هذا الكتاب بين يديه رضي الله عنه غير مرة لهذا الغرض نفعه الله ونفع به » ⁽⁶⁾ .

وقد سجل الوزير ابن الخطيب هذه الظاهرة في شعر مؤكداً عظمة

(3) المصدر السابق ص 141

(4) المسند الصحيح الحسن ص 150

(5) المصدر السابق ص 154

(6) المسند الصحيح الحسن ص 155

هذا الملك واتساع مداركه وعنايته ومداويمته على مجالس العلم والحديث خاصة واستمرار تلك العناية والرعاية طوال عهده قال :

الملك المعدود من خير سلف	ومجموع القول إذا القول اختلف
الدين والعفاف والجلالة	والعز . والقدرة والجزالة
والعلم والحلم وفضل الدين	وصفوة الصفوة من مريم
مهدد الملك ومسدي المنن	وواحد الدهر وفخر الزمن
باني المباني النخبة الشريفة	بمقتضى همته المنيفة
وتارك المدارس الظريفة	شاهدة بأنه الخليفة
وقاطع الدهر بغير هو	في مجلس معظم أو بهو
إمالة تدريس وعلم يدرس	أو لبلاد من عد وتحرس
أو لا ياد في عباد تغرس	أو لشواب ورضا يلتمس
أو نسخ قرآن وعرض حزب	أو عدة معدة لحرب ⁽⁷⁾

أشهر المحدثين في عهده :

وقد كانت حضرته ومجالسه كخلية نحل تعج بمئات المحدثين والعلماء والأدباء والشعراء مغاربة وغيرهم ممن يستقدمهم من سائر الانحاء والاصقاع ممن ثبتت كفاءتهم وطار صيتهم مما لم يكن له مثيل في عصره .

ومن مشاهير الملازمين لمجالسه العلمية من العلماء والمحدثين :

الإمام أبو عبد الله عمر بن علي بن سليمان السطحي وكانت له مشاركة تامة في الحديث والاصلين واللسان كان إمام الفريضة والمدرس

(7) رقم الحلل لابن الخطيب الاستقصا 3/ 177

في حضرته والمفتي والخطيب بالنيابة وقد مات غريقاً في ركب السلطان⁽⁸⁾ .

والإمام الخطيب أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن عبد الرزاق الجزولي نادرة وقته ووحيد عصره⁽⁹⁾ .

والفقيه الرئيس الإمام أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي وقد كان آية في الحفظ والانتقان والضبط وصاحب العلامة وإمام المكتبة وأحد علماء الحضرة⁽¹⁰⁾ .

والشيخان الشقيقان أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا أبي عبد الله البوشكيان لازماه طوال مقامه بتلمسان وبعد استيلائه عليها ودرساً بمجلسه وكانا أثيرين لديه⁽¹¹⁾ .

والعلامة المحدث المشارك أبو عبد الله بن علي الأيلي شيخ المغرب⁽¹²⁾ .

والعلامة المحدث الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن الصباغ المكناسي الذي أملى على حديث : يا أبا عمير ما فعل النغير أربعائة فائدة في مجلس درسه⁽¹³⁾

مجالس أبي عنان المريني

لم يختلف العلماء أبو عنان عن أبيه في الإقبال على العلم ومحبة للعلماء وجعلهم بطانته وحضور المجالس العلمية بانتظام والمواظبة عليها

(8) المسند الصحيح الحسن ص 142

(9) المصدر السابق ص 149

الاستقصا 3/ 171

(10) المسند الصحيح الحسن ص 144 - 145

(11) المصدر السابق ص 145 - 146

وخاصة مجالس الحديث وذلك لكونه « كان عالماً أيضاً مثل أبيه كما كان حافظاً للقرآن بناسخه ومنسوخه حافظاً للحديث عارفاً برجاله » (14).

وقد ازدهرت العلوم والفنون في عهده وبلغ العلماء والمحدثون أوج الرقي لديه بتعيينهم في المناصب الرفيعة للدولة وبذل العطايا والصلوات لهم وحضورهم الدائم إلى جانبه حضرا وسفرا كما سعى في نشر الحديث والتشجيع على حفظه وقراءته ببناء المدارس والمعاهد العليا والزوايا (15) فنبغت في عهده طائفة من كبار المحدثين والحفاظ كان لهم أكبر الأثر في تاريخ المغرب الفكري إلى الآن.

وقد اشتهر من هؤلاء المحدثين الذين نبغوا على عهد الدولة المرينية :

أبو محمد عبد الله الورياعلي وقد بلغ مرتبة الاجتهاد وكانت الرحلة اليه .

وأبو القاسم عبد العزيز بن أبي عمران موسى العبدوسي وكان هذا أحد افراد عائلة حملت لواء الحديث بفاس والمغرب زمنا طويلاً وقد وصفه ابن مرزوق بحافظ المغرب (16) .

والحافظ المسند أبو عبد الله محمد بن عمر الشهير بان رشيد الفهري السبتي « الذي كان كثير السماع عالي الاسناد صحيح النقل تام العناية بصناعة الحديث قima عليها بصيرا بها محققاً فيها ذاكرة للرجال » كما وصفه ابن الخطيب .

وكان له مجلس دائم للبخاري شرقي صحن القرويين بين الظهر

(14) الاستقصا 3 / 206

(15) المصدر السابق 3 / 206

(16) الدرر الكامنة

والعصر (17) .

والمحدث الضابط أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي كان عارفاً بمراتب الحديث ورجال سنده حافظاً لافظاً .

والمحدث الكبير أبو زكريا يحيى بن أحمد السراج الفاسي الرحالة المكثّر في الرواية كان له سماع عظيم وفهرس جامع .

المبحث الثالث

عهد الوطاسيين

رغم أن الاضطراب والفتنة سادت عهد الدولة الوطاسية مما جعل ملوكها وزعماءها يقصرون كل اهتمامهم على الشؤون السياسية وضمان الأمن والاستقرار فإن ذلك كله لم يكن مانعاً من صرف الاهتمام بالشؤون الثقافية وبعث الروح في الحياة الفكرية للبلاد رغم تضائل عدد العلماء وقلة النشاط الثقافي بصفة عامة .

كما أن ظاهرة مميزة سجلت في هذا العهد ، وتتمثل في كثرة الفقهاء وعلماء التصوف وشدة الاهتمام بالأدب والشعر خاصة ⁽¹⁾ ورغم ذلك فقد ظل الاهتمام بالعلوم الدينية ملاحظاً وخاصة بعلوم الحديث الذي تميز في هذا العهد بظاهرة كراسي التدريس التي تابع الوطاسيون والمحسنون في عهدهم تخصيص عدة أوقاف لها بفاس وخاصة لعلم الحديث نذكر منها :

1 - كرسي ابن غازي 919 - 1513 ، وقد خصص لتدريس كتاب « العمدة للعيني ، وهو في شرح صحيح الإمام البخاري . وهذا الكرسي من أوقاف أبي فارس الورياعلي ⁽²⁾ .

كما خصص للرسالة كراسيان آخران كانا من نصيب عبد الرحمن المشتراي المتوفى سنة 1003 هـ . ⁽³⁾

(1) المغرب عبر التاريخ 255 / 2

(3) المصدر السابق 256 / 2

(2) المصدر السابق 256 / 2

2 - كرسي التهذيب بالمدرسة المصباحية وأستاذه الشيخ عبد الواحد الونشري وقد أسند إليه بعد موت والده أحمد بن يحيى ⁽⁴⁾ .

3 - كرسي بشرح فتح الباري .

انشأه السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الوطاسي في منتصف القرن التاسع تقريباً بجامع القرويين وشغله أيضاً الونشري سابق الذكر ⁽⁵⁾ .

ومن أشهر علماء هذا العهد ومحدثيه :

الشيخ أبو محمد عبد الله الغزواني دفين حومة القصور بمراكش والذي لازم الشيخ التباع وتخرج به ⁽⁶⁾ .

والشيخ أبو عبد الله محمد بن غازي الإمام المشهور المتوفى سنة 919 هـ ⁽⁷⁾ .

(4) المصدر السابق 256 / 2

(5) كراسي الاساتذة بجامع القرويين للمؤني دعوة الحق ع 4 سن 9 - 1385 - 1966

(6) الاستقصا 4 / 144

(7) المصدر السابق 4 / 145

المبحث الرابع

عهد السعديين

تمهيد :

لم يستمر ركود الحركة العلمية وفتور النشاط الفكري خلال العهد الوطاسي بسبب عدم استقرار الاحوال وانعدام الأمن والفوضى التي انتشرت وعمت المغرب أيام الدولة الوطاسية إذ لم يكد يتنظم أمر السعديين بالمغرب حتى اجتمعت كلمة الأمة عليهم وعاد الأمل إلى النفوس ورجعت الأحوال إلى طبيعتها في مختلف المجالات وبالاخص الحياة الفكرية التي وجدت في ملوك الاشراف السعديين سندها ومددها خاصة وأن اغلبهم كانوا مشغوفين بالعلم مقبلين عليه محيين للعلماء ، وفي مقدمتهم أحمد المنصور الذهبي مفخرة السعديين والمغرب الذي اشتهر بثقافته الواسعة مثل سابقه محمد المهدي الذي كان معروفاً بقدرته على إقناع الفقهاء والعلماء ومن بعدهما السلطان زيدان الذي استطاع بدهائه وحججه المنطقية اقناع يحيى بن عبد المنعم بضرورة تخلصه من مجاهدة ابن أبي محلي⁽¹⁾ .

ومن مظاهر ازدهار الثقافة في العهد السعدي زيادة الاهتمام بجمع الكتب وتحبيسها وما تزال خزانة القرويين تتوفر على عشرات المخطوطات المحبسة باسم المنصور ، كما اشتهر زيدان بخزائنه التي

(1) النبوغ 239 / 1 وما بعدها
المغرب عبر التاريخ 451 / 2

كانت تضم نفائس الكتب المخطوطة والتي استولى عليها الاسبان وما زال بعض مخطوطاتها بمكتبة الاسكوريال الى الآن⁽²⁾ .

وفي هذا العهد أسست الخزائن بأمهات المساجد وألحقت بها ليستفيد منها المؤمنون وتنمو ثقافتهم ومداركهم وقد كانت طافحة بالنفائس من الكتب ومن هذه الخزانات الملحقة بالمساجد الرسمية خزانة جامع لالة عودة بباب دكالة وخزانة جامع أبي العباس السبتي وخزانة جامع المواسين⁽³⁾ وغيرها .

ومن تلك المظاهر إقبال العلماء ورجال الفكر على مراكز التي كانت تضم خيرة علماء المغرب ومفكره الذين كان يزخر بهم بلاط السعديين منهم أبو فارس الفشتالي وابن القاضي ومحمد شقرون مفتي مراكز واتيان هووير أول مستعرب في هذا العهد والذي تعلم العربية وأتقنها حتى أصبح فيما بعد أستاذاً للغة العربية بكلية الطب بباريز⁽⁴⁾ .

وقد تميزت في هذا العهد منطقة سوس باشعاعها العلمي والثقافي وخاصة تارودانت التي كانت تضم محدثين وعلماء كباراً ملأوا مدارسها ومجامعها حركة وعلماً ، وامتد هذا النشاط إلى مراكز ثقافية أخرى كإبليغ وتامنارت وتازمورت وتازروالت وغيرها .

غير أن اشعاعاً آخر للحركة الدينية والثقافية عم وانتشر بالمغرب كله ومصدره الزوايا والرباطات وفي مقدمتها الزاوية الدلائية التي اسدت للحركة الفكرية منذ تأسيسها في هذا العهد أيادي ما زالت قائمة خالدة بفضل علمائها ومحدثيها وكبار زعمائها وقادتها⁽⁵⁾ وقد فصلنا بالحديث عنها في غير هذا الفصل .

(4) المصدر السابق نفسه 453 / 2

(5) المصدر السابق 454 / 2

(2) المغرب عبر التاريخ 452 / 2

(3) المغرب عبر التاريخ 453 / 2

مجالس المنصور الذهبي

إذا كان القرآن وعلومه والقراءات وأنواعها قد حازت في العهد السعدي قصب السبق على غيرها من أنواع العلوم والفنون ، فإن الحديث الشريف عرف بدوره إقبالا كبيرا وعناية فائقة وخاصة على عهد المنصور الذهبي الذي كان هو نفسه عالما حافضا للحديث عارفا برجاله وفنونه بفضل مشيخته الوافرة محاورا مناظرا للعلماء والمحدثين الذين نذكر من بينهم محمد بن يوسف الدرعي وأحمد المنجور والمفتي شقرون ابن هبة الله الوهراني ويحيى السراج وغيرهم⁽⁶⁾ .

وقد شغف المنصور بكتب الحديث ودواوينه وفي مقدمتها صحيح البخاري الذي كان يدرس بمجالسه العلمية طوال السنة وخاصة في رمضان كما امتازت مراكش في عهده بحلقات الدروس الحديثية التي كانت تعقد على مدار السنة وخاصة في شهر رمضان وفي ذلك يقول الفشتالي :

(ومنها قيام رمضان وإحياء ليلاليه المباركة » ينتقي لذلك مشيخة القراء والأسانيد المبرزين في السبع وحسن الاداء والتلاوة ويستنفرهم لشهود رمضان معه » ثم يبرز صباح كل يوم من أيامه لسماح الحديث الكريم وسرد الجامع الصحيح للبخاري بين يديه يعقد لذلك مجلسا حافلا من أهل العلم ومشيخته برسم المذاكرة والتفهم في أسرار الأحاديث النبوية ويحضر لذلك من كتب الفن بقصد الرجوع إليها فيما أشكل حصّة وافرة من تأليف غريبة وكتب جمّة النفع ، فإذا تجادل العلماء في ميدان المذاكرة في فهم مسألة من المسائل شاركهم فيها وربما تناول راية السبق إلى فهم المسألة فيصيب المفصل لغزارة علمه وحسن ملكته بما يقر

(6) فهرس احمد المنجور ص 78 و 79

مناهل الصفا ص 128 تحقيق كنون

العين ويشفي الصدر ويبهت الحاضرين وهذا دأبه أيده الله في رمضان كله حتى ينصرم⁽⁷⁾ .

وهكذا لم تكن دروس الحديث وخاصة الجامع الصحيح أيام المنصور الذهبي دروس سرد وسماع وحفظ بل كانت دروس استيعاب ودراية وفهم ومناقشة وحوار مما يحيطها بالجلال والمهابة والجدية .

وقد كان لهذه المجالس الحديثية نظام متبع وترتيب خاص سواء من حيث الأجزاء التي تقرأ وتدرس كل يوم أو من حيث نظام الجلوس فيها وكذلك العلماء والشيخوخ الذين يتصدرون للقراءة والمناقشة وفي ذلك يقول الناصري في الاستقصا :

« وهكذا كانت سيرته في شهر رمضان عند ختم صحيح البخاري وذلك أنه كان إذا دخل رمضان سرد القاضي وأعيان الفقهاء كل يوم سفرا من نسخة البخاري عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفرا في كل يوم سفرا إلا يوم العيد وتاليه فإذا كان يوم سابع العيد ختم فيه صحيح البخاري وتهايا له السلطان أحسن تهيا .

وكانت العادة عندهم في ذلك أن القاضي يتولى السرد بنفسه فيسرد نحو الورقتين من أول السفر ويتفاوض مع الحاضرين في المسائل ويلقي من له بحث أو توجيه ما ظهر له ولا يزالون في المذاكرة فإذا تعالى النهار ختم المجلس وذهب القاضي بالسفر فيكملة سردا في بيته ومن الغد يتبدى سفرا آخر وهكذا والسلطان في جميع ذلك جالس قريبا من حاشية الحلقة قد عين لجلوسه موضع⁽⁸⁾ .

ومن الذين برزوا في علم الحديث في عهده وخاصة الذين

(7) مناهل الصفا ص 128

(8) الاستقصا 5 / 153 و 154

اشتهروا بتدريس الجامع الصحيح أبو العباس أحمد بابا السودانى الذي كان يقرئه بجامع الشرفاء بمراكش وكان يجلس لسماع الحديث وروايته ، حيث يقصده ويلتف حوله جمع غفير من أكابر العلماء للأخذ عنه والسماع منه ⁽⁹⁾ .

ومن دلائل انتشار دراسة الجامع الصحيح للإمام البخاري والعناية به وسماعه والاهتمام به نروي هذه المقالة عن الإمام أبي زيد عبد الله بن محمد التامنارتي في كتابه « الفرائد الجمة في إسناد علوم الأمة » قال :

أخبرني الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله الدغوشي صاحب الحسبة « بتارودانت أنه رأى في منامه كأنه في حلقة يسرد فيها صحيح البخاري بموضع من دار الخلافة بها وأبو العباس المنصور يومئذ بها وذلك قبل ولايته قال : فرأيت في طرة الكتاب هذا اللفظ « وروى الزند » .. الخ ⁽¹⁰⁾ .

ومن عناية المنصور بالحديث وأهله سعيه في وصل سنده بسند شيوخه بالمغرب وغيرهم من علماء المشرق من ذلك أنه بعث إلى علماء مصر يستجيزهم رغبة في اتصال سنده واقتفاء لاحب ذلك الطريق الأسد منهم العارف بالله أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري وذلك سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة وقد أجابه الشيخ المذكور ولبي طلبه قال في اجازته للسلطان :

« فمولانا مجاز من هذا العهد من جميع ما يجوز لهذا العبد بجميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه المعبر عند أهل الأمر وكذا مجاز أهل

(9) الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة مخطوط ص 45

(10) الاستقصا 5 / 90

الفوائد الجمة للتامنارتي

العصر إجازة عام بعام ليكون أبناء الوقت جميعا على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال ذلك الإنعام فإنه هو السبب في تحصيل ذلك المرام وكتب تحريراً . ⁽¹¹⁾ .

وكلا الاستدعاء والإجازة من عيون الثرات الحديثي وقد نشرناهما في محلها عند الكلام على تاريخ الاجازة في المغرب .

ومن استجازهم المنصور من علماء مصر الامام أبو عبد الله محمد بن يحيى المصري الشهير بدر الدين القرافي الذي أجاز به دوره إجازة عامة نظمية يقول في خاتمتها :

أجزت لمن تفضل واستجازا وبادر لا فتننا خير وحازا
وأبرز من سلوك العلم حالا به من فضل مولانا يجازي ⁽¹²⁾

وقد بلغ العلماء وخاصة المحدثين في عهده أرفع الدرجات ونالوا لديه الخطوة الكبرى والمقام الرفيع بفضل اعتزازه بالعلم وتقربه من العلماء حتى سار من باب التقرب إلى المنصور أن تنافس الناس « في اقتناء العلم والرغبة في احتراف صناعته الشريفة تعليما وتعلما لاعتزاز أهله وسعة أرزاقهم فتعددت المشايخ وكثر التلاميذ ونبغ التصنيف ... » ⁽¹³⁾ .

وهو ما أكدته أيضا الفشتالي بقوله في مناهل الصفا : « وأما إكرامه - أيده الله لضييفه العلماء الذين يجلبهم إلى حضرته من الأمصار برسم التحليق للمذاكرة في مجلسه وللأخذ عن المشيخة الاعلام منهم وانتفاع طلبة الحضرة بهم شيء لم يعهد في غير خلافته السديدة وأيامه السعيدة » ⁽¹⁴⁾ .

(13) مناهل الصفا ص 136

(14) مناهل الصفا ص 155

(11) الاستقصا 5 / 115

(12) المصدر السابق 5 / 115 و 116

وتعظيماً منه للعلم ورجاله فقد كان يحضر مجالس الدراسة بالقرويين عند سفره إلى فاس كما كان يكرم القائمين على ذلك⁽¹⁵⁾.

ومن شدة اعتزاز هذا الملك بالعلماء وحبه للحديث وشغفه به أنه كتب بنفسه بخط يده أنه قرأ أوائل الكتب الثلاثة: البخاري ومسلم والترمذي على الشيخ أبي العباس المنجور وأجازها فيها وفي بقية الكتب الخمسة بالسند المتصل المذكور في فهرسته التي كتبها الشيخ المنجور برسمه وأجاز له فيها بكل ما له من مقروء ومسموع كما روى عنه الحديث المسلسل بالأولية وحديث المصافحة وحديث المسح على الخفين ... »⁽¹⁶⁾.

وكفى المنصور شهادة الامام العظيم أبي عبد الله القصار الذي وصفه بالتجديد قال :

ولم نجد من جدد الدين سوى	إمامنا المنصور فالكفرثوى
بخيله وناره أحيا العلوم	وأهلها وكتبها على العموم
في كل يوم جوده على الشريف	ثم الأسير والفقير والترقيم
أما المساجد فكالجنان	حسنا وتدريسا على الساعات
أبقاه ربنا لإحيا الدين	في قوة وغلب متين ⁽¹⁷⁾ .

مجالس السلطان أبي عبد الله الشيخ

لقد استمرت الحركة الثقافية والنشاط الفكري في ازدهار أيام السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ كما كان الشأن على عهد سلفه لكون هذا السلطان أيضاً أديباً متفتحاً حافظاً ، كما كان تمتع المجالسة

(15) تنبيه الولدان ص 20
(16) مناهل الصفصا ص 188 و 189
(17) الفكر السامي 4 / 107

والمذاكرة ، وكان حافظاً للقرآن فهما جدا حافظا لصحيح البخاري مستحضرا ما للناس عليه قائلًا « عن شرح ابن حجر ما صنف في الاسلام مثله »⁽¹⁸⁾.

ولذلك ازدادت رعايته للعلم والعلماء الذين قربهم منه وجعلهم بطانته وأغدق عليهم الصلات وأجزل لطلاب العلم المنح وبنى لهم المدارس والمعاهد وبذل لهم كافة التسهيلات وحافظ على عادة المجالس العلمية ، كما كانت على عهد المنصور الذهبي وخاصة مجالس الحديث التي يحضرها بانتظام ويشارك فيها العلماء المناقشة والحوار والمناظرة وقد كان أغلبهم من شيوخه الذين أخذ عنهم وأجازوه ، وكانوا صدور مجالسه الحديثية أمثال الشيخ أبي علي الحسن بن عثمان التأملي وعلامة فاس ومحققها أبي عبد الله محمد بن أحمد اليستيني والشيخ المحدث أحمد المنجور⁽¹⁹⁾ وغيرهم.

أشهر المحدثين في عهده :

وقد بلغ ازدهار الفكر والثقافة أوجه على أيام السعديين حتى رأت مساجد مراکش وغيرها ازدهاراً لم يعرف في غير أيامهم ، وقد سجل ذلك وأثبتته بإعجاب الشيخ أحمد بابا السوداني في ذيل الابتهاج ، كما أرخ لهذه الفترة الذهبية من تاريخ المغرب الفشتالي في مناهل الصفصا ذاكرين معاً ما كان يزخر به بلاط السعديين من كبار المحدثين والحفاظ والعلماء والوافدين عليه من كل صوب ، نذكر منهم على سبيل المثال : الحافظ أبا العباس أحمد المنجور شيخ المنصور وصاحب الفهرس الذي وضعه باسمه .

(18) المنتقى المقصور
(19) المغرب عبر التاريخ 2 / 462

والحافظ أبا نعيم رضوان بن عبد الله الجنوي شيخ المنصور
ومجيزه ⁽²⁰⁾ .

وقاضي القضاة بفاس الشيخ أبا مالك عبد الواحد بن أحمد
الحميدي .

والشيخ أبا عبد الله البصري المكناسي ⁽²¹⁾ .

والشيخ الفقيه قاضي الجماعة أبا الفضل قاسم بن علي الشاطبي .

ومفتي فاس العلامة المحقق أبا زكريا يحيى بن محمد السراج ⁽²²⁾ .

وقاضي تارودانت الشيخ العالم أبا عثمان سعيد بن علي
الهوزالي ⁽²³⁾ وغيرهم كثير .

المبحث الخامس

عهد العلويين

تمهيد :

لعل الفتور الذي لحق الحركة العلمية أواخر الدولة السعدية
وخاصة بعد المنصور السعدي والذي كان مرده إلى انتشار الفوضى
واستشراء الفتنة ثم القضاء على الزاوية الدلائية أوائل ظهور الدولة
العلوية على يد المولى الرشيد وترحيل علمائها وشيوخها إلى كل من فاس
وتلمسان غير أنه لم تكد تستقر أحوال الدولة ويستتب الأمن في ربوعها
حتى عادت الحركة العلمية إلى نشاطها وقوتها بفضل محبة المولى الرشيد
للعلماء وتعهدهم ببره وعطفه حتى جعلهم من جلسائه وخواصه وأهل
بطانته ⁽¹⁾ .

وقد اتخذ الرشيد لنفسه مجلسا حافلا بالعلماء والشيوخ يحاورهم
ويذاكرهم وكان في مقدمتهم أبو عبد الله المرابط بل كان يذهب إلى ابعده
من ذلك ويتردد على منازل بعض العلماء للقراءة عليهم ⁽²⁾ كما كان يحضر
مجلس الشيخ اليوسي بالقرويين وبذلك انتشر العلم في عهده واعتز أهله
وظهرت عليهم أئبته ⁽³⁾ .

وإذا كانت الحركة الفكرية بوجه عام عرفت ازدهارا متواصلا أيام

(1) الاستقصا 7 / 43 و 44 النبوغ 1 / 274

(2) الاستقصا 7 / 44

(3) الاستقصا 7 / 44

(20) فهرس الفهارس 2 / 11

(21) مناهل الصفا ص 135

(22) المصدر السابق ص 136

(23) المصدر السابق نفس الصفحة .

العلويين فإنها بلغت أوجها وازدهارها في عهد بعض الملوك العلويين الذين تميزوا بكونهم كانوا علماء وحفاظا ومحدثين ولم تشغلهم شؤون الدولة ومهامها عن طلب العلم والتوسع في الثقافة والتفرغ لمجالس العلماء وخاصة الحديثية خلال اوقات وشهور معينة كرجب وشعبان ورمضان وهؤلاء الملوك هم: السلطان محمد الثالث والمولى سليمان والمولى عبد الرحمن وأضرابهم.

ولذلك نشطت المجالس الحديثية في عهدهم وكانت مجالس حوار ومناظرة ونقاش تضم كبار العلماء والمحدثين، وازدهرت حلقات الحديث في عهدهم سواء في القصور أو في المساجد والزوايا وغيرها.

وازداد طلبه الحديث وقوي الاقبال على حفظه ودراسته وكثر التأليف فيه وازدهرت الخزائن العلمية بفضل ما أضيف إليها من شروح وحواشي وتعليقات على صحيح البخاري كما برز في عهودهم محدثون كبار تفرغوا لدراسة الجامع الصحيح والعناية به وما زالت آثارهم شاهدة عليهم ومحافلهم ومجالسهم خالدة مذكورة .

كما امتاز هذا العهد بإنشاء جيش البخاري على عهد السلطان اسماعيل الذي جعل لهم قسما خاصا مسجلا على كتاب الجامع الصحيح يتضمن الاخلاص لملكهم وخدمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾ .

ومن التقاليد المرعية لدى ملوك المغرب أن يتخذوا من كبار العلماء شيوخهم لتعليمهم وتعليم أولادهم والمذاكرة معهم واستشارتهم وقد يكون شيخ السلطان هو شيخ الجماعة وغالبا ما يكون شيخ السلطان هو

شيخ مجلسه الحديثي ورئيسه⁽⁵⁾ وهو منصب رسمي ذو أهمية واعتبار لكونه يرأس مجالس السلطان ويتولى إلقاء الدرس بحضرته ، وقد جرت العادة في المغرب وخاصة في أيام الدولة العلوية بعقد المجالس الحديثية خلال ثلاثة أشهر من كل سنة وهي رجب وشعبان ورمضان « حيث يعين الشيخ ورئيس المجلس بأمر السلطان فئة من العلماء الممتازين لحضور المجلس مساء كل يوم طوال الأشهر الثلاثة باستثناء يومي الخميس والجمعة لسرد أحاديث صحيح الامام البخاري واذا ارتأى الملك أن يتكلم شيخه على أحد الأحاديث المسرودة طوى نسخة البخاري التي بيده فينبري الشيخ للتعليق على ذلك الحديث وقد يناقش من طرف الملك نفسه أو احد العلماء الحاضرين وقد يتحدث النقاش ويكثر الجدل والتدخل فيعين الملك أحد الحاضرين لتلخيص ما راج في المناقشة واعطاء رأيه الخاص أو يجعل حدا لذلك النقاش بعودته إلى فتح نسخه ، كما كان من بين الحاضرين من هو مخصص بالسرد لحسن صوته ومتانة عربيته وليس له حق التدخل في تقرير معاني الأحاديث لكون مستواه العلمي لا يخول له ذلك⁽⁶⁾ .

كذلك لم تكن مجالس الحديث مقصورة على الملوك وحدهم بل كانت عامة منتشرة يعقدها خلفاء الملوك وأمرأؤهم وعماهم وأعيان رعاياهم ، ويستدعون كبار الحفاظ والعلماء إلى منازلهم لسرد الحديث ودراسته اقتداء بملوكهم وتخلقا بأخلاقهم، هذا علاوة على النشاط الممتاز والمجالس الحديثية التي تشهدها رحاب المساجد الكبيرة والأضرحة الشهيرة والزوايا خلال الشهور الثلاثة ولا سيما في رمضان

(5) سنتكلم فيما بعد على رؤساء المجالس الحديثية في عهد الدولة العلوية .

(6) الكتاب الذهبي المركز الاجتماعي لعلماء جامعة القرويين محمد السراج ص 151

حيث يوقف العلماء دروسهم المعتادة ويعرضونها بدروس حديثة حول كتب السنة وفي مقدمتها صحيح البخاري ⁽⁷⁾ .

مجالس الرشيد بن الشريف

وصفه صاحب نزهة الحادي بأنه « كان محبا في جانب العلماء مؤثرا لأغراضهم مولعا بمجالستهم محسنا إليهم حيثما كانوا ... » ⁽⁸⁾ .

وقال عنه في النشر : « ومن شيمه الخليفة ومنحه الجلييلة مجالسة العلماء واکرامهم ومباستهم بين الملأ واعظامهم » ⁽⁹⁾ .

وزاد صاحب النشر قائلا : « ومن مزايا المترجم .. أنه كان حيثما دخل بلدا تعاهد مساجدها ومدارسها وسأل عن مجالس إلقاء العلماء بها وعمن يحضرها وربما حضر مجلسا لبعض الكبراء فرأينا في بعض التقايد أنه حضر مجلس الشيخ اليوسي وكان يدخل للمساجد بنفسه ... وخاصة القرويين ... » وما اجتمع مع علماء وقته إلا وحضر في مجلس اجتماعه معهم على نشر العلم وبثه واتقانه وتحقيقه وتعظيم طلبته ، وقد صادف ذلك كل مرام وأحيا الله بهم المغرب بعد الانعدام لطلوع شموسه على حين تغيره من وجه الدهر وعبوسه فجاء المغرب على فترة من حلكه فأقبل الناس على التعلم والتعليم وعمرت أسواق العلم وقد عفت منذ قديم ⁽¹⁰⁾ .

وعندما نقل علماء الزاوية الدلائية لفاس لنشر العلم أمر الشيخ اليوسي بالنزول إلى فاس والتصدير للتدريس بها فامتثل فأخذ عنه ملا كبير وجمع غفير ⁽¹¹⁾ .

وتحدث عن الرشيد أبو محمد عبد السلام بن السلطان محمد بن عبد الله في « درة السلوك وريحانة العلماء والملوك » قائلا :

« وكانت أيام مولانا الرشيد أيام راحة ودعة وسكون جامعة للمحاسن وأشتات الفنون وكان محبا في العلماء مطالعا لكتب الأقدمين فقيها متضلعا ، وكان أهل مجلسه من العلماء الفقيه عبد المالك التاجوعتي والفقيه الأديب سعيد التلمساني والفقيه محمد بن محمد عبد الرحمن والشيخ أبو علي اليوسي ⁽¹²⁾ .

وكان لا يصدر في جميع أعماله وشؤون مملكته إلا بعد مشورة العلماء من ذلك أنه بمجرد بيعته توجه عند الشيخ أبي زيد عبد الرحمن القاضي طالبا منه المشورة فيمن يوليه قضاء فاس وحاكمها وناظرها ، وكان هو الذي أشار عليه بتولية حمدون المزوار القضاء ⁽¹³⁾ .

في عهد السلطان اسماعيل

أبو النصر اسماعيل بن الشريف السجلماسي الحسني سلطان المغرب وفخر ملوك الدولة العلوية كان مطلعاً على العلوم الدينية متفهما مستحضرا لمسائلها الأصلية معاشرًا للعلماء والصلحاء وكان أعز ما عنده العمل على نشر الدين وعلو كلمته ولذلك يدعو ملوك أوروبا في مكاتبه إلى الدخول في الاسلام ⁽¹⁴⁾ ومن أجل ذلك كانت مجالسه دائمة قائمة ممتلئة بالحوار والمناظرة ويحضر معه فيها الكتب للاستدلال والبحث عما يحتاج له ويدافع عنه .

(12) المصدر السابق 3 / 56

(13) المصدر السابق 3 / 39

(14) الاتخاف 2 / 51

(10) المصدر السابق 3 / 32

(11) المصدر السابق 3 / 52

(7) المصدر السابق ص 155

(8) الاتخاف 3 / 29

(9) المصدر السابق 3 / 31

ومن شدة اهتمامه بالعلم والعلماء أنه كان يشترط على ملوك أوروبا افتداء أسراهم عن كل نصراني مقابل مائة كتاب من كتب الاسلام الصحيحة المختارة المثقفة في خزائنهم باشبيلية وقرطبة وغرناطة وماوالاها من المدن والقرى حسبما يختارها خديمنا المذكور...»⁽²⁾.

وقد وصفه المؤرخ الانجليزي لابريطويت في تاريخ انقلاب دول المغرب قال : « كان عارفا بفلسفة التاريخ وأيام العرب وأنسابها وأحوال الأمم ووقائعها إماما مرجوعا إليه في السيرة النبوية وضبطها »⁽³⁾.

ولذلك ازدهرت العلوم ووجد العلماء في كنفه رعاية وعناية خاصة علوم الحديث وفي مقدمتها كتاب الجامع الصحيح الذي اعتبره ميثاقا بينه وبين جيشه الذي ألفه من العبيد السود وأطلق عليه « عبيد البخاري » وجمعهم عليه وجعل القسم التاريخي عليه ميثاقا وعهدا على الاخلاص للدين والعرش بين الحاكم والمحكومين .

(2) من رسالته الملك اسبانيا الانحاف 2 / 65

(3) المصدر السابق 2 / 69

مجالس محمد بن عبد الله

إن أول ما يثير انتباه الدارس لحياة هذا الملك العظيم هو حبه للعلم وإقباله عليه منذ نعومة أظفاره وتكريمه للعلماء ومحبتهم ورعايتهم يؤيد ذلك ويؤكد أنه بمجرد بيعته ودخوله إلى فاس كان أول ما فعل هو اتصاله بالعلماء والفقهاء والتعرف عليهم واحدا واحدا⁽¹⁾.

لقد وصف نشر المثنائي، الملك محمد الثالث بأنه سلطان العلماء وعالم السلاطين لكونه كان في العلم بحرا لا يجارى وفي التحقيق والمعارف لا يمارى وقد جمع من دراية العلم ما تقف العلماء دونه... فكملمت به منة الله على العباد وأحيا به الله الدين في كل الأرض والبلاد⁽²⁾.

واعتبره أبو محمد عبد السلام بن الخطاط القادري « مجدد القرن والامام الموهوب لهذه الأمة »⁽³⁾.

وعده صاحب السلوة من المحدثين والعلماء بقوله : كان علامة دراكة فاضلا محدثا تاريخيا كاملا محبا للعلماء مجالسا للفقهاء⁽⁴⁾.

لقد ابتدأ محمد الثالث حياته بإقباله على كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشعر حتى اشتهر شغفه بكتاب الأغاني ، فكان يحفظه ويستظهره ويستشهد في مجالسه بنوادره وأمثاله وأشعاره .

(1) الاستقصا 8 / 5

(2) الانحاف 3 / 148

(3) المصدر السابق ص 149

(4) المصدر السابق 3 / 150

غير أن هذا الاتجاه إلى الأدب والتاريخ تحول منذ صار ملكاً فأقبل على كتب الحديث والسيرة فأخذ يدرسها ويدرسها العلماء ولم يقتصر على الموجود منها بالمغرب فاستجلب من المشرق المساند كمسند الإمام أحمد ومسندي الشافعي وأبي حنيفة ، كما أمر بشرح كتاب الصَّغَانِي (٥) .

وقد رتب لمجالسه أوقاتاً مضبوطة لا تتقدم ولا تتأخر حضراً وسفراً سلباً وحرباً وكان يحذو في ذلك حذو أستاذه وقدوته أحمد المنصور الذهبي .

ويجد فيها من اللذة والمتعة ما يثلج صدره ويملا عقله حتى كان يقول : « لقد ضيعنا عمرنا في البطالة » ويتحسر على ما فاتته من لذة العلم أيام الشباب . كما قام بنقل العلماء إلى مراكش من فاس ومكناس وسلا وغيرهم وفرقهم على المساجد يدرسون بها ، ويعلمون الناس ثم يحضرون مجلسه الحديثي يوم الجمعة ، ولم تكن تلك المجالس تقتصر على العلماء والمحدثين بل كان يجالس الشعراء والكتّاب والأدباء ويقربهم ويذاكرهم ويناقشهم ومن الأدباء المرموقين بحضرته أحمد بن الونان صاحب الشمقمقية الشهيرة التي عاشت وداعت ومحمد بن الطيب سكيرج وأحمد الغزال والكتّاب الاسحاقي وأحمد بن عثمان وغيرهم .

وكان مجلسه بعد صلاة الجمعة بمقصورة الجامع يحضره علماء مراكش وفقهاؤها وغيرهم من علماء المغرب الوافدين عليه يجالسهم إكراماً لهم وتنوياً ويذاكرهم في الحديث وفقهه والأدب وأيام العرب وكان يحصل له النشاط التام بالمذاكرة معهم في ذلك (٦) .

(٥) الانتخاف / 3 / 183 و 184

(٦) الانتخاف / 3 / 183

ورتب أوقاتاً لسرد الاحاديث النبوية والتفهم في معانيها مع قادة علماء وقته وضبطها ضبطاً محكماً لا يكاد يتخلف وانتقى جماعة من نبغاء علماء دولته لسمره ومجالسه .

واشتهر من علماء مجلسه الحديثي كثيرون نذكر منهم من لازمه ملازمة مستمرة وكان لا يفارقه إطلاقاً يسردون له كتب الحديث ويخوضون في معانيها ويؤلفون له على مقتضى إشارته (٧) ؛ نذكر منهم :

أبا عبد الله محمد بن أحمد الغربي الرباطي ، وأبا عبد الله محمد بن المير السلاوي ، وأبا عبد الله محمد الكامل الراشدي ، وأبا زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بوخريص ، وأبا محمد التهامي بن عمرو الرباطي ، وأبا زيد عبد الرحمن المنجرة . وأبا عبد الله محمد بن عبد الصادق ، والشيخ حمدون بن الحاج ، وأبا الحسن علي بن إدريس الفيلاي ، وأبا محمد عبد السلام بن بوعزة حركات السلوي ، وأبا العباس أحمد بن عثمان ، والظاهر بن عبد السلام وغيرهم (٨) .

كما استقدم المحدثين من فاس ومكناس لمراكش كالعلامة مولاي عبد الله المنجرة والأديب أبي عبد الله محمد بن الشاهد من فاس ،

وأبي العباس أحمد بن عثمان نقله من مكناس إلى مراكش ،

ومحمد بن عبد الرحمن الشرف من تادلا .

وابي الفضل الطاهر السلوي والشيخ الطاهر بن عبد السلام ، وكان يلزمهم حضور مجلسه يوم الجمعة بعد الصلاة للمذاكرة في الحديث والتفسير كما فرقهم على مساجد مراكش للإقراء بها .

(٧) الاستقصا 8 / 66

(٨) الفتوحات الإلهية مقدمة المدني بن الحسيني

وكانت هذه المجالس أساسا للمجالس الحديثية عند ملوك العلويين والتي سار عليها خلفه من بعده ونحووا نحوه واستمروا عليها إلى اليوم فهو مؤسسها في عهدهم واليه يرجع الفضل فيها إذ أصبح مجلس الحديث من العوائد الرسمية والسنن المرعية للدولة حيث استمر على ذلك الملوك من بعده^(٩).

كما حبس خزانة جدّه اسماعيل وفرقها على جميع مساجد المغرب وكانت تزيد على الاثني عشر ألف مجلد رجاء نفع عموم الناس وسعيا وراء نشر العلم وتحصيله^(١٠).

وكان ولوعا بجمع الكتب الغربية حتى أنه جمع وهو خليفة عددا من النساخ وجعل لهم محلا مخصوصا لنسخ كتب الحديث وغيرها ورئيسا هو الفقيه الأديب الكاتب محمد بن محمد غريط^(١١).

وقد سجل هذه الأيادي والصفحات المشرقة على عهده أبو العباس أحمد بن المهدي الغزال الفاسي المتوفى سنة 1191 قائلا :

أثنتا بك الأيام عند مشيبيها فعادت عروسا بالبهالها قدر
وعادت رياض العلم عابقة الشذا تغرد في أفنان أدواحها الطير
وشذت ذرا الآداب فاعتز أهلها وصار لهم في كل شائعة فخر

كما وصف مجالسه العلمية الشيخ حمدون بن الحاج بقوله :

به طلعت شمس لأهل فاس بأقصى مغرب للناظرين
ولم يعرف لها من قبل ذكر ولا طرقت بأذان السامعين
وجامعه تضمن ما حوته وجمعه فيه سؤل للراغبين^(١٢)

(٩) الفتوحات الإلهية مقدمة المدني بن الحسني

(١٠) الانحاف 3 / 184 و 185

(١١) الانحاف 3 / 367

(١٢) الانحاف 3 / 340

مجالس أبي الربيع سليمان

كان هذا السلطان نادرة من نوادر البيت العلوي في الاشتغال بالعلم وإثارة أهله كما كان جليلا نبيلًا علامة حجة كاملا وكان لا يجالس إلا الفقهاء والعلماء ولا يبرم أمرا من أمور المملكة إلا بعد مشاورتهم ، ولا يقبل منهم إلا النص الصريح ويبالغ في الشناء عليهم وتعظيمهم وصلتهم ومودتهم وتفقد أحوالهم وأحوال كل من له صلة بهم . . .^(١).

وقد حصر أغلب اهتمامه العلمي على التفسير والحديث ثم انقطع للحديث وعكف عليه وكان له مجلس خاص بقراءة الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري وسماعه والمذاكرة فيه وكانت تغلب عليه المناقشة والمناظرة والحوار .

وقد كان مجلسه الحديثي يطفح بكبار المحدثين والعلماء أمثال الشيخ أبي الفيض حمدون بلحاج صاحب كتاب « نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري » وكتاب « رياض الورد » .

والشيخ عبد الرحمن حفيد الشيخ الحبيب .

والشيخ التاودي بن سودة .

والفقيه العلامة محمد بن أبي القاسم الفيلاي .

والعلامة محمد بن العباس الشراي الزراري القضاعي^(٢) .

والشيخ أبي العلاء العراقي .

(١) فهرس الفهارس 2 / 330 نقلا عن الإشراف لابن الحاج

(٢) المصدر السابق 2 / 329 ، 330 و 331

ومما يذكر من لطائف مجالسه الحديثية أنه كان بمجلس البخاري فعتس والقارىء يتلو يرحمك الله من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال وليقل له أخوه وصاحبه يرحمك الله . . » الحديث « وقد سجل هذه اللطيفة أبو الفيض حمدون بن الحاج في بيتين ظريفيين : » (3) . عطست وراو الحديث يقول يرحمك الله قول الرسول فكان الرسول المشمت إذ عطست وذلك أعظم سول ومن شدة اهتمام هذا الملك العالم بعلم الحديث كثرة مشيخته واهتمامه بوصل سنده بسند شيوخه من ذلك الفهرس الذي جمعه له كاتبه أبو القاسم الزباني والذي ضم شيوخه الذين أخذ عنهم وسماه « جمهرة التيجان وفهرست اللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان » .

وكانت رواية السلطان أبي الربيع عامة ، كما ذكر في فهرسه عن عبد الرحمن بن الشيخ أبي العباس أحمد الحبيب السجلماسي تلميذ الهلالي عن أحمد بن التاودي وابن شقرون والطيب بن كيران والهواري وابن عبد السلام الفاسي والعربي بن المعطي الشرقاوي وابن أبي القاسم الرباطي الزباني (4) .

وروى صحيح البخاري وبقية الكتب الستة والموطا عن الشيخ التاودي بن سودة (5) .

وأهم ما يلفت نظر الدارس اهتمام هذا الملك بصناعة الحديث وروايته منها إجازته المكتوبة بخطه لأبي العباس أحمد بن التاودي

(3) المصدر السابق 2 / 330

(4) اللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان للزباني

(5) فهرس الفهارس 2 / 328

الحمودي السريفي العلمي (6) ، وسنشرها في محلها إن شاء الله .

وقد تحدث صاحب الاستقصا عن مجالسه الحديثية التي استمرت طوال عهده وفي سائر الايام إلا أنها كانت تتركز وتتأكد في شهر رمضان قال :

وأما الدين والتقوى فذلك شعاره الذي امتاز به ومذهبه الذي يدين به من أداء الفريضة لوقتها المختار حضرا وسفرا وقيام رمضان واحياء ليلاليه بالاشفاع يتتقي لذلك الأسانيد ومشايخ القراء ويجمع أعيان العلماء لسرد الحديث الشريف وتفهمه والمذاكرة فيه على مر الليالي والأيام ويتأكد ذلك عنده في رمضان ويشاركهم بغزارة علمه وحسن ملكته ويتناول راية السبق في فهم المسائل التي يعجز عنها غيره فيصيب المفصل (7) .

ومن مظاهر العناية بالجامع الصحيح في عهده أنه سمع بوجود أصل أبي علي الصديقي بطرابلس الغرب عند بعض الناس وذلك بوساطة المحدث أبي عبد الله الناصري الذي خوفه من مغبة ضياع هذا الأصل العظيم فاهتم للأمر اهتماما بالغا وأسفر إلى من بيده ووجه معه ألف مثقال فاشتراه منه إلا أن الظروف حالت دون وصوله إلى المغرب وما زال دينا لنا في ذمة من بيده إلى الآن .

(6) المصدر السابق 2 / 330

(7) الاستقصا 8 / 170

ومستشاريه ومساعديه من المحدثين والعلماء ونذكر منهم الشيخ ابا عبد الله محمد بن إدريس الفاسي والعلامة أبا الحسن علي بن عبد السلام التسولي⁽⁴⁾ والذين كانوا صدور مجالسه العلمية والحديثية التي كانت عامرة بنوابغ العلماء وكبار المحدثين أمثال :

- محمد بن الطاهر العلوي الحسني المراكشي .
- والشيخ عبد القادر بن أحمد الكوهن المتوفى سنة 1254 .
- والشيخ محمد المدغري المتوفى سنة 1248 .
- والعلامة التهامي المطيري المكناسي المتوفى سنة 1249 .
- والعلامة العباس بنكيران المتوفى سنة 1271 .
- الشيخ المهدي بن سودة المتوفى سنة 1294⁽⁵⁾ .

مجالس عبد الرحمن بن هشام

وصفه الشيخ المختار محمد الكنتي فيما كتب به إليه ينصحه ويعظه قال : ⁽¹⁾ .

نخبة الأخيار وخلاصة خاصة الاحرار سلسلة السادات الابرار وخاتمة القادات ذوي الاقدار الورع البر المتواضع حامي بيضة الاسلام من المعتدين إمام الامة القائم بكل الامة . إلى أن قال :

كان يقرب العلماء ويحتفل بالعلم صارفا همته إليه إحياء للسنة وامانة للبدعة صواما قواما زاهدا متقشفا متواضعا .

وكان مهتما بأمور الدين يحث الرعية والولاء على الاستمسك بالسنة وعمارة المساجد واتخاذ الفقهاء يعلمون الصبيان ⁽²⁾ .

وفي ذلك يقول الشيخ الطالب بن حمدون بن الحاج :

نظمت لآل الجدد بعد اندثارها وليس لعقد أنت ناظمه نثر
وقلدت أهل العلم در نفائس بما لم يقلد من مهفهفة نحر
وأخلصت في طاعات ربك موقنا فطاعك كل الخلق والبر والبحر⁽³⁾

وهناك ظاهرة تسجل لهذا السلطان إذ أنه كان يعين وزراءه

(1) الانحاف 5 / 3

(2) الانحاف 5 / 93

(3) الانحاف 5 / 258

(4) الجامع الصحيح للإمام البخاري ص 70 للاستاذ عبد الرحمن الدكالي دعوة الحق ع 9 س 16
1395 - 1975

(5) جامع القرويين 3 / 785

وكانت مجالس الحديث خلال الشهور الثلاثة المذكورة تبلغ ستة وثلاثين مجلساً طوال عهد ملكه لا تنقطع أبداً سفراً وحضراً وفي ذلك يقول ابن زيدان :⁽²⁾

« وعلى هذا كان العمل جارياً من لدن الدولة الرشيدية إلى أواسط الدولة اليوسفية وكان من العادة تقديم الطعام للعلماء اثر انتهاء الدرس وفي الختام تلقى القصائد تمجيداً وتعظيماً للمناسبة في عهد المولى الحسن أجزلت لهم العطايا والهدايا وزيدت في المبرات » .

ومن شدة اهتمام هذا الملك بصحيح البخاري وتعظيمه أنه عندما بنى قصره بالرباط دشنه بحفل عظيم ختم فيه صحيح البخاري بمحضر رجال الدولة وعلماؤها .

وكانت رئاسة مجالسه الحديثية للشيخ أبي عيسى المهدي بن سودة المري المتوفى سنة 1294 والذي كان على عهد مولاي عبد الرحمن رئيساً لها أيضاً .

ثم خلفه فيها بعد وفاته شقيقه الشيخ أحمد بن سودة المري المتوفى سنة 1321⁽³⁾ .

ومن شدة اهتمامه بالجامع الصحيح أنه كان يقيم حفلات ختمه وسرده وتدريسه حاضراً ومسافراً كما فعل ذات مرة وقد حل بالرباط خلال شهر رمضان فآتم به صيامه وأحيا العيد بها وغمر الجند والأيتام والأرامل والإشراف والعلماء وذوي الحشيات والأعيان وسائر الموظفين الدينيين وغيرهم وختم صحيح الإمام البخاري وكان شيخ مجلسه الحديثي المهدي

مجالس الحسن الأول

لقد أظهر الحسن الأول منذ أول عهده اهتماماً عظيماً بنشر العلم ورعاية العلماء وتعظيمهم ولذلك كان يبعث البعث إلى الخارج لتلقي شتى أنواع العلوم كما كان يحضر مجالس العلم بنفسه ويناقش العلماء ويستشيرهم في أمور الدولة .

ومن تشجيعه للعلم وأهله وإجزاله لهم العطايا والمنح حتى تسابق الناس في البادية والحاضرة إلى حفظ المتون واتقان القراءات وكانت كل أسرة تنجب ولداً يحفظ متناً أو يتقن علم القراءات تكرم وتعفى من الخدمات والتكاليف وتمنح ظهير التوقيع والاحترام زيادة على منح الحافظ صلة مهمة ومثال ذلك ما حصل له مع الشيخ أبي شعيب الدكالي وهو صغير عندما امتحنه بنفسه في النحو فلما أجاد قال : « اعطوه منحتين » واحدة لصغر سنه والأخرى لكبر فنه » وأرسله على نفقته إلى الشرق لإتمام دراسته⁽¹⁾ .

وقد كانت عنايته بالحديث والمحدثين فائقة واستمرت عادة المجالس الحديثية خلال الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان وكان يحضرها بنفسه ويستدعي لها العلماء من كل حذب وصوب حيث تدرس كتب الحديث للبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والموطأ .

(1) الجامع الصحيح للإمام البخاري ص 70 للاستاذ عبد الرحمن الدكالي دعوة الحق ع 9 ص 16 - 1395 - 1975 ص 72

(2) الاتحاف 2 / 143 وما بعدها .

(3) المركز الاجتماعي لعلما جامعة القرويين محمد السراج الكتاب الذهبي ص 153

الطالب بن سودة المري قاضي الحضرة بمكناس وحضره جمع غفير من القضاة والعلماء والاعيان ووفود القبائل المغربية الواردين بالبيعة الكريمة من فاس .

وقيل في ختمه ذاك من الأماديح نيف وخمسون قصيدة أجاز أصحابها كل بما يستحق⁽⁴⁾ ومن عيونها القصيدة التي ألَّفها أبو العلاء إدريس العراقي في الختم ومطلعها :

أرج القبول من المهيمن نام وندا التعرف بالمواهب هام⁽⁵⁾
وقد سجل هذه المجالس وعناية هذا الملك بسرد الحديث وتدريسه وخاصة الجامع الصحيح الأديب الشاعر أبو محمد عبد الواحد بن المواز بقوله :

ملك له علم وفهم ثاقب	في المد لهم غدا كزندواري
ملك لرفع الدين منتصب كما	خفض الظلال بجراح بتار
أحيا رسوما للحنيفة بعدما	أقوت فعادت بعد في إكبار
وأقام منها قاصدا سبل الرضى	ما انقضت بقيا يد الاشرار
في كل حين للشعائر مظهر	كالمولد النبوي ذي الاخطار
فله بأزمته احتفال واحتفا	من سرد سيرة سيد الاطهار
وقراءة لحديث مولد أحمد	وسماع ما فيه من الاشعار ⁽⁶⁾

ومن شدة اهتمامه أيضاً بالجامع أنه لما كان يعزم على « الحركة » من بلد إلى آخر ويحيي وقتها يأمر السلطان بإخراج الافراك⁽⁷⁾ ويعين يوم

(4) الانحاف 2 / 143

(5) المصدر السابق وسنشر القصيدة كاملة في محلها

(6) الانحاف 2 / 205

(7) واحد القباب

نصبه فينصب بأبهة عظيمة، يحضرها اكابر علماء البلد والقضاة وأعيان الشرفاء وسائر حاشيته، ويحضر الطعام الخاص من عند السلطان للقضاة والعلماء مدة مبيتهم بقبة السلطان بقصد قراءة صحيح الإمام البخاري بعد أداء الفريضة وقراءة القرآن وهي ثلاث ليال⁽⁸⁾ .

كما كان من جملة ركابه في سائر حركاته ورحلاته « الفرس الحامل لصحيح الإمام البخاري محوطاً بأعلام جيش البخاري وقواده »⁽⁹⁾ .

(8) المصدر السابق 2 / 534 و 535

(9) المصدر السابق 2 / 537

مجالس عبد الحفيظ

وفي عهد هذا السلطان زادت العناية بالحديث وأهله لكونه كان عالماً شغوفاً بكتب الحديث وعلوم السنة تفرغ لها واشتغل بها عندما كان خليفة للمولى عبد العزيز بمراكش .

ولذلك استمر في عقد مجالس الحديث التي كان يجمع لها العلماء من كل أنحاء البلاد وخاصة علماء شنجيت الذين كان يضمهم إلى مجالسه العلمية التي كان يميزها الحوار والنقاش والمناظرة كما كان يشارك فيها بنفسه مشاركة تدل على اطلاعه الواسع وفهمه العميق وخاصة في الدراسات الحديثية ويتدخل في النقاش بالسؤال والتعقيب كما حصل له مرة مع الشيخ أبي شعيب الدكالي عندما كان يتكلم على حديث في صحيح البخاري مستنبطاً منه سألته عن بيت شعر ورد في الصحيح (1) .

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلى حاميم قبل التقدم كما سألته عن قائله والقصيدة التي قيل فيها وسببها . . الخ .

ومن شدة حبه للجامع الصحيح والعناية به أمره للعلماء بالانتقال إلى أمهات المساجد لتدريسه وقراءته مثل أمره للشيخ الدكالي بتدريس الجامع الصحيح بجامعة القرويين بمحضر علماء فاس ومحدثيها وفقهائها (2) .

(1) الجامع الصحيح للإمام البخاري للاستاذ الدكالي دعوة الحق

ص 72 ع 9 س 16 محرم 1395 يناير 1975

(2) المصدر السابق نفس الصفحة .

ومن مظاهر عنايته بالحديث إصداره الأمر للمكلفين بمطبعة فاس بتقديم طبع كتب الحديث قبل غيرها فطبعت حواشي الشيخين التاودي ابن سودة وابن زكري على الجامع الصحيح والنظم المتناثر لسيدي محمد ابن جعفر الكتاني الخ . . .

وقد امتازت المجالس الحديثية على عهد المولى عبد الحفيظ بما كانت تزخر به من كبار العلماء والمحدثين وفي مقدمتهم شيخ الجماعة أبو العباس أحمد بن الخطاط الزكاري المتوفى سنة 1343 والذي ظل يرأس المجالس الحديثية إلى أن توفي وخلفه على رئاستها الشيخ أبو شعيب الدكالي (3) .

ومن أفراد هذا المجلس الشيخ عبد الكبير الكتاني صاحب كتاب حواشي البخاري وشيخ الجماعة بالرباط أحمد البطاوري (4) والشيخ أبو الفيض سيدي محمد الكتاني صاحب ختمه البخاري والحافظ سيدي محمد بن جعفر الكتاني صاحب الرسالة المستطرفة والعلامة علي عواد وغيرهم .

ومن مظاهر عنايته بالجامع الصحيح ونشره في الآفاق بين الناس انشاؤه ترتيب قراءته بالضريح الإدريسي شروق كل يوم وقد عين لذلك علماء أمثال القاضي عبد السلام الهواري والشيخ جعفر الكتاني وغيرهما (5) .

هذا وقد امتازت المجالس الحفيظية بطابع النقاش واحترام النزاع بين المحافظين من العلماء المتشبهين بظاهر النصوص مثل أحمد بن الخطاط

(4) طبع درسه الحديثي في كتاب بعنوان الدروس الحفيظية سنة 1365 - 1046

(5) انظر مقالنا عن الدولة العلوية وعنايتها بالحديث الشريف دعوة الحق ع 2 س 1397 18 - 1977

وأحمد بن الجليلي المتوفى 1352 وبين الجماعة التي كانت تدعو إلى السلفية والتجديد مثل الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي كان يشايعه السلطان في بعض ما يذهب إليه .

وقد استمرت المجالس الحديثة طوال عهد هذا السلطان خلال الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان من كل سنة ، كما خص شهري صفر وربيع الأول لقراءة كتاب الشفا والشمالك المحمدية وقد اسندت رئاسة هذه المجالس الى الشيخ الدكالي المذكور⁽⁶⁾ .

مجالس محمد الخامس

لم تنقطع هذه المجالس على عهد السلطان أبي المحاسن يوسف ، إذ استمرت حافلة بالعلماء وتولى رئاستها عالمان جليلان هما الشيخ أبو شعيب الدكالي ثم خلفه فيها الحافظ عبد الرحمن بن القرشي الفيلاي المتوفى سنة 1358 .

غير أن هذه المجالس عادت إلى الإزدهار والانبعث في عهد الملك محمد الخامس بسبب النهضة التعليمية التي إليها وتبناها والحركة الإصلاحية التي كان رائدها وقد كانت تختلف أوقاتها أحياناً وتتعلل أحياناً للظروف الصعبة القاسية التي كان يمر بها المغرب والتي كان يفرضها الاستعمار بسبب سياسته وتعتته .

وكانت هذه المجالس في أول عهد تتكون من علماء المغرب الموظفين بالقصر الملكي ، كالوزراء وبعض أعضاء مجلس الاستئناف الشرعي والمحكمة العليا وقليل من كتاب مختلف الوزارات أو الموظفين خارجها كبعض أعيان القضاة ويرأسها إما وزير العدل أو رئيس مجلس الاستئناف الشرعي⁽¹⁾ .

وقد كان شيخ هذه المجالس الحديثة في عهد محمد الخامس الحافظ الشيخ أبو شعيب الدكالي ، فلما توفي تناوب على رئاستها الشيخ محمد العربي العلوي والشيخ المدني بن الحسني⁽²⁾ . ومن أعضاء هذا المجلس العلامة محمد الحجوي والعلامة محمد بن عبد السلام السائح والاستاذ عبد الرحمن الدكالي وغيرهم .

وفي عهده وبناء على أمره نشرت المطبعة الملكية كتباً حديثة كثيرة أهمها الفتوحات الإلهية للسلطان محمد الثالث .

(1) الكتاب الذهبي ص 155

(2) المجتمع الصحيح للإمام البخاري مقال الاستاذ عبد الرحمن الدكالي دعوة الحق ع 9 ص 16 ص 3

(6) شيخنا الشيخ الوزير أبو شعيب الدكالي بحث مخطوط للاستاذ جعفر الناصري ص 7 .

مجالس الحسن الثاني

يلاحظ الدارس لحياة هذا الملك العظيم أن عبقريته تستمد مددها وسندها وقوتها من الوحي : الكتاب والسنة ، ولذلك تراه يتجه في كل ما يصدر عنه من أمر أو عمل أو تخطيط إلى غاية واحدة ومقصد واحد هو توحيد القلوب وتنوير العقول وتوحيد السبل للبعث الاسلامي المحتوم إيماناً منه بأن الثقافة العربية والحضارة الاسلامية التي درجت عليها أمتنا ما هي إلا تعبير عن أسلوب حياتنا ونوع اختيارنا، وتنظيم لقوة وحدتنا وشدة ارتباطنا على أساس من العلم والعقل والتفكير .

لذلك أحسن الحسن الثاني بضرورة استيعاب التراث السامي وتعميم الفكر الاسلامي فعمل على تفجير طاقاته وتحريك دواليبه وتيسير أساليبه . من هذا المنطلق يلاحظ الدارس بأن هذا العهد تميز بمعلمتين فكريتين رائدتين كان لهما أكبر الأثر في الحياة الفكرية ببلادنا وهما :

- المجالس الحديثة .

- ودار الحديث الحسنية .

أولاً : المجالس الحديثة :

وهو أعم وأشمل من اسم الدروس الحسنية الذي درجت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على تسميتها به .

وقد حافظ الحسن الثاني على سنة المجالس الحديثة التي عرفها المغرب منذ القديم إلا أنها تميزت في عهده بكونها تطورت وتجددت في

شكلها واطارها وفي مفهومها ودلالاتها وفي موضوعاتها وشخصياتها إذ بث فيها قبساً من روحه وعزيمته وطموحه .

أهميتها ودلالاتها : تعتبر هذه المجالس نبراساً مضيئاً في طريق البعث الاسلامي الذي تزعمه الحسن الثاني ودعاه له وتبناه من أجل أن يستعيد المسلم في ظلاله إنسانيته وكرامته ويسترجع هويته وحقيقته ويعطي للدين في المجتمع مكانته وسلطته .

ولذلك عملت هذه المجالس على تبصير المسلمين بحقيقة دينهم ووضعهم أمام المنهج الأمثل والسبيل الأقوم للنهوض بهم والرفع من شأنهم وتقدير الحلول الصالحة لمشاكلهم وأحداثهم على هدي الكتاب والسنة⁽¹⁾ وهو مصداق ما قاله جلالته في أحد دروسه في أحد هذه المجالس .

« مع الأسف إذا حاولنا أن نحلل عناصر الانحلال في شباب الاسلام نجد أنه غير مسؤول على ما هو عليه لأنه في الحقيقة يجهل دينه ويجهل سنة رسوله ويجهل كتاب الله وبكل تواضع أريد هنا أن أعترف بأن درس المكّي الناصري بالأمس تعلمت منه الشيء الكثير الذي كنت أجهله وقد فتح لي نافذة جديدة في ذهني . . . فإذا كانت حالتي هي هذه كيف تكون حالة الملايين من الشباب الذين لا علم لهم بالعربية ولا بالأدب العربية ولا بالحديث ولا بالقرآن . . . »⁽²⁾ .

مظاهر تجديدها وتطويرها : لقد خرج الحسن الثاني بالمجالس الحديثة من إطارها المحلي الضيق إلى إطار أوسع وأشمل : حيث أخذ يستدعي لها طائفة من علماء المسلمين من مختلف البلاد

(1) مقدمة الدروس الحسنية ص 7 سنة 1395

(2) الدروس الحسنية : الامانة وجلال قدرها في شريعة الحق الدرس الحسني ص 12 سنة 1388 .

الاسلامية من المشرق وغيره إلى جانب اخوانهم علماء المغرب ، ولم تعد مقتصرة على شهر رمضان وحده فقد كانت تقام أحياناً في بقية شهور السنة حيث أصبح الملك يعقد مجلساً شهرياً في مختلف بلاد المملكة ، كما وقع بمدينة طنجة حيث ألقى العلامة عبد الله كنون درساً حديثاً للتعريف بمالك وموطاه وبمكناس حيث ألقى المرحوم العميد مولاي عبد الواحد العلوي درساً أدبياً وبمراكش حيث ألقى أستاذنا العميد الرحالي الفاروق درساً حديثاً موضوعه : « الدين النصيحة » .

كما أن أوقات تلك المجالس اختلفت في هذا العهد فمرة تعقد بعد العصر إلى المغرب وأخرى بعد صلاة العشاء وأحياناً بين العشاءين كما هو الشأن في المجالس الشهرية خارج العاصمة .

أصبحت المجالس ندوة اسلامية واسعة وفرصة لتلاقح الأفكار وتبادل الآراء ولتمتين الروابط وابراز معالم الوحدة التي تجمع بين القلوب مهما تضاءت الديار وبعدت المسافات .

وصارت المجالس تنقل مباشرة بوساطة مختلف وسائل الاعلام المرئية والناطقة والمكتوبة .

وبذلك عمت فائدتها واتسع مجال الاهتمام بها وفتحت عيون الناس من جديد ليتعرفوا على حقيقة دينهم .

شخصياتها : لقد طفحت هذه المجالس وما زالت بنوابع العلماء والمحدثين من المشرق والمغرب الذين كانت لهم مشاركة فعالة واسهام كبير بدروسهم ومحاضراتهم فيها نذكر من بينهم :

العلامة المرحوم الفاضل ابن عاشور مفتي الديار التونسية الذي ظل من المداومين على المشاركة فيها إلى أن خلفه الشيخ الدكتور محمد

الحبيب بن الخوجة .

والدكتور محمد عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق والشيخ محمد متولي شعرواي .

والشيخ أحمد عبد الرحيم عبد الله من مصر .

والعلامة أبو الأعلى المودودي من الهند .

والاستاذ السيد سعيد الصالحى من الجزائر .

والدكتور محمد فاروق النبهان والشيخ عبد الفتاح أبو غدة من

سوريا .

والدكتور صبحي الصالح من لبنان .

والدكتور عبد العزيز الخياط من الأردن .

والشيخ إسماعيل صادق من الامارات العربية وغيرهم .

أما الذين يحضرونها ويشاركون فيها من علماء المغرب وشيوخه فنذكر منهم :

الشيخ العميد الرحالي الفاروق الذي كان يفتح المجالس أحياناً ويقوم بختم صحيح البخاري كل سنة تقريباً عند اختتام المجالس الحديثة في كل عام .

والعلامة المرحوم علال الفاسي الذي أسهم فيها اسهاماً عظيماً ومفيداً ومستمراً .

والاستاذ الشيخ المكي الناصري الذي كان يفتحها أحياناً بدرسه عندما كان وزيراً للأوقاف والشؤون الاسلامية .

والعلامة عبد الله كنون الذي أصبح يفتحها الى الآن بدرسه القيم وغالباً ما يكون حديثاً .

ونذكر من شيوخ هذه المجالس عدا من ذكر ممن شاركوا فيها مشاركة عظيمة، المرحوم الاستاذ الحسن الزهراوي والعميد المرحوم الجواد الصقلي ، والعميد المرحوم مولاي عبد الواحد العلوي ، والأستاذ محمد حماد الصقلي وسواهم .

كما شارك فيها بعض خريجي دار الحديث الحسنية بدروس قيمة تشجيعا لهم وتكريما للدار .

موضوعاتها : لم تعد هاته المجالس قاصرة على التفسير والحديث وحدهما بل ضمت جوانبها الطارف والتلبد في عالم الفكر والثقافة من تفسير كتاب الله وتجليه معانيه وشرح لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام وبيان مقاصده وبيان لفقه الحياة والواقع ووضع كثير من المفاهيم في موضعها الصحيح ووزنها بميزان الاسلام ومقارنتها بغيره من الاديان .

وأعظم ما تميزت به تلك المجالس هو ما توفر لها من جو الحرية⁽³⁾ في ما يعرض من أفكار وآراء ونظريات وفي اختيار الموضوعات التي نذكر هنا بعضها لأهميتها تناولته من قضايا الساعة ورأي الاسلام فيها واستنتاج الحلول والمقاصد منها في مقدمتها :

درس جلالة الملك عن الامانة وجلال قدرها في شريعة الاسلام .
ومن هذه الموضوعات الهامة شرح حديث النصيحة للشيخ الرحالي الفاروق .

وأبي الاسلام خير للعلامة المرحوم علال الفاسي .

« والحلف والاخاء في الاسلام » للشيخ المرحوم الفاضل ابن

(3) الدروس الحسنية عام 1395 ص 213

الحرية ومفهومها الايجابي في الاسلام للدكتور صبحي الصالح .

عاشور ومعجزة القرآن للعلامة عبد الله كنون ، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله للدكتور الحبيب بن الخوجة ، ومفهوم الربا في ظل التطورات الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة للدكتور فاروق النبهان ، والحرية ومفهومها الايجابي في الاسلام للدكتور صبحي الصالح ، إلى غير ذلك من الموضوعات المهمة المفيدة التي كان لها أكبر الاثر في النفوس والعقول .

إسهام الحسن الثاني فيها : ويعتبر الحسن الثاني أول ملوك الدولة العلوية الذي اختص بدرس مستقل في المجالس الحديثية يلقيه بنفسه شأنه في ذلك شأن العلماء يتناول فيه تفسير آية قرآنية أو حديث نبوي بأسلوب فريد وطريقة مبتكرة تعتمد على الاجتهاد والاستنباط واطهارها مزايها هذا الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان ومظاهر تجده الدائم .

ونذكر من بين دروسه :

شرح حديث : كم من رجل لو أقسم على الله لأبره ،

بتاريخ 14 رمضان 1387 - 16 دجنبر 1967 .

والأمانة وجلال قدرها في شريعة الاسلام ،

بتاريخ 14 رمضان 1388 - 5 دجنبر 1968 .

هذا وقد جمعت بعض الدروس الحسنية في مجلدات ونشرت بعناية وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، حيث صدر منها حتى الآن أربعة مجلدات تحمل اسم « الدروس الحسنية » .

الأول صدر في رمضان 1388

والثاني صدر في رمضان 1389

والثالث صدر في رمضان 1394

والرابع صدر في رمضان 1395 .

ثانياً : دار الحديث الحسنية :

إذا كانت المجالس الحسنية هي المعلمة الأولى من معالم الفكر والثقافة ، في هذا العهد فإن تأسيس دار الحديث الحسنية يعتبر المعلمة الثانية الرائدة ، ومن جميل المصادفات أن إعلان إنشائها وتدشينها كان في أحد هذه المجالس في رمضان سنة 1964 .

تأسيسها ودلائلها : لقد كان تأسيس دار الحديث الحسنية لإحدى التطلعات الطموحة للحسن الثاني ، ولذلك تضمن الخطاب الملكي بمناسبة تدشينها المرامي والاهداف التي توخاها من تأسيس الدار والاسباب الداعية إلى قيامها لما لاحظته جلالته من أن العلوم الاسلامية أخذت تقل وتنحصر وأن جيل العلماء والشيوخ أخذ في التضاؤل والزوال وأن شبابنا يعوزه التوجيه الصالح في الدراسات الاسلامية خاصة .

هذا بالاضافة إلى ضرورة ربط الحاضر بالماضي ، وذلك بإحياء وتجديد الدور العلمي الذي قام به المغرب خلال تاريخه الطويل حتى يستعيد دوره الحضاري والاشعاعي لا في افريقيا فحسب بل في العالم الاسلامي ناهيك وأن فتوحاتنا العلمية لم تكن تقل أهمية وتأثيراً عن فتوحاتنا السياسية ، وهذه مسؤلية تاريخية وحضارية أراد جلالته أن تقوم بها دار الحديث الحسنية وتحملها .

دورها : « إن تراثنا الاسلامي والمغربي منه بصفة أخص لخلق بأن يحملنا على الاعتزاز به ، ولذلك نحن مدعوون للمحافظة عليه وشموله بمزيد العناية التي تقيه خطر العفاء والاندثار مع جعله في ذات الوقت مساهراً لمتطلبات القرن العشرين ومواكباً سير الحضارة العصرية » (4) .

(4) من خطاب الحسن الثاني بمناسبة تأسيس دار الحديث الحسنية النشرة الدورية لدار الحديث الحسنية ع 1 س 1396 - 1976 ص 6 .

من هذه الفقرة الملكية ، ومن بقية فقراته يمكن تحديد دور دار الحديث :

في نشر السنة وإعطاء الدراسات الاسلامية وخاصة الحديثية ما تستحقه من عناية واهتمام .

وذلك بجعل هذا المركز العلمي الجديد عاملاً من عوامل التقدم العلمي في بلادنا يهتدي به المسلمون في كافة بلاد العالم الاسلامي في علوم الدنيا والدين خاصة وأن علم الحديث من العوامل التي أدت إلى نهضة المسلمين باعتباره جماع المعارف الاسلامية (5) .

تكوين جيل من العلماء الحقيقيين الذين يعادلون في كفاءتهم وأخلاقهم جيل الرواد من علمائنا وشيوخنا الذين أسهموا في الحضارة العربية الاسلامية بالنصيب الأوفى ، وكانوا دعاة وهداة وأساتذة لأجيال متلاحقة من المسلمين عبر التاريخ ، وذلك حتى يتمكن الجيل الجديد من الاستمرار في تحمل هذه الامانة وأدائها حق الأداء ، كي تشرق وتنير بإشعاعها الخالد على هذه الديار وفي جميع بلاد الاسلام امتداداً للدور الخالد العظيم الذي قامت به جامعة القرويين والذي يعتبر مفخرة لامتنا وتاريخنا .

إن عملاً تجديدياً في هذا المجال كان لا بد من إبرازه في هذا الوقت بالذات ليصاحب ذلك التراث وليتطور وينمو على مر الزمان أمام مختلف التيارات الفكرية والاكتشافات العلمية ، وكان هذا العمل هو دار الحديث الحسنية التي حملها هذه المسؤلية العظيمة .

رسائلها وخريجوها : لم يكذب يعلن عن تأسيس دار الحديث الحسنية وفتح أبوابها حتى أقبل على الدراسة فيها جيل من شباب العلماء

(5) خطاب الامين العام لرابطة المغرب الاستاذ عبد الله كنون المرجع السابق ص 12 - 13 .

يريدون تحقيق التطلعات الحسنية والاستجابة لدعوته الكريمة ، وكتب الله لي التخرج في أول أفواجها ، ولم تكد تمضي بضعة سنوات حتى بدأت طلائع خريجها في تحقيق رسالتها ، وأداء الدور الذي أنيط بها ، وقد تخرج منها إلى الآن حوالي ثلاثمائة عالم ناقش منهم ستون رسائلهم العلمية ، وفازوا بدبلوم الدراسات الإسلامية العليا في مختلف الموضوعات المتعلقة بالعلوم الإسلامية .

كما أنه في هذه السنة 1399 - 1979 ، أخذت قوافل المتخرجين من حملة الدكتوراه تتقدم الصفوف بخطى واثقة وتأخذ أماكنها في مواقع المسؤولية سواء داخل الجامعات أو في المؤسسات التعليمية والإعلامية والتوجيهية⁽⁶⁾ .

وقد فاز بالسبق بالحصول على أول دكتوراه في العلوم الإسلامية الاستاذ نوري معمر بأطروحته عن « بقي بن مخلد القرطبي شيخ الحديث في الأندلس » .

ونذكر في هذا الباب ، بعض رسائل الدبلوم المتعلقة بالدراسة الحديثة منها :

- رباعيات الإمام البخاري للاستاذ يوسف الكتاني .
- الجرح والتعديل في المدرسة المغربية للحديث للأستاذ ابراهيم ابن الصديق .
- دور الحديث في الاسلام للأستاذ الحسين وجاج .
- الحديث الصحيح وأثره في التشريع الاسلامي للاستاذ عبد الصمد العاقل .
- يحيى بن يحيى الليثي وروايته الموطا للاستاذ محمد شرجيلي .

مستقبلها : إذا كان الأمل معقوداً على دار الحديث الحسنية وخريجها في إحياء العلوم الإسلامية وتأصيل الدراسات الإسلامية وتكوين جيل من العلماء الأكفاء يربطون الحاضر بالماضي ويعملون على نهضة الاسلام ورفع شأن المسلمين .

وإذا كانت طلائع الخريجين أخذت تتقدم الصفوف وتستقطب الاهتمام بما تبذل وتحقق وما تقوم به من نشاط في مجال الدعوة من نشر وتحقيق في مجال الثقافة والفكر ، حيث ألقى خريجوها في سنة واحدة حوالي خمسمائة درس ومحاضرة وندوة في مختلف جهات المملكة تطوعاً وبدون مقابل أو جزاء ، سوى خدمة هذا الدين واعلاء شأنه وتبصير المسلمين بدور الاسلام في الحضارة الانسانية وبصلاحيته لإخراج البشرية من ارتباكها وانقاذها من سقوطها .

إلا أن هذا الجهد وحده لا يكفي ولا يشفي فإن دور بلادنا أكبر ومسؤوليتها تجاه الاسلام والمسلمين أعظم وأخطر إذا قورن ذلك بالجهد العظيم والبلاء الكبير ، الذي قامست به الأجيال المتلاحقة من الآباء والأجداد في ربوع العالم الاسلامي ، بما علموا وأرشدوا ، وبما أناروا وفتحوا ، وهو مصداق ما قاله جلالة الملك « بأن فتوحاتنا العلمية لم تكن تقل أهمية وتأثيراً عن فتوحاتنا السياسية »⁽⁷⁾ .

ذلك أن عالمنا الاسلامي اليوم متعطش الى من يهدي شعوبه ويبصر شبابه ويفقه أجياله بحقيقة دينه وينير في النفوس شعلة الايمان الوهاجة التي كانت متأججة مشتعلة في قلوب الأجيال الأولى من المسلمين .

كما أن تراثنا العظيم الضخم ينتظر العقول المتفتحة المتبصرة والجهود المتضافرة للعلماء الأكفاء لنفض الغبار عنه ، وتحقيقه ونشره .

رؤساء المجالس الحديثة الملكية

في عهد الدولة العلوية

من التقاليد المرعية في تاريخ المغرب أن ملوكنا كانوا يتخذون كبار العلماء في وقتهم شيوخاً لهم يأخذون عنهم العلم ويستشيرونهم في أمور المملكة وشؤون الدولة وغالباً ما ينتخبونهم لتعليم الأمراء وقد يكون شيخ الملك هو شيخ الجماعة الوقتي وقد يكون غيره وغالباً ما كان هذا الشيخ هو الذي يرأس مجالس السلطان الحديثة .

وسنذكر في هذا المبحث قائمة بأسماء الشيوخ العلماء الذين كانوا رؤساء المجالس الملكية لسرد الحديث النبوي وتقريره على عهد ملوك الدولة العلوية وهو مظهر لتشبث الدولة بتعاليم الاسلام وحفاظاً على تقاليد الملك المرعية ⁽¹⁾ .

ففي عهد مولاي عبد الرحمن بن هشام أسندت رئاسة مجالسه الحديثة إلى العلامة الحافظ محمد بن الطاهر بن محمد العلوي المدغري المتوفى سنة 1284 ، ثم انتقلت رئاسة المجلس من بعده إلى العلامة التهامي بن حماد ابن عبد الرحمن المطيري الحمادي المكناسي المتوفى سنة 1249 ،

وبعده انتقلت الرئاسة واسندت إلى الشيخ عبد القادر بن أحمد الكوهن المتوفى سنة 1254 .

(1) الكتاب الذهبي

المركز الاجتماعي لعلماء جامعة القرويين للاستاذ محمد السراج ص 152

ثم اسندت إلى الشيخ العباس بن محمد بن كيران قاضي مكناس المتوفى سنة 1271 ، ثم خلفه في الرئاسة المحدث المحقق أبو عيسى الشيخ المهدي بن سودة المتوفى سنة 1294 .

وهكذا أمد الله في حياة هذا الملك الصالح الذي طالت أيامه ومجالسه العلمية فتوالى على رئاسة مجالسه الحديثة خمسة شيوخ علماء .

وفي عهد محمد بن عبد الرحمن استمرت رئاسة المجالس الحديثة للشيخ المهدي بن سودة الذي استمر فيها طوال عهد هذا الملك وإلى بداية ولاية الحسن الأول .

وفي عهد الحسن الأول استمرت رئاسة الشيخ المهدي بن سودة إلى أن توفي سنة 1294 فأسندت رئاستها إلى شقيقه الشيخ المذكور أبي العباس أحمد بن سودة المري المتوفى سنة 1321 .

وفي عهد السلطان عبد العزيز استمرت رئاسة المجالس الحديثة للشيخ أبي العباس أحمد بن سودة المذكور .

وفي عهد المولى يوسف استمرت رئاستها للشيخ أبي شعيب الدكالي أوائل عهده إلى أن توفي سنة 1356 .

ثم أسندت بعده إلى العلامة وزير العدل الشيخ عبد الرحمن بن القرشي الفيلاي الامامي المتوفى سنة 1358 .

وفي عهد محمد الخامس كانت رئاسة المجالس تسند إما لوزير العدل أو رئيس مجلس الاستئناف الشرعي ، ومن رأسها في عهده مناوبة الشيخ المدني بن الحسني والشيخ محمد العربي العلوي والفقير محمد الحجوي .

وفي عهد الحسن الثاني أسندت رئاستها للشيخ الرحالي الفاروق الذي رأس هذه المجالس سنوات وكان يسند إليه ختم الجامع الصحيح كل سنة عند اختتام تلك المجالس .

كما كان يرأسها أحياناً العلامة علال الفاسي والشيخ المكي الناصري وأخيراً أصبحت رئاستها الآن إلى العلامة السيد عبد الله كنون إذ صار هو الذي يفتح تلك الدروس والمجالس بدرسه القيم وغالباً ما يكون حديثاً .

- المبحث السادس -

أثر المجالس الحديثية في نشر الصحيح

لم يكن قصد ملوك المغرب وخلفائه من عقد مجالس الحديث واختيار نوابغ العلماء وكبار الشيوخ من المغرب والأندلس للمشاركة فيها وحرصهم الشديد على تلك المجالس والاهتمام بها والتزام أوقاتها وأيامها لم يكن قصدهم التعبد في ليالي رمضان وأيام الجمع وغيرها ، بدراسة كتب التفسير والحديث وتنمية معلوماتهم فحسب ، بل كانت غايتهم أبعد من ذلك وهدفهم أكبر ، وهو نشر السنة واشاعتها بين الناس ، وتكوين أجيال من العلماء وازدهار النبغاء منهم ، ونشر كتب الحديث وتداولها بين الناس وغير ذلك من الآثار التي نتجت عن هذه المجالس والتي نذكر منها :

1 (تكوين نخبة من العلماء : إن عقد مجالس الحديث برئاسة الملك واختيار كبار العلماء والمحدثين من أنحاء البلاد ومن الوافدين من عدوة الأندلس لحضورها والمشاركة فيها حفز همم العلماء للإقبال على العلوم الإسلامية ، وخاصة الحديث وعلومه ودراساتها والتعمق فيها ، ومضاعفة الجهد والنشاط للتبريز فيها حتى يتاح فيها للمتفوقين فرصة حضورها ، والمشاركة فيها الأمر الذي أدى إلى تكوين أجيال من العلماء وكبار المحدثين الذين أسهموا اسهاماً عظيماً في تلك المجالس التي كانت السبب في إظهار كثير من النبغاء ، وساعدت على تبريزهم وإبداعهم ، كعبد المهيمن الحضرمي وابن القطان وسواهما كثير مما بيناه وفصلناه عند الكلام على المجالس الحديثية .

2 (نشر كتب الحديث : لقد امتازت هذه المجالس غالباً بما يدور فيها بين العلماء من نقاش وحوار ، كان يضطر الملك أحياناً أحمد المنصور الذهبي مثلاً - إل إحضار المراجع والمصادر معه للرجوع إليها والتأكد مما يجري بين العلماء ، وما يختلفون حوله من رأي ونظر ، وما يوردونه من استشهادات وأنقال ، وهذا أيضاً كان يدفع العلماء بدورهم إلى الرجوع إلى المصادر والمراجع للتثبت والتأكد مما يناقشون ويحاورون قبل الحضور للمجلس والاستعداد له .

وقد أدى ذلك كله إلى نشر كتب التراث وطبعها وجلبها من الخارج والإقبال على شرائها واقتنائها للرجوع إليها ، وقد كان لمطبعة فاس دور عظيم في هذا المجال ، حيث طبعت كثيراً من كتب التراث وخاصة كتب الحديث .

كما أسهمت مطبعة القصر الملكي إسهاماً كبيراً في إحياء السنة ونشرها بما طبعت وأخرجت من كتب منذ أسست إلى اليوم ، كما قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدورها في هذا المجال بطبع كتب التفسير والحديث وغيرها وتحقيقها ونشرها .

ونذكر من بين مطبوعات القصر الملكي على سبيل المثال ما يتعلق بكتب الحديث ومصنفاته :

الشئائل المحمدية للإمام محمد بن عيسى الترمذي سنة 1282 .
ونظم مصطلح الحديث للسلطان عبد الحفيظ العلوي سنة 1327 .

وفتح الودود على مراقي السعود لمحمد بن يحيى الولاتي سنة 1327 .

وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لمحمد بن رشد القرطبي سنة 1327 .

ونظم الشئائل المحمدية للسلطان عبد الحفيظ العلوي سنة 1328 .

الاصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر أربعة أجزاء سنة 1328 .

الاستيعاب في أسماء الأصحاب لأبي عمرو يوسف بن عبد البر سنة 1328 .

حاشية على صحيح البخاري للتاودي بن سودة أربعة أجزاء سنة 1328 .

نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري لحمدون بن الحاج السلمي سنة 1329 .

الفتوحات الالهية في أحاديث خير البرية للسلطان محمد بن عبد الله سنة 1364 .

كما نجد من بين مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بما يتعلق بالحديث :

كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام ومذهب مالك للقاضي عياض سنة 1384 - 1965 .

وكتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر سنة 1387 - 1967 .

وكتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد لعياض سنة 1395 - 1975 .

وكتاب الصوارم والأسنة في الدين والسنة لمحمد بن أبي مدين الشنيطي سنة 1395 - 1975 .

وكتاب أربعين حديثاً في اصطناع المعروف لعبد القوي المنذوري سنة 1962 .

ومعجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى لعبد العزيز بن عبد الله سنة 1392 - 1972 .

3 (انتشار الحديث والاقبال عليه : لقد كان من أثر تلك المجالس الحديثية الملكية وحرص الملوك عليها والاهتمام بها ، أن تأثر الأمراء ورجال الدولة والأعيان بهم فأخذوا هم بدورهم يعقدون مجالس حديثية في قصورهم ودورهم ويستدعون العلماء لها ويقومون بشراء الكتب اللازمة للمناقشة والحوار .
كما نجد من بين الأسباب التي عملت على انتشار الحديث والاقبال عليه ما مس هذه المجالس من تطور في عهد الحسن الثاني ، عندما أصبحت تذاع وتنشر على أوسع نطاق حيث بدأ ظهور حفاظ الحديث وقراءه بين الجيل الجديد ، وأقبل الشباب والصغار على قراءة الحديث وحفظه حتى استطاع أحد الشباب في إحدى مباريات حفظ الحديث أن يسرد ألفا وخمسمائة حديث بأسانيدھا من حفظه واستطاع شابان من زعير أن يسردا ألفي حديث بالرواية عن الصحابي ، وذلك ما دفع جلالة الملك الى إصدار الأمر بإجراء مباراة سنوية لحفاظ الحديث وتخصيص جائزة مالية لمن يحفظ كمية وافرة من صحيح البخاري أو الموطأ .

4 (تأسيس دار الحديث الحسنية : إن مجالس الحديث في العهود الأخيرة اظهرت مدى الحاجة الملحة لتكوين جيل من العلماء متخصصين في العلوم الإسلامية كي يخلفوا ويحلوا محل الشيوخ والعلماء الذين أخذ عددهم يقل ويتضاءل ، وهو ما دعا الحسن الثاني أن يعلن تأسيس دار الحديث في أحد مجالسه الحديثية لتركيز الدراسات الإسلامية والحديثية منها بصفة خاصة واحياء التراث الاسلامي .

5 (تمثين الروابط بين العلماء : وقد كان من أعظم نتائج وآثار

هذه المجالس بفضل اختيار العلماء لحضورها من مختلف أنحاء المملكة ، واستدعاء العلماء إليها من مختلف البلاد الإسلامية تمثين الروابط وتأكيد الصلات وتجديدها سواء بين العلماء المغاربة أو بينهم وبين إخوانهم في البلاد الإسلامية حيث يلتقون في رحابها وتجمعهم حلقاتها ، وما يقع فيها من تلاقح الأفكار وتبادل الآراء ، واتصال مستمر وتنافس علمي .

